



مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الثاني - المجلد الثالث والاربعون





مجلة المجمع العلمي

الجزء الثاني ـ المجلد الثالث والاربعون

بغـــداد

١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

شـروط وضوابـط النشـر

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكريـة والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامـة اللغـة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة اخرى .

٤ ـ تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلـة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيـان مـدى اصالتهـا وجودتهـا وقيمـة نتائجهـا وسلامـة لغتهـا وصلاحيتها للنشـر .

٥ ـ هيئة تحريـر المجلة غـير ملزمة بـرد البحوث الى اصحابها في حالـة عدم قبولها للنشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية : ـ

أ ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبـة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقـة .

ب ـ ترسـل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانـه كاملا باللغـة العربيـة .

جـ ـ يجب ان لاتزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمـة .

د ـ ان يكون مستوفيا للمصادر والمراجـع ، موثقة توثيقاً تامـاً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفـق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صـور او رسوم او خرائط او بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضـح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسـة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

٧ ـ يعطي صاحب البحث ـ عند نشره ـ ثلاث نسخ من المجلة مع عشر مستلات من بحثـه .

٨ ـ المواد المنشورة تعبر عن راي كاتبها .

مجلــة المجمــع العلمــي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ـ توجـه البحوث والمراسلات الى : رئيــس تحريــر مجلــة المجمــع العلمــي المجمــع العلمــي ـ ص . ب . (٤٠٢٣) بغــداد ـ جمهوريــة العــراق هاتــف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فاكس : (٩٦٤ ـ ١) ٤٢٥٤٥٢٣

ـ الاشتراكات : داخــل العــراق (٤٠٠٠) دينــار سنويــا .
خــارج العــراق (٥٠) دولار امريكي سنويا وتضاف اجـرة البريـد .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

كلمة الافتتاح

بعد ما يقرب من نصف قرن على تأسيس المجمع العلمي العراقي واثرائه للمعرفة العلمية والأدبية وحماية تراثنا العربي والاسلامي من التشويه والتحريف بجهود خيرة بذلها أساتذة أجلاء وقدموا خدمة عظيمة ستذكرها لهم الأجيال باعتزاز وتقدير كبيرين ، جاء صدور قانون المجمع العلمي رقم (٣) لسنة ١٩٩٥م ليشكل مرحلة مهمة من مراحل عمل المجمع وليكون ركيزة تحول متقدمة في تشكيلته العلمية الجديدة ، ليغطي نشاطه حقول الآداب والعلوم والفنون .

ولعل ما جاء في الأسباب الموجبة للقانون ما يغني عن الاسهاب في شرح أبعاد هذا التحول المتصل بالاصول والجذور ، إذ جاء فيه :

« انطلاقا من اهتمام السيد الرئيس القائد صدام حسين ـ حفظه الله ـ بالمجمع العلمي وتوجيهاته الحكيمة ورعايته الكريمة للعلم والعلماء ، فقد أصبح من المحتم إناطة مهمات جديدة بالمجمع وفتح آفاق رحبة أمام جهوده ليكون معلما من معالم الثقافة والفكر في العراق ، ورمزا من رموز شموخه الحضاري ونهضته الحديثة ، وما يتطلب ذلك من اعادة النظر في البنية العلمية للمجمع بانشاء دوائر علمية متخصصة في فروع العلوم والآداب لتعطيها زخماً ودفعاً جديدا . ولكي يكون المجمع العلمي البؤرة العلمية والملاذ الفكري في العراق فلابد أن يركز اهتمامه البالغ على التأليف والنشر متوخياً التأكيد على البحث العلمي الرصين والأمانة العلمية الحقة » .

هيئة تحرير مجلة المجمع العلمي بتشكيلتها الجديدة تؤكد أهمية الافتتاح على الأساتذة والمفكرين والمثقفين في العراق والوطن العربي وتدعوهم

لنشر نتاجهم من البحوث ذات الطابع الفكري الشمولي والمتصفة بالأصالة والاضافة للمعرفة العلمية لتكون المجلة منبراً من منابر النشر الجادة الهادفة في المجتمع لما في ذلك من أهمية في مواكبة التقدم العلمي في العالم واستذكار التراث العربي والاسلامي واستلهام دوره الحضاري ليتم التوازن والتواصل بين الاصالة والمعاصرة •

وانا لنتطلع الى استمرار المجلة في رفد الحركة الفكرية والثقافية بما هو جديد في حقول العلم والأدب والفن ، تعيننا في ذلك لغتنا العربية الحية ــ لغة القرآن الكريم ــ التي يسعى المجمع الى سلامتها وبذل الجهود من أجل أن تبقى مواكبة للتطور وقابلة لاستلهام روح العصر ومعطيات النهضة الجديدة •

وبعد :

فهذا هو الجزء الثاني (المجلد الثالث والأربعون) من مجلة المجمع العلمي بثوبها الجديد وبحوثها المتنوعة التي لم تقتصر على التراث وحده ، وانما اتسعت آفاقها فشملت مجالات الثقافة والفكر والعلم لتكون معبرة عن أهداف المجمع وتحقيق رسالته التي حددها قانونه والأبعاد التي رسمتها مواده ، وهي أبعاد لابدّ من إبرازها وتقديم ما فيه النفع في حقول الآداب والعلوم والفنون •

والله نسأل أن يوفقنا لما فيه خير الأمة وعزتها لتأخذ مكانتها اللائقة بين الأمم المتقدمة ، ولكي تسهم في رفد الانسانية برسالتها الحضارية ، والله ولي التوفيق •

الاستاذ الدكتور ناجح محمد خليل الراوي
رئيس المجمع العلمي
رئيس التحرير

دور التربية والتعليم والبحث العلمي في حماية البيئة

الاستاذ الدكتور ناجح محمد خليل الراوي
رئيس المجمع العلمي

١ ـ المقدمة :

عاش الانسان منذ آلاف السنين منسجماً متناغماً ومتكيفاً مع الطبيعة مستغلاً مواردها الزراعية والحيوانية والمعدنية استغلالاً عقلانياً ، مستثمراً المياه العذبة للشرب والري ، مستنشقاً الهواء النقي الذي لم تلوثه بعد حضارته الصناعية . مياه الامطار تتساقط وتذوب الثلوج مغذية المياه الجوفية وتتفجر الينابيع الى الانهار العذبة التي تنساق في طريقها الى البحار وتتبخر المياه مكونة الغيوم فتتساقط الامطار لتعاد دورة المياه في الطبيعة. ودورة الحياة « البايولوجية » مستمرة فالنباتات تنمو وتثمر ليستفيد من ثمراتها ومحصولها الانسان والحيوان وتموت النبتة لتتحول اوراقها وسيقانها ـ اضافة الى مخلفات الحيوان ـ الى أسمدة تساعد التربة على استقبال موسم زراعي جديد ودورة حياة أخرى . فالاشجار والنباتات تمتص ثاني أوكسيد الكاربون من الجو وتفرز الاوكسجين فهي بمثابة الرئة التي تصفي الجو وتحسن البيئة .

ومع تطور الحضارة وزيادة عدد السكان كما يبين الشكل رقم ـ ١ ـ بدأ الانسان بالنزوح من الريف الى المدينة وصاحب ذلك تبدل في نمط الحياة وأسلوب المعيشة وافرازاتها ... لاسيما بعد الثورة الصناعية .

ومع حلول القرن العشرين وتقدمه تطورت المواصلات والاتصالات وأصبح العالم الذي كان يبدو متباعداً ، عالماً صغيراً متقارباً مزدحماً بالسكان . وأخذت الدول الصناعية المتقدمة تطور صناعتها مستغلة ثروات الارض بما يهدد هذه الثروة ويشير الدكتور عدنان بدران[1] الى أن ٢٥٪ من سكان العالم الذين يسكنون في الاقطار الصناعية يستغلون ٨٠٪ من ثروات الارض .

لقد رافق التطور الصناعي الذي تتطلبه الحضارة الانسانية تلوثاً مشهوداً في البيئة فالمعامل والسيارات والطائرات ومحطات الطاقة تسهم في تلوث الهواء والماء والتربة وأخذت تهدد هدوء الانسان وسكينته .

وقد شهدت السنوات الاخيرة تصاعداً في اهتمامات الاوساط العلمية والسياسية والثقافية بالمحافظة على سلامة البيئة واتخاذ الخطوات اللازمة لحمايتها والحد من تدهورها . ومن الطبيعي أن تتجه الانظار الى المؤسسات العلمية لتكون الحلول جذرية ومستديمة .

٢ ـ تعاريف ومفاهيم :

٢ ـ ١ البيئة (Environment) :

هي مجموعة العناصر الحية (انسان ، حيوان ، نبات) وغير الحية (هواء ، ماء ، تربة) التي تحيط بنا متعايشة معنا[2] . ويقال ان هناك بيئات طبيعية مختلفة : بيئة مائية وبيئة صحراوية وبيئة جبلية ... الخ كما يقال بيئة اجتماعية وبيئة ثقافية ... الخ ...[3] .

ويشير البنك الدولي[4] بأن البيئة تستعمل لوصف الطابع العام لجميع فعاليات التطور الاقتصادي وهي لاتشير الى الاحداث الطبيعية فحسب بل تمتد لتشمل المحيط الاجتماعي الذي كونه الانسان نتيجة لتحوير الطبيعة المحيطة به والاحداث الطبيعية التي يتعرض لها .

وتلخص جانيت خضر بني[٥] بأن مفهوم البيئة حالياً يعني مجموعة النظم الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الانسان والكائنات الحيةالاخرى التي يستمدون منها زادهم . وهذا المفهوم يشمل الموارد والمنتجات الطبيعية والمصنعة التي تتيح اشباع حاجات الانسان .»

٢ ـ ٢ علم البيئة (Ecology) :

يشير أحمد رشيد[٦] الى أن عالم البيئة الفرنسي بير أغيس "Aguess Pierre" يعرف في كتابه مفاتيح علم البيئة ما يأتي « علم البيئة هو معرفة اقتصاد الطبيعة ورصد علاقات الكائن الحي بوسطه العضوي وغير العضوي بما فيها العلاقات الطيبة والعدائية مع الكائنات الاخرى التي تتصل به » .

فعلم البيئة يستخدم للاشارة الى العلاقة بين الكائن الحي والبيئة .. علاقة الانسان ببيئته المحلية والاقليمية والعالمية[٤] .

٢ ـ ٣ التلوث البيئي :

« هو التغيرات غير المرغوبة التي تحصل في الخصائص الفيزيائية والكيميائية والبايولوجية للهواء والارض والمياه وتؤدي الى الاضرار بحياة الانسان وأحيائه المرغوبة وصناعته وأحواله المعيشية والثقافية أو بمصادره الاولية »[٧] .

٢ ـ ٤ الملوثات :

يعرف الدكتور منير بني [٧] الملوثات بأنها « بقايا الاشياء التي نصنعها ونستعملها ثم نرميها . وان هناك نوعين من الملوثات : الملوثات الثابتة غير القابلة للتجزئة كمبيدات الحشرات DDT وأملاح الزئبق والعلب المعدنية والزجاجية ، والملوثات القابلة للتجزئة البايولوجية » .

ويمكن القول ان الملوثات اعم من ذلك فهي كل ما يؤثر على طبيعة البيئة وعلى حياة الانسان وصحته وراحته : فالكوارث الطبيعية وبعض الغازات والضوضاء تعتبر من ملوثات البيئة .

٢ ــ ٥ التربيــة البيئيــة :

اعتقد بعض المختصين ان التربية البيئية تعني دراسة البيئة • فــي حــين يرى آخرون ان التربية البيئية أشمل من ذلك وأوسع : فهي عمليــة تكــوين القيم والاتجاهات والمهارات وفهم العلاقات بين الانسان ومحيطه البيوفيزيائي والاقتصــادي والاجتماعي والثقافــي[٦] •

٣ ــ مكــونات البيئـــة :

تتكون البيئــة من مجموعتــين :

٣ ــ ١ المكونات الحيــة :

وتشمل الانسان والحيوان والنبات •

ويدرس الكائن الحي بصفته فرداً منظماً له خصائص وراثية ذاتية يشكل مع محيطه الخارجي مستوى بيئيــاً مــستقلاً يكفـــل له الطاقــة والغــذاء والتكاثــر[٣] •

أما المجموعات فانها تضم أفراداً تجمع فيما بينهما علاقة وراثيــة وتكون علاقة بيئية مع أفراد المجموعات الاخرى التي تعيش معها •

والمجتمعات تتكون من عدد من المجموعات ينتمي كل منها لنوع ما ، تعيش في الوسط الى جانب بعضها في النظام البيئي والذي هو عبارة عــن وحدة طبيعية تنشأ من تفاعل كائنات حية مع البيئة المحيطة بها[٣] •

٣ ــ ٢ المكونات غــير الحيــة (المحيط الفيزياوي) :

ويصنف في ثلاث محاور :

ــ الغلاف الغازي ــ الجوي ــ (الهواء)

ــ الغــلاف المائــي ــ (المــاء)

ــ الغــلاف اليــابس ــ (التربة)

٣ ــ ٢ ــ ١ : الغــلاف الجوي :

ويمكن تقسيم الغلاف الجوي الى عدة طبقات كما موضح بالشكــل رقـــم (٢) :

٣ ــ ٢ ــ ١ ــ ١ الغلاف السفلي ــ «التروبوسفير» (Troposphere)

وهو الطبقة الملامسة للارض وتمتد حتى ارتفاع ١٠ــ١٢كم وتعتبــر جزء من الغلاف الحيوي ، يظهر فيها تبدل المناخ وتوزع السحب وهي التــي يصيبها نتاج عمل الانسان الملوث وتمتص ٢٠٪ من الاشعة الشمسية الساقطة على الارض وذلك بواسطة غاز ثاني اوكسيد الكاربون وبخار الماء الموجودين فيهــا[٣]. ويتألــف الهــواء في هــذه الطبقــة من الاوكسجــين (O_2) والنيتروجـــين (N_2) بشكل رئيس.

٣ ــ ٢ ــ ١ ــ ٢ الغلاف العلوي الاول ــ « الستراتوسفير »(Stratoshere)

وهي الطبقة التي تمتد فوق الغلاف السفلي الى مسافة ٢٥كم عن الارض. في هذه الطبقة تزداد نسبة الاوزون (O_3) ليصبح ١٠ اجــزاء بالمليــون بدلاً مــن ٠٫٠٤ جــزء بالمليــون فــي الطبقــة السفلــى .. وتعتبــر هذه الطبقة مستقرة خاليــة من العواصف لهذا يفضلها الطيارون .

٣ ــ ٢ ــ ١ ــ ٣ : الغلاف العلوي الثاني ــ « الميزوسفير » ــ (Mesosphere)

وهي طبقة الاوزون وتؤدي دور الدرع الواقي من خطر الاشعة فــوق البنفسجية الموجودة بغزارة في الاشعة الشمسية . ان فقدان جــزء من طبقة الاوزون التي تمتد لمسافة ٣٠كم من الارض يؤدي الى سرطان الجلد .

تكوين الاوزون وعمله في حماية البيئة :

يتكون الاوزون من اتحاد الاوكسجين بوجود الاشعة فوق البنفسجية من أشعــة الشمــس[٨] .

" UV radiation "

$$O_2 \longrightarrow O + O$$

$$O + O_2 \longrightarrow O_3$$

كما أن الاوزون يمتص الاشعـة فوق البنفسجية ويحمي الارض مـن مضـارها .

$$O_3 + \text{"UV radiation"} \longrightarrow O_2 + O$$

ويتحـد O مـع أوكسيد النايتروجين (NO_2 or NO) وثاني أوكسيد الكبريـت SO_2 وثانـي اوكسيـد الكاربون CO_2 بوجود المـاء وتتكون الامطار الحامضية .. فهو بمثابة عامل مؤكـد ينظف الجـو مـن الغازات الضارة وان كان للامطار الحامضيـة مضارها .

وهكذا فان الاوزون يتكون ويفقـد يومياً .

ان غـاز الفريـون (Freon) وهو مركب كلور وفلـور وكاربون (Choloro - Fluoro - Carbon) والـذي يستخدم في أجهـزة الثلاجـات والمجمدات وغازات اول اوكسيد النيتروجين المنتشرة من عادمات بعض الطائرات التي تحلق في طبقة الغلاف الجوي الاول تسبب تفكك الاوزون وتحويله الى الاوكسجين العادي وفق التفاعلات الآتية[٣و٨] :

مـع غـاز الفريـون :

طاقـة ضوئيـة

$$CF_2Cl_2 \longrightarrow CF_2Cl + Cl$$

$$Cl + O_3 \longrightarrow ClO + O_2$$

$$ClO + O \longrightarrow Cl + O_2$$

ومع غاز أول اوكسيد النتروجين :

$$NO + O_3 \longrightarrow NO_2 + O_2$$

$$NO_2 + O \longrightarrow NO + O_2$$

٣ ــ ٢ ــ ١ ــ ٤ : الغلاف الحراري (Thermosphere) :

يتميز بحرارتــه المرتفعة ويوجد عدد كبير من الايــونات والالكترونات التي تبقى حرة لقلة الضغط والكثافة في هذا الغلاف[٣] •

٣ ــ ٢ ــ ٢ : الغــلاف المائــي :

ويشمل الانهار والبحيرات والميــاه الجوفية والبحار والمحيطات فــالماء ضروري للحياة •• قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز « وجعلنــا من المــاء كل شيء حــي » • (سورة الأنبياء ، الآية ٣٠) •

٣ ــ ٢ ــ ٣ الغــلاف اليابس :

ويشمل الارض والتربــة التي يتعامل معها الانسان لأغراض الــزراعة والصناعة واستخراج المعادن والمعرضة للتلوث نتيجة لفعالياته المختلفة •

٤ ــ التلوث البيئي (اسبابه وانواعه) :

يتم تلوث البيئة بسبب فعاليات الانسان في أغلب الاحيــان ويتنوع التلوث في ضوء تطور حضارة الانسان ولاسيما في فعالياته الصناعية ويمكن تبويب تلوث البيئة كما يأتي :

٤ ــ ١ تلــوث الهــواء :

الهواء ضروري لبقاء الحياة وان تلوثه يؤثر على صحة الانسان ويمكن أن يعزى تلوث الهواء الى :

٤ ــ ١ ــ ١ ظاهرة البيت الزجاجــي : (Green House Effect)

ان مناخ الكرة الارضية معرض للتغيير وذلك نتيجة لفعاليــات الانسان المختلفة ولا سيما الصناعية • فكثير من المعامل تنفث انــواع الغــازات كثاني اوكسيد الكاربون وأوكسيد النايتروجين والميثان وثاني اوكسيــد الكبريت اضافة الى الحرارة الناجمة من المحركات وأبراج التبريد والافــران • والى غاز ثاني أوكسيد الكاربون الناتج عن حرق الفحم والغاز كطاقة • هذهالغازات تتجمع في طبقة الغلاف السفلي « التروبوسفير » مكونة ما يعرف بظاهرة البيت الزجاجي ــ وهي طبقة تمنع اشعاع الحرارة من سطح الارض وبالتالي زيادة درجات الحــرارة •

٤ ـ ١ ـ ٢ طبقة الاوزون :

ان طبقة الاوزون تحجب الأشعة فوق البنفسجية ولهذا فان حماية هذه الطبقة التي أخذت تنحسر تدريجياً ولاسيما في منطقة القطب هي مسؤولية جماعية لسكان الأرض .

٤ ـ ١ ـ ٣ وسائط النقل والمواصلات :

صاحبت الزيادة في عدد سكان المعمورة والتطور العمراني والحضاري تطوراً في وسائط النقل من قطارات وسيارات وطائرات ، وان ما تنفثه عوادم وسائط النقل من غازات ومخلفات من ذرات المعادن السامة كالرصاص والكادميوم يؤدي الى تلوث الهواء ولاسيما في المدن المزدحمة بالسكان ذات الشوارع الضيقة[٩] وتنبه دراسة للبنك الدولي في عام ١٩٩٣ الى ان تركيز الرصاص في هواء القاهرة قد بلغ خمسة أو ستة أضعاف المعدل المتوسط في العالم . وان نسبته في دمأطفال القاهرة أعلى بثلاث مرات الى خمس مرات من نسبته في دم أطفال الريف المصري[١٠].

٤ ـ ١ ـ ٤ : التلوث الذري :

نتيجة للحاجة الى مزيد من الطاقة فقد اتجهت بعض الدول المتقدمة الى استخدام الطاقة الذرية لتوليد الطاقة الكهربائية وذلك عن طريق تحول أنوية العناصر المشعة الثقيلة الى أنوية عناصر أخف منها ، ويوجد أربع نظائر مشعة حالياً تعتبر مناسبة لحدوث هذا الانشطار النووي وهي : اليورانيوم ٢٣٣، اليورانيوم ٢٣٥ ، البلوتونيوم ٢٣٩ وبلوتونيوم ٢٤١ .

ويحدث الانشطار نتيجة تصادم نيوترون ونواة ثقيلة قابلة للانشطار فتنشطر النواة الثقيلة الى نواتين أخف وزناً ويتحرر نيوترونان أو أكثر وان كتلة الجسيمات الناتجة عن التفاعل أقل من مجموع كتلة النواة والنيوترون المتفاعلين والفرق بين الكتلة هو الذي يظهر على هيئة طاقة[٣] .

كمية الطاقة = الكتلة × سرعة الضوء .

واذا تفاعل أحد النيوترونات الناتجة مع نواة أخرى قابلة للانشطار حدث انشطار جديد وتخرت طاقة جديدة وتنتج نيوترونات جديـدة واذا تكررت الانشطارات فانه يحصل مايسمى بسلسلة الانشطار النووي[٣] .

لقد أغرت الطاقة الذرية الكثير من الدول نتيجـة لتطور التقنيـات ومنافسة التكاليف .. الا أن تسرب الاشعاعات النووية كما حـدث في مفاعل تشيرنوبيل في أوكرانيا أحدث رعباً عالمياً وعزوفاً عن الاستمرار ببناء المحطات النووية . لأن مثل هذه الاشعاعات لايمكن حصرها في منطقة ضيقـة بـل تنتشر في مناطق وأقطار عديدة . اضافة الى المشاكل التي تجابه خزن النفايات النووية .. ومعلوم أن مفاعـل ديمونا « الاسرائيلي » بسبب قدمه وطبيعـة المنطقة المعرضة للزلازل قد يؤدي الى تلوث الهواء اضافة الى خطر تلوث المياه الجوفية بسبب خزن النفايات النووية مما يعرض الأقطار العربية للخطر[١١] .

٤ ـ ٢ تلـوث المياه :

ان تلوث المياه يؤثر على الطبيعة والكائنات الحية . وتعزى أسـباب تلوث المياه الى عوامل عديدة منها :

٤ ـ ٢ ـ ١ الفضـلات الصناعيـة :

أدى التطور الصناعي في الدول المتقدمة خلال القرنين الماضيين الى بروز فضلات صناعية بكميات كبيرة ومتنوعـة كانت تجد طريقهـا الـى الأنهار والبحيرات مما جعل مياههما غير صالحة للاستخدامات البشرية وتهـدد الكائنات الحية فيهمـا بسبب التلوث .

٤ ـ ٢ ـ ٢ البـزل والمجـاري :

ان رمي مجاري المياه الثقيلـة دون اجراء عمليـات التصفية المطلـوبة ـ ولا سيما في الـدول النامية ـ ومصبات المبازل بما تحتويه مـن أمـلاح تؤديان الـى تلـوث مياه الانهار .

٤ ـ ٢ ـ ٣ ناقلات النفط والبواخر :

ان جنوح بعض ناقلات النفط العملاقة وغرقها يؤديان الى تلوث مياه البحر والسواحل بالنفط مما يعرض الكائنات البحرية الحية اضافة الى أنواع الطيور التي تقطن الشواطيء والسواحل للخطر . كما أن البواخر ووسائل النقل النهرية والبحرية تؤدي الى تلوث المياه بما تفرزه من فضلات .

٤ ـ ٢ ـ ٤ المياه الجوفية :

تمتد العديد من المناطق في العالم على المياه الجوفية كمصدر للمياه لأغراض الاستخدامات البشرية وللزراعة . وتتعرض المياه الجوفية للتلوث من خلال الأملاح الموجودة بالتربة ومن خلال مشاكل الصرف الصحي في المدن التي لاتمتلك شبكة مجاري أو بسبب انسداد الشبكة وتعطيل وسائل الصرف الصحي وضعف طاقة المحطات على سحب المياه الملوثة .. اضافة الى قدم أنابيب شبكة المياه وتآكلها في المدن مما يؤدي الى نضوح المياه الملوثة بعض العناصر[١٢] . كما أن خزن النفايات النووية بشكل غير محكم قد يؤدي الى تلوث المياه على المدى البعيد .

٤ ـ ٢ ـ ٥ الأمطار الحامضية :

في بعض الأقطار الصناعية حيث يكون الجو مشبعاً بثاني أوكسيد الكاربون (بسبب حرق الفحم والغاز وتلوث الهواء من الصناعة وعوادم السيارات) والغازات الأخرى ، تكون مياه الأمطار ملوثة لاحتوائها على الأمطار الحامضية حيث يصل الأس الحامضي (PH) ٤ـ٥ في بعض الأحيان .

٤ ـ ٣ تلوث التربة :

التربة هي الوسيط الثالث لتلوث البيئة ويمكن أن يتم ذلك بالطرق الآتية :

٤ ـ ٣ ـ ١ الفضلات الصناعية :

غالباً ماتكون التربة قرب بعض المصانع ملوثة بنفايات المعامل وبعضها بالعناصر الثقيلة . كما أن التربة السطحية معرضة للتلوث بالمواد المصنعة التي

يرميها الانسان بعد استخدامها كالعبوات الزجاجية والبلاستيكية والمعدنية والورقية .

٤ - ٣ - ٢ التصحر :

مشكلة تجابه الكثير من دول العالم الثالث نتيجة لتبدل المناخ أو فقدان الغطاء النباتي أو قطع الأشجار أو الرعي الجائر مما يؤدي الى تعرية التربة والتصحر في حالة الجفاف .

٤ - ٣ - ٣ الاستخدام الجائر للثروات المعدنية :

ان حاجة البلدان المتقدمة للمواد المعدنية الأولية بشكل متزايد أدى الى تخريب البيئة في الدول النامية وذلك بسبب الاستخدام الجائر للثروات الطبيعية حيث غالباً ماتكون نسبة المعادن المستخرجة من التربة نسبة ضئيلة تقل عن ١٠٪ وتترك التربة الباقية بشكل يؤثر على البيئة .

٤ - ٤ اسباب اخرى :

٤ - ٤ - ١ : الكوارث الطبيعية :

ان بعض الكوارث الطبيعية كالبراكين والهزات الأرضية والحرائق والفيضانات وغيرها تؤدي الى تلوث البيئة وتؤثر على الطبيعة . ان بعض هذه الكوارث يمكن أن يؤثر على المفاعلات النووية وخزين الأسلحة الكيمياوية والبايولوجية فتؤدي الى تلوث البيئة والى كوارث انسانية مفزعة .

٤ - ٤ - ٢ التلوث الطبيعي (الضوضاء) :

تعتبر الضوضاء الناتجة عن ضجيج حركة السيارات والقطارات والطائرات وأعمال صيانة الطرق والمعامل الصناعية وأجهزة التكييف المنزلية وآلات تكبير الصوت في الأماكن الخاصة والعامة مؤثرة على راحة الأنسان وسلامته وعلى البيئة التي يعيش فيها .

ومن استعراض الاسباب السابقة يتضح أنه بينما تؤدي مشاكل الدول النامية الى تخريب محيطاتها البيئية فان الدول المتمدنة بتقدمها تؤدي الى تلوث البيئة على نطاق عالمي[١٣] .

٥ ـ دور التربيـة والتعليـم في حماية البيئة :

كانت للبيئة وسلامتها مكانة خاصة فـي التراث والحضـارة العـربية الاسلامية • فالتوصية بعدم قطع الأشجار والاهتمام بزراعتها وتكثير النخيل والعناية بنظافة الانسان وتخطيط المدن وأخذ التهوية واتجاه الـريح وحجـب أشعة الشمس حينما يتطلب ذلك بنظر الاعتبـار وبناء الحمامـات والاهتمام بوسائل الصرف الصحي قد سبقت حضارة الغرب بعدة قرون •

ونتيجة للتطور الصناعي فقد ظهرت آثار تلوث البيئـة وأهمية حمايتها في الدول المتقدمـة وبشكل بارز في الربع الأخـير من هذا القرن فتأسست في أوروبا حركـات وأحزاب سياسية تتوجـه مبادئهـا الأساسية الى حماية البيئة • ولما كان التلوث مصاحباً للتطور الصناعـي وبناء الحضارة الأنسانية فليس من المعقول المطالبة بايقاف التطور بل من المنطق التفكير الجدي بمعالجة حالات التلوث والتقليل من آثارها بواسطة البحث العلمي •• وتربية المواطنين وزيادة وعيهم بأهمية المحافظة على سلامة البيئة •• وتؤدي التربية والتعليـم دوراً أساسياً لتطويع التطور الصناعي مستقبلاً بما لايتعارض وسلامة البيئة•

٥ ـ ١ نشوء التعليم البيئي الحديث :

٥ ـ ١ ـ ١ مؤتمر ستوكهولـم :

يعود الاهتمام بالتعليم البيئي الحديث الى مؤتمر الأمم المتحـدة حول «بيئة الانسان » والذي انعقـد في ستوكهولم في السويد عام ١٩٧٢ وطلب من منظمات الأمم المتحدة ولاسيما اليونسكو وضع خطوات عالمية للتعليـم البيئـــي •

٥ ـ ١ ـ ٢ نـدوة بلغـراد :

عقدت ندوة بلغراد ــ يوغسلافيا حول « التعليم البيئي العالمي » عـام ١٩٧٥ وأشار بيـان بلغراد الى التطور الاقتصادي والتقني الذي أفاد البشرية ولكنه أدى الى مشاكل اجتماعية وبيئية وتفاوت بين الدول الفقيرة والغنيـة

وأحدث تفاوتاً طبقياً في البلدان . وان تلوث البيئة في البلدان الصناعية يؤثر على البشرية جمعاء . ولهذا فانه كلما زادت معلومات الناس حول البيئة تسارعت الحلول وأصبحت أكثر جدية[١٤] .

٥ ـ ١ ـ ٣ مؤتمر تبليزي :

عقدت اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة لشؤون البيئة (UNEP) مؤتمراً عالمياً حول « التعليم البيئي » في تبليزي ـ الاتحاد السوفيتي السابق ـ وذلك عام ١٩٧٧ ووضع المؤتمر تصوراً للتعليم البيئي وأكد الحاجة لتقييم مستمر للتعليم البيئي معتمداً على خطوات أربع[١٥] :

- ماذا نقيم ؟
- كيف نخطط للقيام بذلك ؟
- عملية اجراء التقييم .
- استخدام النتائج كمدخلات لتطوير التعليم .

٥ ـ ١ ـ ٤ مؤتمر موسكو :

لوضع ستراتيجية عالمية واتخاذ خطوات عملية في مجال « التعليم والتدريب البيئي في مرحلة التسعينات » عقد مؤتمر موسكو ١٩٨٧ بالتعاون بين اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة لشؤون البيئة(UNEP) [١٦] .

٥ ـ ١ ـ ٥ مؤتمر ريودوجانيرو :

شكلت الأمم المتحدة عام ١٩٨٣ الهيئة العالمية حول البيئة والتنمية التي قدمت تقريرها « مستقبلنا الموحد » عام ١٩٨٧ وأشارت فيه الى أنه من الصعب الفصل بين التنمية والبيئة وان الحكومات والأفراد ليسوا معنيين بالأخطار التي تهدد البيئة فحسب انما بتحليل الأسباب المؤدية الى ذلك .

وفي ضوئه عقد مؤتمر الأمم المتحدة في ريودوجانيرو ـ البرازيل ـ عام ١٩٩٢ حول البيئة والتنمية الذي عرف بمؤتمر الأرض وحظي باهتمام

عالمي كبير .. توالت بعده المؤتمرات والندوات القطرية والاقليمية والعالمية واصبح موضوع سلامة البيئة من المواضيع الساخنة والمطروحة للبحث على مختلف المستويات .

٥ ـ ٢ الستراتيجية والاهداف للتعليم البيئي :

٥ ـ ٢ ـ ١ ستراتيجية التعليم البيئي :

تركز ستراتيجية التعليم البيئي على تكوين قدرات تساعد على :

ـ منع التلوث .

ـ ايجاد الحلول عندما يحدث التلوث .

ـ تأكيد التنمية النظيفة .

فالتعليم البيئي يدرس المشاكل ويجد الحلول ويرفع شعار « فكر عالمياً وتفذ محلياً »[١] . ذلك لأن عناصر البيئة تكون نظاماً بيئياً له وحدة متكاملة وان التلوث قد لاينحصر بمنطقة محددة بل ينتشر الى أقطار عديدة ولكن معالجته تكون أسهل بمعالجة بؤرة التلوث .

٥ ـ ٢ ـ ٢ اهداف التعليم البيئي :

تتعامل التربية البيئية مع ثلاثة حقول :

ـ التعليم الذي يخص البيئة .

ـ البيئة وسيلة تعليمية .

ـ زيادة وعي الأفراد والمجاميع الذين يعيشون في بيئة معينة بالشعور بالمسؤولية لتحسين نوعية البيئة لمنفعة المجموع .ويلخص خالد حمد الشيخ[١٣] أهم أهداف التعليم البيئي بما يأتي :

١ ـ تكوين فهم لأساسيات المبادىء الطبيعية وتقاليد العيش مع الطبيعة واحترام الحياة بكل أشكالها .

٢ ـ ادخال المسائل البيئية بمناهج التعليم من أجل جعل الناس يحترمون البيئة .

٣ ـ تسهيل مهمة المربين والمفكرين وتشجيعهم على نشر المعلومات حول البيئة وتبادل المعلومات حول طرق اثارة الناس بأهمية مشاكل البيئة .

٤ ـ تكوين سياسات وطرق عمل مصممة لتحويل مواقف الناس وتصرفاتهم لمصلحة حماية البيئة .

٥ ـ ٢ ـ ٣ اسس التعليم البيئي وتوجهاته :

يتعامل التعليم البيئي مع عوامل عديدة متداخلة ومعقدة : اجتماعية وفيزيائية وحياتية (بايولوجية) ، اسسها عامة يمكن أن تطبق على نطاق محلي، وطني ، اقليمي ، وعالمي . فالبيئة تهم المواطن من الاعتناء بغرفته وصحته وبيئته ومدرسته ومدينته ، الى تبدل درجات الحرارة ومناخ العالم . انها تتعامل مع ادارة الأراضي واستخدامها ، وتخطيط المدن ، والمحافظة على الغابات والتعامل مع المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية والمحيطات والجو[1] .

فالتعليم البيئي يجعل الطالب مثلاً يعي ان قطع شجرة يحرم الانسان من منظرها الجميل المريح للعين، ومن رائحة أزهارها المعطر للجو ومن ثمرها ومن قدرتها على حجب الغبار وتصفية الهواء ومن اعادتها للأوكسجين ومن حمايتها للتربة من الانجراف والوقاية من زحف الصحراء ومن استضافتها للطيور ومن جلبها للامطار وتأثيرها في المناخ ومن .. ومن الكثير[2] .

والتعليم البيئي يجعل الطالب يعي أهمية اعادة المواد والفضلات العضوية المتجمعة في المدينة لتكوين الأسمدة لتحسين التربة ، وأهمية اعادة تصنيع الأوراق والعبوات المعدنية والزجاجية والبلاستيكية والاستفادة منها اقتصادياً اضافة الى تخليص البيئة من آثارها السلبية .

ان التعليم البيئي يهدف الى تكوين قيم انسانية . فعلاقة الانسان بالمحيط تتأثر بعلاقته بالانتاج والاستهلاك لتلبية حاجات المجتمع ، وان النزعة لاستغلال الموارد بأقصى سرعة قد يؤدي الى نفاذها .. ولهذا فان التعليم

البيئي يعمل على تكوين وعي بأهمية الطبيعة ومواردها وبمـــا يؤدي الى الاستغلال العقلانـــي لهـــذه المـــوارد .

٥ ـ ٣ مراحل التعليـــم والمناهـــج :

نظراً للطبيعة المعقدة والمزدوجة لمشاكل البيئة فان التعليم البيئي يتطلب دراية بمختلف العلوم : الانسانية والاجتماعيـــة والطبيعيـــة والفيزياويـــة والكيمياوية والتكنولوجية . وان توزيع المادة بمفردات ومناهج ودروس يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار المرحلة الدراسية وعمر الطالب . فالتعليم البيئي يشمل: احتمالات ، مشاكل وحلول ، منهج ومفردات ، مواد ، وسائل ايضاح وأجهزة علمية ، زيارات حقلية ، وتدريب معلمين .

ان تكوين مواد المنهج ومفرداته وطرق التدريس في التعليم البيئي يجب أن تدقق وتقيم ، وان النجاح يعتمد الى حد كبير على مدى تقبل المعلمـــين وانسجامهم وقناعتهم بالتعليم البيئي لذلك فان إعداد المعلمـــين وادخالهـــم دورات خاصة ضروري للوصول الى الهدف . وان النهج الفعال هـــو الذي يعلم الطالب كيف يتعامل مع البيئة والمحيط ويساعده على تطوير معلـــوماته وقابلياته لبحث المشكلة وتقييم آثارها واتخاذ القرار المناسب بصددها .

ان البرنامج العالمي للتعليم البيئي (IEEP) الذي وضع مـــن قبـــل اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة لشؤون البيئة (UNEP) عـــام ١٩٨٧ قدم دراسات حول طريقة تدريس البيئة ومحتواها وجمع احصائيات حول التعليم البيئي ومفردات المناهج المقترحة وطرق التدريب [١٧و١٨] .

وقد ظهرت وجهتا نظر بالنسبة للتعليم البيئي :

١ ـ تعليم البيئـــة في دروس مستقلة .

٢ ـ تعليـــم البيئـــة في دروس متداخلـــة ومتزاوجة مع العلـــوم الطبيعيـــة والانسانيـــة والتطبيقيـــة .

وقد أخذت منظمة اليونسكو بالتوجه الأخير بشكل عام بعد مؤتمر ريودوجانيرو وذلك لأن مسوحاتها تشير الى أن التنسيق بين الاختصاصات المختلفة في تعليم العلوم ليس جديداً وان مناهج العلوم ومفرداتها تحتوي على مواضيع تخص البيئة ولكن ماهو مطلوب اعادة بناء المحتوى والتنسيق المنتظم والمتداخل بين علوم الحياة والكيمياء والفيزياء وعلم الأرض والطبيعة ... الخ . لتكون مفردات العلوم ومناهجها متناسبة ومتناسقة مع وجود مشاكل عملية محلية لتقوي الجانب العملي والتطبيقي بما يناسب فلسفة التعليم البيئي .

ان ما ينبغي أن يحققه تدريس الغلاف المائي على سبيل المثال[٣] :

« أنواع المياه الموجودة ، أسماء المحيطات والبحار ، أهمية الماء العذب للانسان وضرورة الاقتصاد في استهلاك الماء ، الشروط الصحية للماء ، مواصفات المياه المالحة ، الفائدة من المحيطات والبحار ، حماية الملاحة (القوانين الدولية) ، الكائنات الحية في المياه ، الوزن النوعي للماء ، الأمواج ، المد والجزر وأثرها على الانسان ، تنظيم الصيد المائي ، استخراج المرجان ، أهمية الأمطار ، اقامة السدود وفوائدها وسلبياتها ، طرق الري ، البرق والرعد ، الجليد ، حضارة الانسان وقيامها على ضفاف الأنهار ، نصيب الفرد من الماء ، دور الماء في الصناعة ، أثر الماء على الحدائق والزراعة ، أثر الأمطار على نمو الغابات ، التحليل الكهربائي للماء ، ...الخ » . وهكذا يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار عند تدريس الغلاف المائي النواحي العلمية والحياتية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ولتقريب وجهة النظر للطالب فمن المفيد أن تشمل الأنشطة التطبيقية والعملية زيارات لبعض الأنهار والسدود ومحطات تصفية المياه وبعض المزارع والقرى القريبة . وما يقال عن الماء ينطبق على الهواء والتربة والطاقة.

ان التربية والتعليم البيئي يخصان ثلاثة قطاعات : القطاع الرسمي والقطاع غير النظامي والقطاع الجماهيري .

٥ ـ ٣ ـ ١ التعليم الرسمي :

التعليم البيئي هو نمط من التعليم ينظر الى البيئة بوصفها مصدراً علمياً وأخلاقياً يستخدم مدى الحياة ويساعد الناس على زيادة وعيهم بأهمية البيئة ومشاكلها ودورهم في حمايتها . والتعليم البيئي يدخل في مختلف مراحل التعليم : الابتدائي والثانوي . والتقني والجامعي . وان اختيار المحتويات للتعليم البيئي يجب أن ينسجم مع الفهم العالمي لمشاكل البيئة ولكن الاختيار التطبيقي يفضل أن يكون من محيط الطالب وبيئته المحلية .

٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ١ : التعليم الابتدائي :

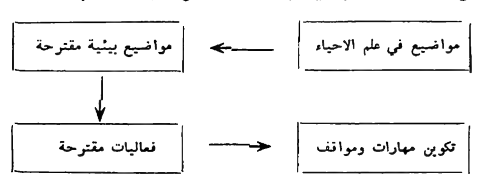
ان الهدف الرئيس من التعليم البيئي في المرحلة الابتدائية هو تعريض الطفل لمفهوم البيئة وزيادة وعيه بأهمية سلامتها .

ولادخال التعليم البيئي في مفردات الدراسة الابتدائية ومناهجها وجعلها مادة لها أثرها يتطلب أن نعرف كيف يفكر الأطفال ، ومن المفيد أن يكتشف الأطفال الطبيعة بشكل متدرج ويصلون الى قناعات بطرقهم الخاصة ، فالمحيط داخل المدرسة وخارجها هو مختبر الحياة ، وان استشفاف التغيرات البيئية وتقبلها يتبدلان مع نمو الانسان .

ان التعليم البيئي في الدراسة الابتدائية يمكن أن يركز عليه في درس العلوم العامة . فمثلاً ان دراسة البيئة من خلال النباتات والحيوانات يؤدي بالأطفال الى تفحص طرق البقاء للكائنات الحية ويجذب اهتمامهم أكثر لاسيما عند زيارة حدائق الحيوانات والمنتزهات والغابات . ويمكن للآباء والمعلمين أن يساعدوهم بتعريضهم لنماذج مختلفة من الكائنات الحية عن طريق الأفلام العلمية وبرامج التلفزيون وكتب الأطفال .

٥ ـ ٢ ـ ١ ـ ٢ : التعليم الثانوي :

عند دخول الطالب مرحلة الدراسة المتوسطة والثانوية يكون قد أصبح أكثر نضجاً : ويمكنه استيعاب الدروس المختلفة .. ومواضيع البيئة تدخل في مناهج العلوم ففي درس الأحياء (البايولوجي) يمكن أن تؤدي مفرداته الى التفكير والتذكير بفعاليات بيئية مختلفة تخص الحيوان والنبات[١٩،٢٠] .



وفي الكيمياء مثلاً يمكن أن يدرس الطالب دورة النيتروجين ، الكبريت وأثره في تكوين الأملاح بالتربة وتلوثها ، الأمطار الحامضية ، طبقة الأوزون والتفاعلات الكيمياوية المؤدية لها ... الخ .

وفي الفيزياء : يمكن الاشارة الى المفاعلات الذرية والاشعاع الذري .

وفي علم الاقتصاد : التوجه الى حساب تكاليف البيئة كعامل عند تحليل الجدوى الاقتصادية للمشاريع فالطبيعة نفسها هي درس عملي في دراسة البيئة .

٥ ـ ٢ ـ ١ ـ ٣ التعليم المهني والفني :

ان طلبة التعليم المهني والفني بحاجة ماسة الى التعرض للتعليم البيئي فطلبة القطاع الزراعي يتعاملون مع المحاصيل والتربة والغابات وطلبة القطاع الصناعي معنيون بالمعامل والسيارات والفضلات التي تطرحها وآثارها السلبية على البيئة وصحة الانسان ، وطلاب ثانويات التجارة ومعاهد الادارة يهمهم الجانب الاقتصادي كالاقتصاد بالوقود وان حل مشاكل البيئة في المشاريع

الصناعية منذ البداية أقل كلفة من المعالجة فيما بعد بسبب الأثر التراكمي للمشاكل البيئية .

٥ - ٢ - ١ - ٤ التعليم الجامعي :

يختلف التعليم البيئي في الكليات والجامعات عن التعليم العام ، حيث يتطلب من الطالب الالمام بالمعلومات الأساسية التي تساعده في مهنته المستقبلية . فالمواد الأساسية التي تخص الطبيعة والتكنولوجيا والمجتمع يجب أن تشمل بالدروس لتكون مواد دراسية مختلفة ولكن منسجمة مع هيكل التعليم الجامعي الذي يجب أن يهيء الطالب للتفكير والتحليل والربط والابداع .

وقد أكد المشاركون في الحلقة الدراسية التي عقدت في بودابست - المجر - ١٩٨٣ حول دور الجامعة في التعليم الجامعي المواضيع الآتية[١]:

١ - الجامعة ومبدأ التعليم البيئي : لاسيما ان الجامعة بطبيعتها تضم اختصاصات واهتمامات مختلفة .

٢ - محتوى التعليم الجامعي ومشاكل البيئة : حيث اعتبرت الحلقة أن هناك دروساً واختصاصات محددة ضرورية لتكوين الاختصاصات العامة في التعليم البيئي .

٣ - التداخل في العلوم بالنسبة لمشاكل البيئة .

٤ - الأساتذة وطرق التعليم : تحدث بعض الصعوبات بالنسبة للتعليم البيئي لكونه موضوعاً جديداً وان الكثير من الأساتذة والاداريين يرون ان علم البيئة لايكوّن اختصاصاً حقيقياً بحد ذاته .ولهذا يجب توفير حوافز لجعله أكثر جاذبية .

٥ - مبدأ التعليم المستمر : وذلك نظراً للتطورات والمستجدات في هذا العلم. ويمكن تصنيف الطلبة الجامعيين المعنيين بالتعليم البيئي الى صنفين هما :

أ ـ الطلبة المعنيون بالعلوم : وهم طلبة علوم الحياة ، الهيدرولوجي، الطبيعة ، الغابات ، المحاصيل الزراعية ... الخ .

ب ـ الطلبة المعنيون بالنشاطات العامة : وهم المهندسون ، المعماريون ، مخططو المدن والاقتصاديون والصناعيون ... الخ .

٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ٥ اعداد المعلمين وتدريبهم :

يؤدي المعلمون دوراً أساسياً في التعليم البيئي ولهذا فأن اعدادهم وتدريبهم يأتي في مقدمة الفعاليات من حيث الأهمية . ا نتعرضهم قبل الخدمة وأثنائها للبرامج التدريبية يؤهلهم للالمام بمشاكل البيئة وادخال التعليم البيئي بطرق التدريس .. لذلك من الضروري ادخال الجوانب البيئية النظرية والعملية في مناهج معاهد وكليات المعلمين ومفرداتها ومن الضروري أيضاً تنظيم ندوات ودورات حول التعليم البيئي للمعلمين والمدرسين السابقين الموجودين بالخدمة لكي تساعدهم على مواكبة المناهج الجديدة .

٥ ـ ٣ ـ ٢ التعليم غير النظامي

ان غالبية سكان العالم لايزالون يتعلمون خارج الصفوف المدرسية ولهذا فان التعليم غير النظامي بالنسبة للبيئة مهم جداً ، وان المخططين التربويين يعون أهمية الموازنة بين التعليم النظامي وغير النظامي لتطوير النظام الوطني للتعليم .. ان التعليم غير النظامي هو تعليم بواسطة التعلم الذاتي وبما يساعد على تحسين فهم المواطنين وزيادة وعيهم بأهمية البيئة والمحافظة على سلامتها. وفي الدو لالنامية هناك حاجة الى برامج محو الأمية البيئية .

٥ ـ ٣ ـ ٣ دور وسائل الاعلام والمنظمات الجاهيرية :

ان وسائل الاعلام المختلفة كالتلفزيون والمذياع والصحف والمجلات يمكن أن تؤدي دوراً مهماً في التعليم ونشر الثقافة البيئية وتنبيه الرأي العام حول أهمية مواضيع البيئة[٢١] ويمكن أن تؤثر ايجابياً على متخذي القرار. ويمكن لمراكز الشباب والمنظمات الجماهيرية والمؤسسات الثقافية والعلمية

ومجالس الآبـاء أن تسهم بعقد النـدوات والمؤتمرات حـول مشاكـل البيئة سواء كانت مشاكل محلية ، وطنية ، اقليمية أم عالمية .

٦ ـ البحث العلمـي وحماية البيئـة :

٦ ـ ١ البحـث العلمـي :

البحث العلمي هو جهد منظم يجري في جو من الحرية والرغبة والحافز وبعقل مفتوح للوصول الى الحقيقة . وبحوث البيئة متنوعة يمكن أن تكون بحوثاً أساسية أو تطبيقية وبعضها يصنف جزءً من نشاطات البحث والتطوير. لهذا فان مراكز البحوث والكليات والجامعات والمنشآت والشركات الصناعية مسؤولة عن البحوث البيئية بما يخص تلوث الهواء والماء والتربة .

٦ ـ ٢ الخطوات المتبعـة في بحوث البيئـة :

ان الخطوات المتبعة في البحث العلمي لحل مشاكل البيئة تشمل مايأتي :

١ ـ الاكتشاف والتشخيص : ويشمل التوصل الى معرفة المشكلـة ثم تحليل أسبابهـا وتأثيراتها .

٢ ـ المعالجة : وتشمل تكوين الحلول الممكنة وتقويمها ووضع خطة عمـل للتطبيـق .

٦ ـ ٣ بعض بحوث البيئة التي تستحق الاهتمام :

٦ ـ ٣ ـ ١ الطاقـة النظيفة :

بعد حادث مفاعل شرنوبيل واستمرار الحاجة الى مزيد من الطاقة لاستمرار الحضارة أخذت البحـوث تتوجه الى الطاقـة الذرية الاندماجية بـدلاً من الانشطاريـة التي تسبب الرعب لبني الانسان .

وتتوجه الأنظـار الى الطاقـة الهيدروجينية وكيفية تذليـل الصعوبات التكنولوجية بخزنها ونقلها . كما تحضى البحوث الرامية الى زيادة كفـاءة الطاقة الشمسية ، اضافـة الى تحسين نوعية الوقـود المستخدم بوسائط النقل لتقليص تلوث البيئة بعناية الباحثين واهتمامهم .

٦ ـ ٣ ـ ٢ بحوث تلـوث الميـاه :

ما زالت أغلب الدول النامية تعاني من مشكلة شحـة المياه الصالحة للشـرب بسبب ضعف امكانياتها المادية وزيـادة السـكان ٠ وان أغلب هذه الدول تفتقر الى شبكات مجاري المياه الثقيلة والتصريف الصحي في مدنهـا المزدحمة بالسكان ٠ ان تلوث مياه الأنهار والمياه الجوفية بحاجة الى أبحـاث مستمرة لمعرفة نوعية التلوث والعلاج الاقتصادي المطلوب ٠ أما في الـدول المتقدمة فان أغلب الأنهار كانت ملوثة بالفضلات الصناعية ٠

٦ ـ ٣ ـ ٣ بحوث تلـوث التربة :

ان بحوث التصحر وتثبيت الكثبان الرملية وانجراف التربة وتعريتهـا وتملحها تأتي في مقدمة البحوث المطلوب معالجتها في الوطن العربي ٠

٧ ـ التوصيـــات :

ان اهتمـام القيادة السياسية في العراق بالمحافظة على سلامة البيئة والتشريعات الصـادرة بهذا الخصوص تضـع على عاتق المؤسسات التربوية والثقافية والعلمية مهمات جديدة تتناسب مع مهامها في اعـداد جيل المستقبل لزيادة وعي النـــاس وتحسين الألفة بينهم وبين الطبيعة ويمكـن تقديـم التوصيـات الآتيـة :

١ ـ ادخال التعليم البيئي في مختلف مراحل الدراسة ٠

٢ ـ ربط التعليم المدرسي بالحقل وجلب انتباه الطلبة الى المشاكل التي تتعرض لبيئتهـم ومنطقتهم ٠

٣ ـ ادخال التعليم البيئي في مناهج معاهد وكليات اعداد المعلمين ٠ وان تهيء دورات للتعليم المستمر في أثناء الخدمة للمعلمين والمدرسين ٠

٤ ـ تقييم مناهج التعليم البيئي من قبل الطلاب والمدرسين وادخال التعديلات عليها كلما تطلب الأمر ذلك ٠

٥ ـ استخدام وسائل الاعلام المختلفة والمساجد لاثارة اهتمام المواطنين بسلامة البيئة .

٦ ـ الاهمام بالحدائق والمتنزهات العامة وحدائق الحيوان والمحميات الطبيعية وتكثير الغابات وتحفيز المواطنين للمحافظة على الثروات الطبيعية .

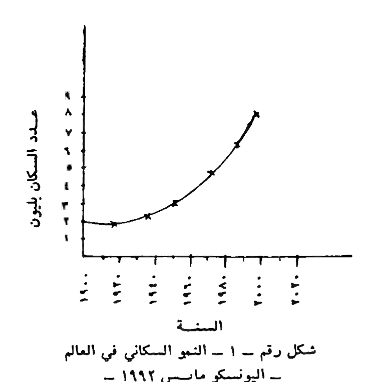
٧ ـ عقد الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية حول التعليم البيئي .

٨ ـ تشجيع الكليات والجامعات ومراكز البحوث لاجراء مزيد من البحوث حول مشاكل البيئة .. ومعرفة تلوث البيئة الحاصل نتيجة للعدوان الامريكي على القطر وكيفية معالجته .

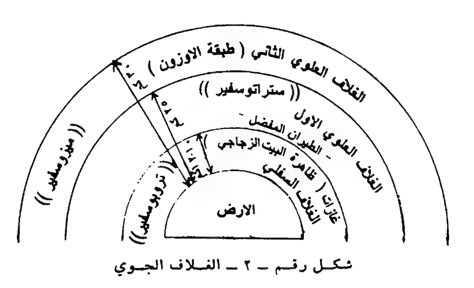
٩ ـ اشراك المنظمات الجماهيرية والمهنية بتحريك المواطنين وتوعيتهم بأهمية المحافظة على سلامة البيئة .

وبذلك تكون قد أسهمنا في سلامة بيئة وادي الرافدين بمياهها العذبة وهوائها النقي وتربتها الغنية .

* * *



شكل رقم ـ ١ ـ النمو السكاني في العالم
ـ اليونسكو مايــس ١٩٩٢ ـ



شكــل رقــم ـ ٢ ـ الغــلاف الجــوي

المصـــــــادر

1- Adnan Badran "The Role Of Education In The Protection Of Environment" Presented at the conference on environment & development in the Islamic World Kuala Lumpur Malysia. Islamic Academy of sciences Aug 1992.

٢ ـ د. سعاد العزاوي . من يحمي البيئة في العراق
جريدة الثورة ـ بغداد ـ ١٩٩٦/٨/٢٥

٣ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : «مكونات البيئة من منظور التربية البيئية في مناهج التعليم بالوطن العربي » . تونس ١٩٨٧ .

٤ ـ دراسة صادرة عن البنك الدولي : « البيئة والمجتمع » حزيران ١٩٧٥ .
ترجمة هيفاء الرفيعي ـ مركز البحوث الاقتصادية والادارية ـ جامعة بغداد ـ ١٩٧٦ .

٥ ـ جانيت خضر بني ـ « البيئة ومشكلاتها »
قسم التوثيق والدراسات ـ المديرية العامة للتخطيط التربوي ـ وزارة التربية ـ الجمهورية العراقية ـ بغداد ـ ١٩٨٣ .

٦ ـ أحمد رشيد ـ « علم البيئة » معهد الاتحاد العربي لبنان ـ ١٩٧٦ .

٧ ـ د. منير بني ـ « مشكلة التلوث البيئي » .
مجلة علوم ـ العدد ٨٥ ـ بغداد ١٩٩٦ .

8. N. A. Armstrong & M. S. Armstrong
"The Ozone Layer Controversy"
Academy of the Kingdom of Morocco, 1 st. session, Casablanca May 1993.

9- Haward A. Bridgman -
"Global Air Pollution: Problems for the 1990's"
London: Belhaven press- 1990.

10- Nigel Harris "Transportation & Economic Survival of Cities" The Urban Age, Vol. 2, NO. 1, Fall 1993.

١١ ـ علي زيدان « مخاطر التلوث النووي الاسرائيلي والتخريب البيئي في الوطن العربي » .
المستقبل العربي ـ العدد ٢١٠ .
مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ، آب ١٩٩٦ .

١٢ ــ عادل مصطفى احمد « المدينة المعاناة في الوطن العربي ــ دعوة الى التعاون بين المدن العربية »
المستقبل العربي ــ العدد ٢١١ .
مركز دراسات الوحدة العربية ــ بيروت ، أيلول ١٩٩٦ .

13- Kahalid H. Sheikh ١٣ ــ خالد حمد الشيخ
"The Role Of Education In Environmental Protection" Proceeding of the conference on environmental & development in the Islamc World.
Kuala Lampur Malaysia. Islamic Academy of Sciences, Aug 1992.

14- International Environmental Education.
Workshop - Belegrad - 1975.

15- UNESCO - NUEP "International Conference On Environmental Education "Tbilisi - U. S. S. R, 1977. Final report, Paris 1978.

16- UNESCO - UNEP "International Strategy for Action in The Field Of Environmental Education And Training For The 1990's" International Conference on Environmental Education and Training. Moscow 1987 (Final report Paris 1988).

17- Sytnjk, K. M. Chevedn, Chenco, L.S., Sakhaev, V. G. Lebedinsky. YU. P., Voloshin, V. V. and V. A. Kolybin
"Living In The Environment: A Source Book For Environmental Education". Unesco & United Nation Environment Program (U N E P) 1985.

18- UNESCO & UNEP "International Stratege For Action In The Field Of Environ Education & Training For The 1990's".
UNESCO - Paris, UNEP - Nairobi - 1987.

19- Hernendez. D. F.
"A. Curriculum Guide To Teachnig About Health". In Education & Health, edited by Kelly, P. J. & J. L. Lewis, Pergamon Press. Oxford 1987.

20- King, K. W. "Environmental Aspect Of Health Education"
In Education & Health edited by Kelly, P. J. & J. L. Lewis, Pergmon Press, Oxford, 1987.

٢١ ــ حيدر كمونة : « دور أجهزة الاعلام في حماية البيئة من التلوث »
ــ جريدة الثورة ــ العدد ٦٦٩ بغداد ــ ٢ أيلول ١٩٩٦ .

السلطة المركزية واثرها في حركة الاصلاح في المغرب الاقصى

أ. د. ابراهيم خلف العبيدي
عضو المجمع العلمي

إن مفهوم الفكر الاصلاحي في المغرب ، هو رد فعل اسلامي ووطني، ووسيلة لبعث اليقظة والنهضة ، وزرع الاصلاح في المجتمع بغية تصحيح العقائد ، وتطهير الأفكار ، وتقويم الاتجاهات ، وتمكين المسلمين من التقدم، فمفهوم الاصلاح إذن هو سلفي في أصوله ، تقدمي في أهدافه ، تحرري في أساليبه ، تجددي في مناهجه •

قامت الحركة الاصلاحية على تحليل لأسباب الانحلال والانهزام في الوسط الاسلامي ، وفي طليعة هذه الأسباب الجهل المتفشي بين المسلمين، الذي لا علاج له سوى نشر التعليم الاسلامي ، والانفتاح على المدنية •

ومما ساعد على بروز تأثير المصلحين في المغرب ، غياب المذاهب الأخرى ، واعتماد المغاربة مذهباً واحداً ، هو المذهب المالكي • فقد كان المغاربة يؤمنون بالكتاب والسنة ، والابتعاد عن الجدل والنقاش ، فلا داعي لأدلة عقلية في اثبات شيء قررته الشريعة ،ولا يحتاج لغير الايمان به • وبذلك اعتنقوا مذهب الامام مالك بن أنس ، لكونه المذهب الوحيد القادر على توجيه المغاربة في خط فكري معين • لاسيما أن المستوى الفكري والحالة العقلية التي كان عليها المغاربة يومئذ لم تكن لبساطتها تسمح بفتح المجال للمذاهب المعقدة ، وانما كانت في حاجة الى أن تثبت فيها قواعد الدين ومبادئه الأولية • وبما أن المذهب المالكي يعتمد النص والنقل،

ويبتعد عن المنطق والقياس ، فانه كان اكثر من غيره مقدرة على تحقيق هذا الهدف[1] .

وبذلك كانت وحدة المذهب السمة المميزة للمغاربة حتى الان . إن وحدة المذهب في المغرب عقيدة وشريعة ، كانت وما تزال من المعطيات التي جعلت العلاقة بين السياسة والدين فيه علاقة سلمية ، نفي المغرب لاتمارس السياسة في الدين أو بوساطته من خلال المذاهب والفرق ، إذ لا وجود لهذه أو لتلك . وانما تمارس السياسة باسم الدين ، اما بتكيفها معه ، أو بتكيفه معها عن طريق طلب الفتوى من العلماء[2] .

وبعد قيام الدولة العلوية في منتصف القرن السابع عشر ، ركز سلاطينها على ثلاثة عناصر أساسية في بناء فلسفتهم الفكرية ، وهي وحدة المغرب ، ووحدة المذهب ، وتبني الفكر السلفي في التفتح الفكري الجديد ضد الطرق الصوفية . فقد أكد العلويون ضرورة محو أثر التيارات المتعارضة هنا وهناك ، وضرورة تبلور النزعات السياسية والدينية في محور متمركز يستقطب مختلف القوى من أجل توحيد المصادر والاتجاهات[3] .

وبالمقابل ، عرف المغرب منذ القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حركات صوفية ،وتنظيمات طرقية ، وزوايا وربط غزت مختلف الأوساط الشعبية ، وتغلغلت في أوساط القبائل في السهول والجبال . وغدت في القرون الأخيرة ، الأطر الاجتماعية التي تنظم التحركات السياسية، والانتفاضات الشعبية ، سواء منها تلك التي تقوم لطرد المحتل من هذا الثغر أو ذاك ، أو تلك التي تتمرد او تثور على السلطة المركزية لسبب من الأسباب[4] .

فضلا عن الخصومة التقليدية بين الفقهاء والمتصوفة ، فان ارتباط العلماء والفقهاء مع السلطة المركزية ، وارتباط الزوايا بالأوساط الشعبية، وتزعمهم للثورات من جهة اخرى ، جعل السلطة الدينية في المغرب منذ

القرن الثامن عشر تنقسم الى سلطتين ، سلطة قانونية يمثلها الفقهاء مع أو ضد السلطة المركزية ، وسلطة روحية يمثلها زعماء الطرق ورؤساء الـزوايا[٥]

وبصورة عامة ظل الفكر الاصلاحي ، أسير التصور التقليدي للاصلاح، الذي اهتم أساسا بمحاربة البدع والشوائب التي علقت بالاسلام وعدها وراء الأزمة التي يعيشها المغرب . ولم تظهر محاولات لاحداث تغييرات جوهرية على الهياكل السياسية والاقتصادية للبلاد . ولم يطرح الأمر بقوة إلا بعد الاحتكاك بأوربا ، وحدوث هزائم متوالية ، منها احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠م ، وانتصار الفرنسيين على المغاربة في موقعة ايسلي عام ١٨٤٤م ، وانتصار الاسبان عليهم أيضا في معركة تطوان ١٨٦٠م[٦] .

إن ظهور الضغوط الاوربية ، من أجل الحصول على امتيازات اقتصادية وسياسية تحت غطاء الدعوة الى القيام بـ (اصلاحات) تحديثية من جهة ، وانزلاق بعض الزعامات الصوفية الى التعامل مع القوى الأجنبية ضد السلطة المركزية ، جعل العلاقة بين الدين والسياسة في المغرب ، تتحول من علاقة بين طرفين يكمل أحدهما الآخر ، الى علاقة معقدة تنسجها أطراف متعددة ، هي السلطة المركزية ، والفقهاء وزعماء الطرق الصوفية ، والدول الأوربية المتنافسة على المغرب[٧] .

إن هذه الأطراف هي التي حددت مسار الحركة الاصلاحية في المغرب، وسنركز في بحثنا هذا على أثر السلطة المركزية في حركة الاصلاح .

تبنى عدد من السلاطين العلويين الدعوة الوهابية ، التي كان لها أثر واضح في المغرب ، لكونها دعوة اصلاحية ضد الطرقية ، ولكونها من الجانب السياسي تمثل معارضة واضحة ضد الدولة العثمانية . لذلك جعل منها السلاطين العلويين سلاحاً فكرياً ضد الخصوم الداخليين وهم الطرقيون، وضد الدولة العثمانية التي تهدد مركزهم من الجزائر .

واصبحت الوهابية أساسا مذهبية (الأصلاح) في المغرب خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، والنصف الأول من القرن التاسع عشر . فقد نهى السلطان محمد بن عبدالله (١٧٥٧–١٧٩٠) عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية للمذهب الأشعري ، وحث الناس على مذهب السلف ، والاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة . بلا تأويل . وكان يقول عن نفسه « انه مالكي المذهب حنبلي المعتقد » . وضمن هذا الاتجاه لاحق مشايخ الطرق الصوفية ، وهدم زاوية أبي الجعد ، ونقل شيخها منفياً الى مراكش[٨] . وفي هذا الخصوص يشير الدكتور محمد تقي الهلالي :

« فاعلم أيها القاريء ، ان أهل المغرب كانوا على عقيدة السلف ، حتى جاء محمد المهدي بن تومرت ، الذي بنيت الدولة الموحدية على مذهبه ، فدعا الناس الى ترك عقيدة السلف والتمسك بعقيدة المؤرخين الذين ينفون بعض صفات الله تعالى ، أو يتأولونها تأويلاً باطلا ونجح في دعوته ، فعم ظلام بدعة الكلام في جميع أرجاء المغرب ، وألف مايسمى بست وستين عقيدة في العربية للمتكلمين بها ، وبالبربرية للقبائل التي لاتحسن العربية ، وشاع القول بأن من لايعرف هذه العقيدة فهو مقلد في الاعتقاد . والراجح عندهم انه كافر كما بين السنوسي في عقائده الثلاث وغيره . وبقي الناس على ذلك إلا من رحمهم الله تعالى حتى جاء الإمام الملك الهمام محمد بن عبدالله فانكر هذه العقيدة ، وهي تدرس في كل مدرسة وفي كل مسجد . ولم يكن أحد في زمانه يتجرأ على إنكارها ، لذلك لم يقم بهذا الاصلاح قبله أحد في زمانه وقبله بمئات السنين »[٩] .

فضلا عن ذلك ، فقد أصدر السلطان منشوراً حدد فيه المواد التي يجب الاقتصار على تدريسها في جامعة القرويين وغيرها ، والمراجع التي يجب اعتمادها وحدها في الفقه والنحو والأدب والسيرة والحديث والتفسير ، وقد أراد بذلك المنشور الدعوة الى القرآن والسنة ، ومناقشة النصوص ، وضبط الغريب وبيان المشكل من الآثار الدينية ، والابتعاد عن الخوض في علم الكلام والمنطق والفلسفة .

وورد في المنشور « لأنه لايتعاطى ذلك إلا الذين لايدرون أنهم لايدرون وعدم العناية بالأصول ، لأن الأصول علم فرغ منه ، ودواوين قد دونت ، ولم يبق اجتهاد ،والطلبة الموجودون من أراد منهم أن يتعاطى علم الأصول ، فاني أقول فيه أن يتريب قبل ان يتحضرم » وختم المنشور بقوله « ومن أراد أن يخوض في علم الكلام والمنطق ، وعلوم الفلسفة وكتب غلاة الصوفية ، وكتب القصص ، فليتعاط ذلك في داره مع أصحابه الذين لايدرون بأنهم لايدرون ومن تعاطى ماذكرناه في المساجد ونالته عقوبة فلا يلومن إلا نفسه ... » (١٠) .

وأصبحت الوهابية مذهبية الدولة الرسمية في عهد السلطان يزيد (١٧٩٠ ـ ١٧٩٢) وعهد السلطان سليمان (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) الذي رحب بها رسمياً . وطبق تعليماتها ، بعد تلقيه رسالة من عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ولقيت الرسالة اهتماماً من السلطان ، وحاشيته العلمية ، كما قامت مناقشات واسعة بشأنها في أوساط الفقهاء في فاس ، وكلف السلطان جماعة من العلماء بكتابة جواب على الرسالة ، حملها الى الحجاز وفد من العلماء في مقدمتهم ابنه ابراهيم(١١).

تعززت الدعوة الى أفكار محمد بن عبدالوهاب في المغرب ، بعد عودة الوفد ، فتبناها وعمل في ضوئها عدد من فقهاء ومحدثي المغرب . وتجسد ذلك بوضوح في الحملة التي قادها السلطان سليمان ضد أهل البدع وبعض الطرق .

« ... إعلموا أن الله بمحض فضله أوضح لكم طرق السنة لتسلكوها ، وصرح بذم اللهو والشهوات ... واتركوا عنكم بدع المواسم التي انتم بها متلبسون .. ويجب على من ولاه الله من أمر المسلمين شيئاً من السلطان والخلائف أن يمنعوا هؤلاء الطوائف من الحضور في المساجد وغيرها ، ولايحل لأحد يدين بدين الله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم ... إن البدع والمناكر اذا تفشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم ، وأظلم مابينهم وبين ربهم ، وانقطعت عنهم الرحمات .. وشحت السماء ، وغيض الماء ، واستولت الأعداء ، وانتشر الداء ، وجفت الضروع ، ونقصت البركة في الزروع ، لأن سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدائد»[١٢] .

وتجدر الاشارة الى أن السلطان سليمان وجه رسائل كثيرة في هذا المجال ، طبعها حزب الاستقلال فيما بعد[١٣] .

والحقيقة أن تبني السلطان سليمان للدعوة الوهابية لم يكن لذاتها ، بل من أجل وظيفتها ، مثلها مثل الطرقية ، فعلى الرغم من تعاطفه مع الوهابية ومحاربة الطرقية ، فقد تعامل ايجابياً مع بعض الطرق الصوفية مثل الطريقة التيجانية ، لكونها تنهي عن زيارة الأضرحة ، وحينما وقف أنصار الطريقة الدرقاوية في الجزائر ضد الحكم العثماني ، واستنجدوا بالسلطان العلوي وبايعوه صارت لهم الحظوة بدلا من التيجانية[١٤] .

إن تقارب السلطان سليمان مع الزاويتين التيجانية والدرقاوية ، كان يهدف من ورائه ، استثمار صراعهما مع العثمانيين لتقوية مركزه ضد بايات الجزائر . أما موقفه المعادي للزوايا الموجودة في المغرب ، فيدخل ضمن محاولة المخزن[١٥] ترسيخ سلطته على حساب القوى المحلية المتشبثة باللامركزية لاعتبارات اقتصادية واجتماعية . لهذا ، فالصراع مع هذه الزوايا لم يكن نابعاً من أهداف دينية محضة . وبذلك تبقى وظيفة الدعوة الوهابية تصب في اتجاه تقوية السلطان في الداخل على حساب الزوايا ، وتحقيق توازن مع العثمانيين على المستوى الخارجي .

بدأ الابتعاد عن الدعوة الوهابية بعد وفاة السلطان سليمان ، مما يدل على أن تبنيه للفكرة هو ووالده ، لم يكن عن قناعة ، وانما لمصلحة سياسية بحتة . وظلت أفكار السلاطين أسيرة التصور التقليدي ، الذي أشرنا اليه ، ويتضح ذلك من كلام السلطان عبدالرحمن بن هشام (١٨٢٢ ـ ١٨٥٩) . « ومع شيوع هذه الحوادث الفضيعة ، والبدع الشنيعة ، فلا غرابة في حبس الأمطار ، وارتفاع الأسعار ، واستيلاء العدو الكافر على كثير من الأقطار»[١٦] . ومع ذلك ظل السلاطين الذين جاءوا بعد عبدالرحمن يحاربون الطرقية ، ويعلنون تمسكهم بالفكر السلفي .

ان إشهار المخزن لسلاح السلفية ، لم يكن في أكثر الأحيان تابعا من اعتبارات دينية محضة ، بل كان للاعتبارات السياسية والاقتصادية ثقلها ، وذلك أن الزوايا كانت منتشرة بكثرة ويمتد نفوذها ليشمل المغرب بأجمعه ، وتتصعد بالنفوذ العدد الهائل من الاتباع المنضوين تحت لواء الزوايا والطرق ، مما كان يشكل خطراً على سلطة المخزن وتحدياً لمركزيته ، التي كان المخزن لا يألوا جهداً في سبيل تثبيتها . ثم ان هذه الزوايا ، كانت تحصل على موارد مالية مهمة من اتباعها ، وكان لها في أغلب الأحيان مواقف معارضة للمخزن لاسيما فيما يتعلق بالجبايات . وباعتبار المصالح الاجتماعية والاقتصادية لهذه الزوايا ، فانها قاومت السلطة المركزية التي تقلص نفوذها ، ويرتبط بهذا الاعتبار تعاون بعض الزوايا ، مثل الزاوية الوزانية التي كان بحوزتها إقطاعيات شاسعة[١٧] ، مع القوى الاوربية التي حاولت استغلالها ورقة ضغط على المخزن لتحقيق بعض المكاسب .

وانطلاقاً من هذا الموقف ، ظل السلاطين يعارضون الطرقيين ، فقام السلطان عبدالعزيز (١٨٩٦ـ١٩٠٨) بحملة شديدة ، ضد عملية الاحتماء بالأضرحة ، وتجسد ذلك عملياً سنة ١٩٠٢م ، حينما أصر على القاء القبض على مغربي مسلم قتل سائحاً انكليزياً ، واعتصم بضريح المولى إدريس ،

الذي يتمتع بقدسية كبيرة عند المغاربة ، وبعد أن قتل السلطان الشخص المحتمي بالضريح ، قامت ضده معارضة قوية قادها الشرفاء الأدارسة ، وعدد من علماء القرويين[١٨] .

وعرف عن السلطان عبدالحفيظ (١٩٠٨ــ١٩١٢) عداؤه الشديد للطرقية وقد ألف قبل تسلمه السلطة ، كتاباً شهر فيه بمعتقدات الطريقة التيجانية ، وبعد عام ١٩٠٨ خاض صراعاً مريراً ضد الطريقة الكتانية ، انتهى بمقتل شيخها محمد بن عبدالكبير الكتاني[١٩] . وقبل ذلك حاول بسط نفوذه على مدينة وزان معقل الطريقة الوزانية الطبيعية ، كما نظم هجوماً واسعاً على ثلاث زوايا في شمال المغرب ، وتشدد في منع الاعتصام بضريح مولاي إدريس مثلما فعل سلفه السلطان عبدالعزيز[٢٠] .

وكان سلاح السلاطين ضد الطرقيين هو السلفية . ولكن السلاطين تخلوا أكثر من مرة عن هذا السلاح ، بل أن بعضهم قمع بعض رموز السلفية، كما هو الحال مع السلطان الحسن الأول (١٨٧٣ ــ ١٨٩٤) . حينما نقم على محمد بن المدني گنون ، الذي وجه انتقادات لاذعة للاوضاع السائدة ، كما أنه أيد طلب علماء القرويين بطرد عبدالله السنوسي . فضلا عن ذلك فانه تعاون مع بعض الطرق، وحاول استغلال نشاطها لأغراضه السياسية[٢١] .

وهكذا يتضح أن تعامل السلطة المركزية مع الأفكار السلفية ، نابع من مصلحة المخزن ، فهو يشهرها بوجه خصومة الطرقيين تحت ضغط ضرورات معينة ، ويتخلى عنها كلما بدا منها ما لايتماشى مع خطه ، أو مراعاة المناخ الملائم ،فهويوظفها انطلاقاً من مصالحه الخاصة . وبذلك يمكن القول، أن الحركة الاصلاحية التي استلهمت الفكر السلفي ، لم يكن لها بوادر وعي بالمعنى الحديث للكلمة . وانما كانت تتحرك في دائرة القديم ، فبعد معركة ايسلي ، وظهور حركة الاصلاحات في عدد من المجالات ، لاسيما مجال الجيش والتسليح والاسطول ، فان هذه الحركة لم تكن مرفقة بأي تجديد

في الفكر والثقافة ، وبعبارة أخرى كانت تفتقد المناخ الفكري الضروري ، لغرس جذورها في المجتمع وضمان نموها وتطورها •

ولا تقتصر أزمة المغرب التي أفرزت حركة الاصلاح على الفكر السياسي فحسب ، بل شملت جوانب أخرى ، يمكن تحديدها ، بجمود الهياكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية متزامنة مع سلسلة الهجمات الأوربية على الثغور المغربية ، مما جعل المغرب يعيش في عزلة تامة في أغلب الحقب ، خوفاً من التهديدات الأوربية • إلا أن هذه العزلة اخترقها الأوربيون بعنف في العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، حينما احتل الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠م وأظهروا تفوقهم • ثم تعمق الاحساس بالتفوق الأوربي لدى المغاربة في معركة ايسلي ١٨٤٤م ، التي عبر عنها الناصري « كانت مصيبة عظيمة ، وفجيعة كبيرة، لم تفجع الدولة الشريفة بمثلها »[٢٢] • ثم حدثت الكارثة الكبرى باندحار المغاربة في حرب تطوان ١٨٥٩–١٨٦٠ ، أمام الاسبان ، وهي الحرب « التي أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب ، واستطال النصارى وانكسر المسلمون انكساراً لم يعهد لهم مثله ، وكثرت الحمايات ونشأ عن ذلك ضرر كبير »[٢٣] •

إن هذه الهزائم ، أوضحت التفاوت الهائل بين المغرب وأوربا على الصعد كافة ، وأحدثت رجة سواء داخل السلطة المركزية ، أم في أوساط المثقفين المرتبطين به ، أو المنحازين الى جانب الرعية • فبدأت تطرح مشاريع لاصلاح الجيش(تحديثه) • ولم تعد المقارنة تتم فقط بالنسبة لماضي المسلمين ، كما كان الشأن بالنسبة للفكر الاصلاحي القديم ، بل تتم أيضاً بالنسبة لأوربا ، وأضحت النخبة المفكرة تتساءل عن أسباب التقدم الأوربي مقابل انحطاط المغرب •

فأصبح تنظيم الجيش وتحديثه المحور الأساسي لاهتمامات السلطة المركزية وبدأت عملية التحديث في عهد السلطان عبدالرحمن بن هشام،

الذي حاول تكوين جيش مدرب على الطراز الأوربي ، وبمساعدة الأوربيين أنفسهم ، واعادة تنظيم القوات القبلية ،وتأسيس مدرسة للمدفعية ، وانشاء أسطول خفر للسواحل . لكن هذه الاصلاحات لم تكن بمستوى التحـدي الذي تعرض له المغرب . وسار خلفه محمد الرابع (١٨٦٠–١٨٧٣) علـى المنوال نفسه ولكن من دون تحقيق نتائج واضحة على مستـوى تحـديث الجيش وأدائـه[٢٤] .

وحينما تسنم الحسن الأول (١٨٧٥ – ١٨٩٤) العرش ، إعتنـى عناية خاصة بالجيش ، فاهتم بتسليحه وتدريبـه مستعيناً بالمدربين الأجانب ، ليجعل منه جيشاً عصرياً ليحل محل الطرق القبلية[٢٥] . فقد عمـل السلطان الحسن على تجهيز الجيش بالأسلحة المختلفة وذخيرتها ، مثل المدافع والرشاشـات والمسدسات والخناجر والسيوف ، كذلك عزز الاسطول بشراء بعض السفـن وأسند تدريب فيالق الرماة بمراكش عام ١٨٧٧م الى بعثة خبراء فرنسيين ، وأناط بالضباط الايطاليين ادارة مصنع الأسلحة بفاس ، وهو ما كان يطلـق عليه (دار السلاح) أو(الماكينة) ، وعمل في هذه المصانـع الفنيون المغاربة الذين تدربوا في المعاهد الحربية الأوربية ، وتمكنـوا من صنـع البنـادق المختلفة والرشاشات ، كما أسس ما يشبـه المدرسـة المركزيـة للمدفعيـة بمدينـة الجديـدة[٢٦] .

وفي أثناء مرور الحسن بمدينة طنجة عام ١٨٨٠ ، وقع اختياره على بعض الضباط الأوربيين السابقين ، لاستخدامهم في تنظيم صنف المشاة ، ومـن أبرزهم الضابط البريطاني ماكلين[٢٧] ، الذي كلفه بتدريب جيش الحراية وقد أدى واجبه على أحسن وجه ، حتى انه كان يتقدم الجيش في أثناء الاستعراضات في الأعياد وحفلات الاستقبال[٢٨] . كذلك استخدم (كرينارد) البلجيكـي للإشراف على صناعة العتاد بمدينة مراكش . كما أمر السلطان بتسجيـل معلومات كافية عن الجيش وتثبيته في ديوان خاص ، من حيـث تسجيـل

الاسم ، والقبيلة ، واللون ، ومحل السكن ، والحرفة ، بحيث يمكن استدعاؤه في أي وقت تدعو الحاجة اليه[٢٩] .

وعد السلطان الحسن ، من أوائل السلاطين الذين أوفدوا البعثات العسكرية ، الى المدارس العسكرية الأجنبية للتدريب على بناء الخنادق والتحصينات ، وعلى التمارين النارية . فتوجهت بعثة الى بريطانيا وأخرى الى فرنسا ، كما أرسلت بعثات اخرى الى جبل طارق بصحبة ماكلين للاشراف على تدريبهم في المدرسة الانكليزية هناك . كما أرسلت بعثة الى المدرسة الدولية بتورين في ايطاليا ،تتألف من (٢٤) شخصاً لتلقي دروس في تربية الجنود وعلوم البحر ، والتدريب على صناعة الأسلحة . كذلك أرسلت بعثات أخرى الى اسبانيا وألمانيا للتدريب على فنون الحرب وعلومها[٣٠] .

وعلى الرغم من المبالغ الطائلة التي أنفقت على هذه البعثات ، فان المغرب لم يتمكن من تأسيس جيش بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه لاسيما أمام الأطماع الأوربية عامة ، والفرنسية خاصة كما أن المدربين الأجانب قدموا خدمات لبلادهم من خلال المعلومات المرسلة ، اكثر من الخدمات المقدمة للمغرب[٣١] .

والقضية الأخرى التي أولاها السلاطين أهمية خاصة ، هي إصلاح الأوضاع الاقتصادية ، فقد نشط السلطان محمد بن عبدالله حركة تسويق البضائع من الموانيء المغربية الى أوربا . واهتم بالتجارة للتعويض عن الضرائب المفروضة على الزراعة ، وجدد صناعة السكر التي كانت عنوان تقدم المغرب الصناعي[٣٢] .

وعمل السلطان عبدالرحمن بن هشام على تحسين الأوضاع الاقتصادية، لاسيما انّ المغرب مر بسنوات من القحط وانتشار الأوبئة في عهده ، مما أدى الى تدهور الاوضاع الاقتصادية . ففي عام ١٨٢٥م اضطرت الدولة الى استيراد القمح بعد أن كانت من الدول المصدرة ، وارتفعت أسعار القمح الى

أربعة أو خمسة أضعاف ، فأعلن السلطان أن ميناء الجديدة ، ميناء مفتوح للتجارة ، وعهد بادارة كماركها الى أحد اليهود الذي عمل نائباً قنصليا لفرنسا، فأخذت السفن المحملة بالقمح تصل من اسبانيا وفرنسا والبرتغال وبريطانيا، مما أدى الى تجاوز الأزمة ، بل الى تصدير القمح في السنوات اللاحقة. وجاءت تجارة الصوف كي تدعم تجارة القمح في الاتجاه نفسه، وزاد التنافس على الشراء من المغرب ، مما سمح للسلطان برفع الرسوم الكمركية . وطالب تزويد المغرب بالبارود جزء من الرسوم المفروضة ، وأرضى بذلك السلطان مصالحه المالية في الوقت الذي ظهر فيه أمام المغاربة على انه يقوم بعملية لازمة لاستيراد البارود ، وبالتالي فانه سيواصل الجهاد ضد الكفار[٣٣] .

ومن جانب آخر أمر السلطان بسك العملة في فاس سنة ١٨٣١ ، وتشدد في منع تهريب العملة الى الخارج ، لاسيما الريال الفضي الذي كان يهربه التجار لاسيما اليهود الى أوربا ، حيث يبيعونه بسعر أعلى من قيمته الوطنية . وفي سنة ١٨٤٠ أمر بضرب المزيد من الدراهم الفضية ، وشراء مايلزم من الفضة ، بعد أن كادت هذه المادة تنضب في سنوات الغلاء[٣٤] .

إلا أن ارتباط المغرب بأوربا بصفته اقليما منتجاً للمواد الخام ، وسوقاً لتصريف المواد المصنعة في أوربا ، جعل انتاجه خاضعاً لقانون العرض والطلب، وبرز دور التجار اليهود في السيطرة على التجارة الخارجية . وقد ترك هؤلاء أثراً كبيراً في تجارة المغرب ، وفي قضية انخفاض العملة المغربية ،لاسيما في عام ١٨٤٥ ، بعدموقعة ايسلي ، مما أدى الى ارتفاع الأسعار . وقد حاول السلطان السيطرة علىقيمة العملة ، ولكنه أخفق في ذلك ، لانه بعد توقيع المعاهدة مع فرنسا بعد معركة ايسلي ، أسقط عن الأجانب ما كانوا يؤدونه في موانىء المغرب ، وكثر تجارتهم في السلع التي كانوا ممنوعين عنها . ولكون قيمة النقود الأجنبية أكثر من قيمة النقود المحلية ، فان تجار المغرب بدأوا يستخدمونها بدلاً من العملة المحلية . مما اضطر السلطان في عام

١٨٥٢ الى اصدار ظهير (مرسوم) يحذر فيه السكان من التلاعب بالعملة ، وحدد قيمة العملة الأجنبية الى العملة الوطنية . وأشار في رسالة له الى المواطنين « فمن وقف عند ما حددناه ، ولم يحد عما أبرمنا ، فقد اختار سلامة نفسه وماله ، ومن تعدى وافتات في ذلك بأدنى شيء ، فقد سعى في هلاك نفسه ، وينال من الوبال والنكال ما يتركه عبرة لمن اعتبر ، وتذكرة لمن تذكر ، وقد أعذر من أنذر »[٣٥] .

تحسنت الاوضاع الأقتصادية نسبياً ، إلا أن هزيمة تطوان في عهد السلطان محمد بن عبدالرحمن (١٨٦٠ ــ ١٨٧٣) وفرض غرامة مالية على المغرب مقدارها أربعة ملايين باون ، دفع السلطان الى عقد قرض مع بريطانيا لتسديد الغرامة ، بعد أن سدد نصفها . وكان تسديد القرض على حساب نصف ايرادات الكمارك المفروضة في الموانىء المغربية ، فعجزت موارد الدولة من الكمارك عن تسديد الديون ، ويتضح ذلك من رسالته التي جاء فيها « اننا دفعنا ما كان عندنا ببيت المال هنا في فاس ، وما كان ببيت مال مراكشة (مراكش) حتى لم يبق تحت يدنا ، إلا مانقفي به حاجة مع الجيش الذين لايمكن صبرهم على الخدمة بالجوع والعرى ، ومع ذلك فهو قليل لايقنعون به»[٣٦] .

عجزت الموارد المالية للدولة ، التي كانت تتكون من مصدرين رئيسيين هما : الكمارك والضرائب الفلاحية ، عن تلبية المتطلبات الحكومية ، ففيما يتعلق بالكمارك ، لم تبق تحت سيطرة الدولة بشكل تام ، نظراً لوضع ثلاثة أرباع مواردها تحت تصرف اسبانيا وبريطانيا ، لتسديد مبلغ الغرامة والقرض. من ناحية أخرى انخفضت الضرائب المفروضة على الفلاحين بشكل حاد ، على أثر الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة التي أصابت البلاد في الأعوام ١٨٦٧ ــ ١٨٦٩م . كما أدت محاولة اصلاح الجيش الى تحمل الخزينة لنفقات باهظة . وكان المؤشر على التدهور الاقتصادي ، انخفاض العملة اكثر من مرة ، الى حد فقدانها تسعة أعشار قيمتها للمدة من ١٨٤٥ــ١٨٧٣م[٣٧] .

واستمرت الحالة حتى تسنم السلطان الحسن الأول ، الذي كان عليه دفع نصف موارد الكمارك لمدة عشر سنوات لتسديد ماتبقى من مبلغ الغرامة لاسبانيا . ولغاية سنة ١٨٨١ لدفع قيمة القرض لبريطانيا . وأمام هذه الحالة اضطر الحسن لفرض ضرائب جديدة على الشعب بشرائحه كافة ، ومع ذلك تصاعدت الأزمة في عام ١٨٧٨ حين قلت المحاصيل ، وارتفعت الأسعار ، وتدهور سعر الريال المغربي ، ولم يعد بامكان القبائل دفع الضرائب[٣٨] .

فحاول الحسن إصلاح الوضع المالي ، باتباع طرق جديدة مختلفة ، منها تثبيت سعر العملة على وفق التبادل السابق لعام ١٨٦٩ . وسك ريال فضي جديد عام ١٨٨١ ولاقناع الأجانب بدفع الضرائب ابتكر نظام ضريبي جديد ومنتظم يشمل المسيحيين ، والزعماء الدينيين المعفوين سابقا . إلا أن الدول الأوربية تجاهلت القيمة المثبتة للعملة المتداولة ، أما الريال الفضي الجديد فقد هربه التجار الأجانب الى الخارج مما أفقد المعادن النفيسة ، كما أخفقت اجراءاته الضريبية ، منها الضريبة الجديدة ، بدلا من الضريبة الشرعية، وتواصلت السياسة التقليدية في جمع أكبر مقدار ممكن من الأموال ، اذ لم تقتصر الضريبة على الزكاة فحسب ، وبذلك كان الفرد يدفع ما لا يقل عن ٤٠٪ من دخله ضرائباً[٣٩] .

وحينما تولى السلطان عبدالعزيز السلطة بعد وفاة والده ، كان الاتجاه نحو الاصلاح عملية مصيرية (للدولة المغربية) لمعالجة الأوضاع المتردية التي كانت تعاني منها في شتى المجالات . فالزراعة انحطت الى درجة كبيرة بفعل الضرائب والحركات القبلية وكانت الصناعة اليدوية تقاوم بصعوبة للحفاظ على وجودها التاريخي ، أما التجارة فقد عانت من الركود نتيجة تخلف وسائل النقل والموانيء ، والاحتكار ، والحاجة الى النقد ، لذلك كان على السلطان الجديد إصلاح تلك الاوضاع المتخلفة من أجل المحافظة على ابقاء دولته ، وانقاذها من السقوط التام بايدي الأوربيين[٤٠] .

ونظراً لعدم امتلاك السلطان أية خبرة في مجال الاصلاحات ، بسبب حداثة سنة ، ولقضائه معظم حياته داخل الحريم الملكي[٤١] ، فانه فوض المهدي المنبهي ، العنصر الأكثر قرباً اليه في الوزارة ، بوضع خطط الاصلاح والمباشرة بتنفيذها .

أقرت الحكومة في آذار ١٩٠١ ، منهاجاً لاصلاح الأنظمة الادارية والمالية في البلاد ، وطلبت المساعدة البريطانية في هذه المهمة ، مستغلة المنافسة البريطانية ــ الفرنسية في المغرب ، وقد تمتعت الحكومة ، في قرارها هذا ، بتأييد أنصار الاصلاح داخل السلطة المركزية ، الذين هالهم ضعف أجهزة الدولة ، وعدوا الاصلاح الطريقة الوحيدة للقضاء على النفوذ الاوربي في البلاد . ومع هذا ، فان القرار لم يلق الترحيب من المحافظين ، وأنصار الاصلاحات الجزئية بزعامة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) الذي كان يعتقد بأن التغيير سيؤدي الى ازدياد النفوذ الأوربي وتقويض القيم التقليدية للمجتمع[٤٢] .

إنتصر أنصار الاصلاح ، واحتل الجانب المالي مكانة استثنائية في منهاج الوزارة ، ولا سيما مسألة وضع ضريبة موحدة ، ولهذا أصدر السلطان ظهيراً (مرسوما) في الرابع والعشرين من أيلول ١٩٠١م ، تطرق في مقدمته الى معاناة المواطنين من الضرائب وطرق جبايتها . ولوضع حد لتلك المظالم ، تقرر إصدار ضريبة موحدة تحل محل الضرائب الشرعية لتشمل جميع المستثنين سابقاً من دفعها[٤٣] ، كشيوخ الطرق الصوفية ، والأشراف ، وكبار الموظفين ، والقادة ، والأوربيين . ولتسهيل جباية تلك الضريبة ، تقرر أن تستوفى على وجبتين ، وان تدفع عن كل الأراضي المعدة للزراعة ومراعي الحيوانات ، والأشجار المثمرة ، مع تثبيت ضريبة خاصة مقدارها خمسة بالمائة على الأغنام والماشية[٤٤] ، وقد أطلق على الضريبة الجديدة تسمية (الترتيب[٤٥]) .

وبهدف انجاح عملية فرض الضريبة الجديدة ، أقرت اجراءات ادارية لجبايتها ، إذ منع القادة من جباية ضرائب اضافية ، ومنح الأمناء صلاحية مراقبة الولاة والقادة للحد من ممارساتهم الاستغلالية في جمعها . وكان معدل الضريبة منخفضاً نسبياً بهدف تشجيع دفعها من لدن المواطنين ، وبالتالي يؤدي الى زيادة موارد الخزينة عن طريق شمول المعفيين السابقين بالضريبة الجديدة ، وتخفيض النفقات التي كانت تصرف على اخماد الحركات القبلية ، التي كان يحدث معظمها بسبب الضغط الضريبي[٤٦] .

أخفقت الحكومة في فرض ضريبة الترتيب ، لتصدي بعض الدول الأوربية ، والعناصر المحافظة المحلية لتطبيقها ، فقد وقفت فرنسا ، بشكل خاص ، ضد تنفيذ الاصلاح الضريبي ، بقصد الحد من النفوذ البريطاني في المغرب ، ولم تصادق الدول الأوربية الاخرى عليه ، الا بعد مناقشات طويلة، ووقع بروتوكول المصادقة في الثالث والعشرين من تشرين الأول ١٩٠٣ .

أما الموقف الشعبي من الاصطلاحات ، فقد تحكم فيه ووجهه الولاة والقادة وزعماء الطرق الصوفية وعلماء الدين والأشراف . وكانت هذه العناصر معفية من أداء الضرائب . فجاءت الضريبة الجديدة لتلحق ضرراً بمصالحهم . فكان من الطبيعي أن يقفوا ضدها بكل الطرق والوسائل ، واستغلوا العاطفة الدينية للشعب في تحريضهم على عدم دفعها[٤٧] .

لقد اتهمت هذه العناصر النظام الجديد للاصلاحات بأنه غير شرعي ، وأن السلطان يبذر أموال الدولة على اللهو وأصدقائه المسيحيين ، وسرى تحريضهم الى القبائل ، حيث دخلت قبائل شمالي فاس في تحالفات لمقاومةفرض الضرائب . وبذلك خسرت الدولة جزءاً أساسيا من دخلها ، عن طريق امتناع تلك القبائل عن دفع الضريبة الجديدة ، وحرمانها من الضرائب القديمة الملغاة[٤٨] . مما ترتب عليه أن « فقد المخزن في ذلك الوقت كل سلطته وهيبته » . على حد تعبير احدى الوثائق الامريكية[٤٩] .

وهكذا لم ينجح السلطان عبدالعزيز ، ومن بعده السلطان عبدالحفيظ (١٩٠٨–١٩١٢) في حل المشكلة الاقتصادية ، التي أدت الى سقوط المغرب في براثن الحماية الأجنبية . وبصورة عامة لم ينجح السلاطين على الرغم من محاولاتهم في حل الأزمة الاقتصادية ، لأن الحلول التي قدموها لم تكن بالمستوى المطلوب كما أن القوى الاوربية ، لاسيما فرنسا خططت لاحتلال المغرب . فاغرقتها بالديون والقروض ، وكان ذلك من أبرز الأسباب التي أدت الى فرض الحماية عام ١٩١٢ .

والجانب الآخر الذي أولاه السلاطين أهمية خاصة التعليم . فقد أنشأ السلطان اسماعيل (١٦٧٢–١٧٢٦) المؤسس الحقيقي للدولة العلوية ، أول مكتبة كبيرة تضم اثني عشر كتاباً ليستفيد منها العلماء .

ويعد السلطان محمد بن عبدالله الذي وصف بـ « عالم السلاطين وسلطان العلماء» المصلح الأول في المجال الفكري والتعليمي ، فقد كان عالماً ، شغف بالعلم الى حد كبير ، وألف عدداً من المصنفات ، أودعها خلاصة أفكاره التي فيها نزعات اجتهادية دفعه اليها كثرة مطالعاته ، وعمق تفكيره ، ورغبته الصادقة في الاصلاح الديني والاجتماعي[٥٠] .

وكان اهتمامه بعلوم الحديث ، يفوق اهتمامه بالعلوم الدينية الأخرى، ويتضح ذلك من خلال مؤلفاته التي تركزت في علم الحديث[٥١] . ويبدو أن اهتمامه بهذا الجانب ليس منطلقاً من مجرد المعرفة بالشيء والالمام به، وانما كان ذلك مرتبطاً عنده في جملة ما يرتبط به بموضوع العمل الاصلاحي الفكري . فعلى الرغم من كون المغاربة يعتنقون جميعهم وبضمنهم محمد بن عبدالله نفسه المذهب المالكي فانه اهتم بالمذاهب الأخرى . ويشير الناصري الى ذلك بقوله « ... وكانت له عناية كثيرة بذلك ... وجلب من بلاد المشرق كتباً نفيسة من كتب الحديث ، لم تكن بالمغرب مثل مسند الامام أحمد ، ومسند الامام أبي حنيفة وغيرهما»[٥٢] .

إن اهتمامات السلطان محمد بن عبدالله بشؤون الدين ، واحياء تراثه ونشر ثقافته ، واذاعة الحديث النبوي ودراسته ، دفعته الى دعوة عدد من علماء الدين الى عاصمته مراكش ، ولاسيما من مدينتـي فاس ومكناس ، ليعمروا المساجد بالعلم ، وليرشدوا الناس الى ماتحتويه هذه الأحاديث من أحكام وحكم . والى ما تتضمنه من نصوص تشريعية ودروس أخلاقية . وقد وفد اليه علماء عصره ، وقد خصص وقتاً معيناً لهـم لشـرح القضايا العلمية . فكان يجلس معهم بعد صلاة الجمعـة ، يناقشهم في كثير من المسائل العلمية والدينية بروح ثاقبة نافذة ، ويحثهم على نشر العلم بالتدريس والتأليف[٥٣] .

ومن باب تشجيع العلماء ، سن الاعطيات ، وأغدق الصلات لانمـاء المواهب وشحذ العزائم ، فكانت صلاته تأتي في كل عيد الى الشعراء والعلماء والطلبة والمؤذين ، وأئمة المساجد ، تشجيعاً لهم على ممارسة أعمالهم بنشاط واخلاص . وعندما بنى مسجده الكبير (جامع السنة) بنى فيـه غرفا لايواء طلبة العلم على مر الأيام ، وامدادهم بالمؤن الضرورية تشجيعاً لهم على ماكرسوا حياتهـم من أجلـه[٥٤] .

ولايقتصر الأمر على المغرب ، بل كان يرسل الهدايا والمساعدات والجوائز المالية لعلماء مكة والمدينة ومصر وبغداد ودمشق . وكان يرتب ذلك حسـب فصول السنة وماتزال مكتبة محمد الخامس الخاصة تحتفظ بتلك الأسماء، كما أوقف عدداً من الكتب العلمية في الحرمين الشريفين مازالت موجودة حتى الآن . فضلا عن ذلك ، فقد شيد عدداً من المساجد والمدارس والأضرحة ، بلغت ثلاثة وثمانين مسجداً ، وتسع عشرة مدرسة ، وثلاثة عشر ضريحا[٥٥] .

والى جانب ذلك أولى جامعة القرويين اهتماماً كبيراً حتى غدت في عهده مركزاً مهماً لحركـة علمية واسعة ، حيث أصبـح بفاس وحدها مائـة كرسي لتدريس العلوم موزعة على مختلف فروع القرويين . ومأئتان وخمسون كرسياً منبثة في كل الأحياء ، من بينها عشرون كرسياً بجامع القرويين لتدريس العلوم الحديثة وأكثر من مائة وبنت بمدرسة أولية للفتيات والفتيان . ويشير الخمن

السائح ، أن أحد الكتاب الغربيين ، عندما زار فاس ، وأقام فيهما ثلاث سنوات (١٨٠٣-١٨٠٧) كتب رحلته بثلاثة مجلدات طبعت بباريس عام ١٨٨١ . تحدث فيها عن الحياة الأدبية والفكرية بفاس مبدياً اعجابه بها حتى قال ملخصاً رأيه ، إن مدينة فاس هي في أفريقية أشبه بأثينا عاصمة الفكر في أوربا[٥٦] .

كذلك اهتم بالتعليم من جانب آخر ، فقد وجه التعليم ونظمه ، وحدد مناهجه . وأصدر مرسوماً خاصاً بالتعليم ، أعلنه على العموم والخصوص ، وقواعد كل من خرج على أحكامه ، وراقب التعليم مراقبة تمنع التصرف المطلق في أبوابه ، وقد شغل ذلك المرسوم العلماء في عصره . فقد أراد من مرسومه الخاص باصلاح التعليم لاسيما في القرويين ، أن يقرب مبادىء الدين الأساسية الى أذهان الصغار ، كما أراد من المرسوم أن يكون دليل عمل في جميع المدارس القرآنية . فالمنهج الذي وضعه ، والذي أوجب على الاساتذة القرويين السير في ضوئه ، انما كان ينصب على تطوير أساليب الدراسة ، والخروج بها من العقم ، واملاء المحفوظات ، وملء أذهان الطلبة بنصوصها عارية في المجموع عن الفهم المراد من وراء فحواها . ذلك أنه حذر من الاطناب الممل ، ومن الاشتغال بما لاجدوى من ورائه من الأبحاث والمماحكات اللفظية التي كان مولعاً بها كثير من رجال العلم[٥٧] .

فضلا عن ذلك،فانه أولى المكتبة اهتماماً كبيراً ، فقد شدد كثيراً على صيانة نفائس الكتب . ومنع اخراج الكتب من المكتبات حفاظاً عليها ، ولكنه مع ذلك قام بتوزيع الكتب على المدن والمداشر والقرى ، فقد وزع خزانة الكتب التي ورثها عن جده اسماعيل والتي قدرت بما يزيد على اثني عشر ألف كتاب على مساجد المغرب ، وأوقفها عليها ، ليعم نفعها على الطلاب جميعاً[٥٨] .

ويعد السلطان عبدالرحمن بن هشام ، ثاني مصلح للتعليم بجامعة القرويين بعد محمد بن عبدالله ، فقد وجه خطاباً عام ١٨٤٦ الى قاضي القضاة

في فاس حدد فيه طبيعة التدريس في القرويين ، واستمراره على النسق القديم، واعراض الطلبة عن الدروس ، وعدم ميلهم لها ، لأن الطالب يقضي سنوات طويلة تصل الى عشر سنوات، لتدريس الأحوال الشاذة والمعاني الغريبة ، فيختلط على المتعلم حتى لايدري الصحيح من السقيم ، وأكد في رسالته « ضرورة الحصول على الفهم والافادة والمناقشة من الألفاظ ، فما هو لغو وزيادة ، وليست لأهل التحرير بعادة ، وان قراءة النحو والبيان ، الهدف منها تحصيل الملكة التي توصل الى فهم المنقول» • وحدد مدة دراسة سكة خليل بأربعين يوماً بدلاً من عشر سنوات ، والألفية بشهرين بدلاً من ثلاث سنوات ، وبذلك يحصل الطالب على علوم جمة ومسائل مهمة[٥٩] •

وأبدى السلطان الحسن الأول اهتماماً بالتعليم ، واشترك في تأليف المناهج الدراسية ، والاشراف المباشر على المدارس ورعايتها ، وتكريم المتفوقين من الطلبة ، وارسال بعضهم في بعثات الى أوربا ومصر •

إهتم السلاطين العلويون بارسال البعثات الى أوربا بعد معركة ايسلي، التي أظهرت التفاوت الكبير بين أوربا والمغرب ، وبلغ عددهم حوالي (٤٠٠) مبعوث في مختلف الاختصاصات العسكرية والعلمية والانسانية • وكانوا الأمل في رفع مستوى المغرب ، وحل المشاكل التي يعاني منها • إلا أن هؤلاء المبعوثين بعد عودتهم ،لم يتمكنوا من اداء الدور المطلوب منهم • لأن ما درسوه يختلف عن الأفكار السائدة في المغرب • كما أن السلاطين وحاشيتهم لايثقون بهم ، خوفاً من تأثرهم بالأفكار السياسية الغربية[٦٠] • فعلى سبيل المثال ، استقبل السلطان الحسن ، الطلبة العائدين في مجلس حافل بالعلماء والأعيان، حيث شرح العائدون التجربة التي شاهدوها في أوربا ومظاهر التقدم ، وقد اعترض المحافظون على وجود الطلبة ، وطالبوا باعادتهم الى أوربا • ويبدو أن السلطان خشى من بث الافكار الديمقراطية والحرة في البلاد ، مما يهدد نظامه التسلطي المتخلف ، لذا أهمل الاستفادة منهم ، وأخضع بعضهم لاختبار

شديد في الوطنية والأيمان ، مما سبب ضياع الوقت ، وضياع الكثير من الفرص للإستفادة من هؤلاء المتعلمين[٦١] .

وينطبق هذا على السفراء المبعوثين الى الدول الأوربية ، الذين كانوا يعودون بعد مقام طويل أحيانا . لذلك عدوا مظاهر التقدم الأوربي من قبيل امهال الله للكفار ، وذلك حفاظاً على مناصبهم[٦٢] .

ان إخفاق البعثات الدراسية في أداء مهمتها يعود بالدرجة الأولى الى السلاطين الذين كانوا يخافون من الطلبة المبعوثين ، والى طبيعة الجهاز الاداري المحافظ . لذا كان ينبغي إدخال تغيير جذري في الجهاز الاداري بتطهيره من الوزراء والكتاب الذين يرمون الرجل بالالحاد لمجرد مطالبته الدولة بالاستعداد لمواجهة التدخل الأجنبي . فضلا عن تطور داخلي ذاتي للاوضاع العامة في البلاد . بما فيها السلطة المركزية نفسها ، ولم يحدث هذا ، كما أن الفقهاء المتزمتين كانوا يرون في لباس الأوربيين وسلوكهم وعلومهم بدعاً وضلالات تجب محاربتها . ويؤكد ذلك قول الناصري « إلا أن ذلك لم يظهر له كبير فائدة . اذ كان ذلك يحتاج الى تقديم مقدمات ، وتمهيد أصول ، ينبغي الخوض في تلك العلوم والعمل بها عليها[٦٣] .

وبصورة عامة ، فان المشاريع الاصلاحية التي تبنتها السلطة المركزية ، وما تحقق منها ، في المرحلة التي تلت معركتي ايسلي وتطوان حتى خضوع المغرب للحماية ، لم تجد قاعدة شعبية واتجاها عاماً نحوها . بل على النقيض من ذلك أخفقت معظم تلك الاصلاحات ، ويعود ذلك بالدرجة الأولى الى سيادة الجهل والأمية وضعف التعليم ، وانسحب ذلك على المطبوعات والصحافة ، التي حاربها شيوخ الطرق الصوفية ، ولهذا تأخرت في الظهور الى اوائل القرن العشرين .

وأسهم سلوك بعض السلاطين ووزرائهم الى حد كبير في اخفاق الاصلاحات إذ أدى تبذير السلطان للإموال العامة الى افلاس الخزينة واثارة المواطنين وقاد هذا بالتالي الى عجز الحكومة عن تحقيق مشاريعها الاصلاحية،

ومواجهة الاستياء الشعبي الذي عد تصرفات السلطان ووزرائه من نتائج الاتجاه الجديد .

ولا ننسى الدور الخطير الذي قامت به الدول الأوربية ، لاسيما فرنسا التي كانت تعمل جاهدة على إخفاق أية حركة اصلاحية جادة ، تهدد مصالحهم وتأخر خضوع المغرب للسيطرة الأوربية .

* * *

هوامش البحث ...

١ ــ عباس الجراري ، «التيار الفقهي المرابطي»، بمجلة دعوة الحق ، ع٢٤ ، أيلول ١٩٨٢ .

٢ ــ محمد عابد الجابري ، الحركة السلفية والجماعة الدينية في المغرب ، ضمن كتاب الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، اصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٩١ .

٣ ــ المهدي البرجالي ، «لمحات في دنيا الفكر الديني على عهد العلويين» مجلة دعوة الحق ، ع٤ ، ١٩٦٨ ، ص ٧٣ .

٤ ــ للتفاصيل ينظر ، سمية امين ياسين ، الطرق الصوفية رائرها في مقاومة التوسع الاوربي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قدمت الى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ .

٥ ــ محمد عابد الجاري ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

٦ ــ للتفاصيل عن المعركتين ينظر : الناصري ، الاستقصا في تاريخ المغرب الاقصى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٥ ، الجزئين الثامن والتاسع .

٧ ــ الجابري ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

٨ ــ محمد الطنجي، «المولى محمد بن عبدالله العلوي ، العالم المفكر مفخرة المغرب» مجلة دعوة الحق ، العدد ٤ ، ١٩٦٩ ، ص‌ص ٤٨ـ٥٢ .

٩ ــ محمد تقي الهلالي ، «تجديد الدعوة الى عقيدة السلف » ، مجلة دعوة الحق ، عدد خاص، آذار ١٩٧٤ ، ص ٦٧ .

١٠ ــ ينظر نص المنشور ، عبدالله كنون ، النبوغ المغربي ، بيروت ، ١٩٦٢، ج١ ، ص ٢٦٧.

١١ ــ اكنسوس ، الجيش العرمرم الخماسي ، مخطوط ، مديرية الوثائق رقم ١٩٦٥ ، ص ٥٩ .

١٢ ــ ابو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى ، الرباط، ١٩٦٧ ، ص ٤٦ .

١٣ ــ علال الفاسي ، حديث المغرب في المشرق ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص٨ .

١٤ ــ أحمد المكاوي ، موقف السلفيين المغاربة من الاصلاح ١٨٦٠ ــ ١٩١٢ ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبدالله ، المغرب ، ١٩٨٥ ، غير منشورة ، ص ١٧ .

١٥ ــ استخدمت كلمة «المخزن» منذ القرن الثاني الهجري في شمال افريقيا، حيث كان ابراهيم من الاغلب امير افريقية ، يحفظ في صندوق حديدي

مايتبقى من أموال الضـرائب ، لارسالـه الى الخليفة العباسي في بغداد ، ثم أصبحت تطلق على الحكومة بشكل عام ، حسن صبحي ، تاريخ شمال أفريقية الحديث والمعاصر ، الاسكندرية ١٩٧٣، ص ١١٥ .

١٦ ـ عمر الخالدي ، «الزاوية الوزانية انموذج للاقطاع الجهوي » ، مجلـة دراسات عربية العدد ٨ ، ١٩٨٠ .

١٨ ـ ادموند بورك ، «العلماء المغاربة ١٨٦٠ـ١٩١٢» ، تعريب محمـد بـن عبود وعبدالعزيز السعود ، مجلـة البحث العلمي ، العدد ٣١ ، ١٩٨٠ .

١٩ ـ العباس بن ابراهيم المراكشي ، الاعلام بمن حل بمراكش واغمات مـن الاعـلام ، المطبعة الوطنية ، الرباط ، ج٧ ، ص ١٥٨ .

١٠ ـ ادموند بورك ، المصدر السابـق ، ص ١٢٦ .

٢١ ـ احمـد المكـ اوي ، المصـدر السابق ، ص ٣٨ .

٢٢ ـ الناصري ، المصدر السابق ، ج٢ ص ١٦٩ .

٢٣ ـ المصدر نفســه ، ج٩ ص ١٠١ .

٢٤ ـ المصـدر نفســه .

٢٥ ـ

Abun Nasir, Jamil, A History of Maghrib, London, 1978, p. 294.

٢٦ ـ للتفاصيل ينظـر : عبدالحق المريني ، « الاصطلاحات العسكريـة في عهد الملك المصلـح مولاي الحسـن » ، مجلة دعوة الحق ، العـدد ٤ ، ١٩٦٩ .

٢٧ ـ سير هاري ماكلين : ضابط بريطاني من أصل اسكتلندي ، عمل بدايـة حيابه العسكرية في الحامية البريطانية بجبل طارق ، ثم تغلغـل فـي المغرب بصفة تاجر ، وتمكن من كسب صداقة السلطان الحسن الـذي عينه مفتشا عاما للجيش ، ثم قائدا للجيش في عهد السلطان عبدالعزيز ، وكان يتمتع بمكانة كبيرة لدى السلطانـين المذكورين .

Woolman, David's, Rebels in the Rif, London, 1969. p, 5.

٢٨ ـ عبدالحق المريني ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

٢٩ ـ المصـدر نفســه.

٣٠ ـ المصدر نفسـه ، محمد بن عبدالسلام بن عبود ؛ مركز الاجانـب فـي مراكـش ، القاهـرة ، ١٩٥٠ ، ص ص ٩٥ـ٩٧ .

٣١ ـ

Abun Nasir, op. cit. p. 294.

٣٢ ـ الناصري ، المصدر السابـق ، ج٩ ص ٦١ .

٣٣ ـ المصدرنفسـه ، ج٩ ص ٦٦ .

٣٤ ـ المصدر نفسـنـه ، ج٩ ص ٦٤ .

٣٥ ــ المصدر نفسه .

٣٦ ــ نعيمة هراج التوزاني ، الامناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن ١٨٧٣ ــ ١٨٩٤ ، الرباض ، ١٩٧٩ ، ص ٣٣ .

٣٧ ــ جمال هاشم الذويب ، المتطورات السياسية الداخلية في المغرب الاقصى ١٨٩٤ــ١٩١٢ ، رسالة ماجستير ، قدمت الى كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، غير منشورة ، ص ٢٢ .

٣٨ ــ نعيمة التوزاني ، المصدر السابق ، ص ٣٨ــ٤٠ .

٣٩ ــ
Abun Nasir, op. cit. p. 194.

٤٠ ــ روبير شنيوب ، تاريخ الحضارات العام ــ القرن التاسع عشر ، ترجمة يوسف اسعد داغر ، وفريد م. داغر ، بيروت ١٩٨٧ ، ج٦ ، ص ٤٣٦.

41- Louis Arnoud, au temps des Mahallas ou le Morocco de 1880—1912, Casablanca 1952, p. 75.

٤٢ ــ جمال هاشم ، المصدر السابق ، ص‌ص ٦١ــ٦٢ .
Abun Nasir, op. cit. pp. 295—296.

٤٣ ــ محمد المنوني ، مظاهر يقظة المغرب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ج٢ ص‌ص ٦٤ــ٦٦ .

44- Abun Nasir, op. cit. p. 296.

٤٥ ــ استحدثت ضريبة الترتيب اول مرة في عهد الحسن الاول ، ووافق مؤتمر مدريد على مبدأ دفع الاوربيين لتلك الضريبة . الا ان القناصل الاوربيين اتفقوا عام ١٨٨١ على ان دفع الاوربيين للضريبة مقترن بدفع العناصر المغربية امفاة منها . وكان القناصل يتوقعون ان تلك العاصر لن تدفع الضريبة وهو ماحدث فعلا ، وهكذا فشل النظام الجديد واستمرت الضرائب القديمة حتى عام ١٩٠١ .
Abun Nasir, op. cit. p. 296.

٤٦ ــ
Burk III, Edmend, Perlude to protectorate in Morocco 1860—1912, Chicago, 1976, p. 51.

٤٧ ــ جمال هاشم ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

٤٨ ــ
Abun Nasir, op. cit, p. 294; Burke III, op. cit. pp. 53—60.

٤٩ ــ
A. N. Film, No. 191577, Despatch from Blake to Secretary of State about financial difficulties in the Tangier Zone. No. 364, February 19th- 1913.

٥٠ ــ محمد الطنجي ، المصدر السابق ، ص‌ص ٥٠ــ٥٢ .

٥١ ــ من أهم مؤلفاته ، مسانـد الأئمة الاربعة ، ومحاذي الرسالة ، واحاديث خير البريــة ، ومواهب المنان بما يتأكـد على المعلمين تعليمه للصبيــان ، وطبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانـد الائمة وكتب مشاهير المالكيـة والامام الحطاب، وبغية دوي البصائر والالباب والدرر المنتخبة مــن تأليف الحطاب ، والجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة اسانيد وأشهر مؤلفاته ، الفتوحات الالهية الكبرى . للاطلاع على مضامين هذه الكتب يراجع : عبدالرحمن با زيدان ، اتحاف اعلام الناس بجمـال اخبار حاضـرة مكناس ، الرباط ١٩٣١ ، الجزء الثالث ؛ محمد محيي الدين المشرفي ، «ملوك الدولة العلوية في خدمة كتاب الله اكبــر » ، مجلة دعوة الحق ، ع٤ ، ١٩٦٨، ص‌ص ٦٥ــ٦٧ .

٥٣ ــ المصدر نفسه ؛ أحمد مفينو ، « رسالة الدولة العلوية من البدء ضمان حرية الوطن واستقرار البلاد وانتصار دين الله » مجلة دعوة الحــق ، ص ١٤٦ ، محمد المنتصر الريسوني ، « لمحات من الاسهام العلوي في خدمة العلم ورعاية العلماء» ، مجلة دعوة الحق ، ع٤ ، ١٩٦٨ .

٥٤ ــ عبدالرحمن بن زيدان ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ ؛ الجــــراري ، المصدر السابــق ، ص ١٢٧.

٥٥ ــ د. عبدالكريم الفيلاي ، المغرب ملكا وشعبا ، دار الطباعــة الحديثــة، بلا ، ص ٦٣ ؛ للتفاصيل عن أسمــاء المدارس والمساجـــد ، ينظـر الناصري ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٩ .

٥٦ ــ الحسن السائح ، دفاعا عن الثقافة المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٦٨، ص‌ص ٢٣٧ ــ ٢٤٤ .

٥٧ ــ عبدالله الجراري ، المصدر السابــق ، ص ١٢٧ .

٥٨ ــ عبدالرحمن بن زيدان ، المصدر السابــق ١٨٧. .

٥٩ ــ الناصري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص٧٩ .

٦٠ ــ الناصري ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٧٤ .

٦١ ــ مجلة الهلال ، القاهرة ، العدد ١،تشرين الاول ١٩١١ ، ص‌ص ٢٢ــ٢٣.

٦٢ ــ الناصــري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٧٤ .

٦٣ ــ المصدر نفســـه ، ج٩ ، ص ٧٣ .

* * *

نحــــو معجـــم
لمصطلحــات النقــد الحديــث

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وامينه العام

(١)

المصطلح من الالفاظ التي شاعت في العصر الحديث وإن اطلقت في القديم على بعض الكتب[١]. وكانت لفظة « الاصطلاح » اكثر شيوعا ، قـال الشريف الجرجاني : « الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باســم ماينقل عن موضعه الاول[٢]» .

وقال الكفوي : « الاصطلاح هو اتفاق القوم على وضع الشيء ، وقيل : إخراج الشيء عن المعنى اللغوي الى معنى آخر لبيان المراد[٣] » .

وقال التهانوي : « الاصطلاح هو العرف الخاص ، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الاول لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر أو مشابهتهما في وصف أو غيرها[٤]» .

١ ــ ينظر مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين ص٥٤ ، دراسات في تاصيل المعربات والمصطلح ص١٦٢ .

٢ ــ التعريفات ص٢٨ .

٣ ــ الكليــات ص١٢٩ .

٤ ــ كشــاف اصطلاحــات الفنــون ج٤ ص٢١٧ . وهذا هو تعـريف الجرجاني السـابق ، وكان التهانوي قد ذكر في لفظ المجاز « فصل الزاي المعجمة من باب الجيم » ج١ ص٣٠٢ : « فهذا أولى مما قيل في اصطلاح به التخاطب ، اذ لايطلــق الاصطلاح في الاصطلاح على الشــرع والعرف بل هــو العرف الخاص » .

وقال الزبيدي : « الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على امر مخصوص[٥] » .

وقال مصطفى الشهابي : إن « الاصطلاح هو العرف الخاص » ثم قال : « والمصطلح العلمي هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية ... والاصطلاح ــ يجعل ــ إذن ــ للالفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الاصلية[٦] » .

وقال الدكتور علي القاسمي : « المصطلح كل وحدة (لغوية) دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) او كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمي مفهوما محددا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما[٧] » .

ودرجت المعاجم على استعمال لفظة «المصطلح» وصارت ذات معنى خاص، وكادت لفظة « الاصطلاح » تختفي فيما يؤلف في هذه الايام ، وبدأت هذه اللفظة تأخذ صورة واضحة أحيانا وصورة غائمة في احيان أخرى ، فقد جاء في « معجم مصطلحات الادب » : « المصطلحات الفنية : مجموعة الكلمات والعبارات الاصطلاحية المتصلة بفرع من فروع المعرفة أو بفن ما ، أو الكلمات والعبارات الخاصة بعالم معين في بسطه وعرضه لنظرية من النظريات الفنية أو الادبية أو العلمية كأن تقول : مصطلحات الغزالي في التصوف كالمريد والقطب والاشراق[٨] » . وجاء في « المعجم الادبي » : « المصطلح لفظ موضوعي يؤدي معنى معينا بوضوح ودقة لايقع أي لبس في ذهن القارىء أو السامع ... لكل علم من العلوم أو فن من الفنون أو حرفة من الحرف

---

٥ ــ تاج العروس (صلح) ــ المستدرك ــ .
٦ ــ المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص٥ ــ ٦ .
٧ ــ مقدمة في علم المصطلح ص٢١٥ ، وتنظر ص١٧ .
٨ ــ معجم مصطلحات الادب ص٥٦٥ ، وينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص٢٠٢ .

ألفاظ خاصة تدل على أمور معينة يطلق على مجموعها اسم مصطلح مثل : مصطلح التأريخ ، ومصطلح الادب ، ومصطلح الفلسفة[٩]» .

وهذا كلام واضح يحدد معنى « المصطلح » ولا يخرج عما رسمه الأوائل الذين كان البيان عندهم من سمات البحث والتحديد ، ولكن المعاصرين الذين اقتصروا على الثقافة الاجنبية حاولوا الابتعاد عن المفهوم السائد للمصطلح على الرغم من أهمية وضوح المصطلح ووضوح تحديد معناه ؛ لانه المنطلق نحو المصطلحات الفنية جاء في « معجم المصطلحات الادبية المعاصرة » : « المصطلح : اسم يعرف داخل نظام منسجم ترقيمي مُبَنْيَن ، وللمصطلح وظيفة إحالية وتصنيفية دقيقة تقابل غالبا الاسماء العلمية والتقنية . وتعين المصطلح يتم باسم لغة طبيعية تركيب اسمي ــ تعبير مشكل[١٠]» . وجاء فيه : « الاصطلاح العام : يعني الاصطلاح عند غريماس وجود كلمة (أ) بالنسبة لـ (ب) بحيث يكون بالمقدور بأن (أ) هي (ب) مكونين بذلك علاقة اندماجية بين الطبقات التي تشير اليهما الكلمتان مثل الكرسي ــ المقعد . ويطلق على الاصطلاح (الاصطلاح العام) في تعرض مع (الاصطلاح الخاص) ، والاصطلاح العام يعتمد على جرد جاهز للمعرفة » وجاء فيه : « الاصطلاح المشترك لامة ماتمثل حصيلة ونتيجة اندماج منسجم للعاميات ، ويبني الاصطلاح المشترك على انتشار يحاول التحقق عبر نزعات الدرس العلمي ، ولا ينجز الاصطلاح المشترك إلاّ في ظل تحقق حد أدنى من الاجماع[١١]» .

فكيف يفهم تحديد المصطلح اذا كان هذا المنطلق في تحديد معناه العام الذي يضم المفردات الخاصة بعلم من العلوم أو بفن من الفنون ؟ .

---

٩ ــ المعجم الادبي ص٢٥٢ .
١٠ ــ معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ص٢٠٤ .
١١ ــ المصدر نفسه ص١٣٤ .

إن المعجم ــ أي معجم ــ ينبغي أن يكون واضحا لانه القاسم المشترك بين الناس ، ولانه الخطوة الاولى في الفهم ، وأنى يكون الفهم دقيقا اذا كان المصطلح العام غامضا • ؟ •

والمصطلح النقدي جزء من المصطلح العام وهو « اللفظ الـذي يُسمي مفهوما معينا داخل تخصص ولا يلزم من ذلك أن تكون التسمية ثابتة في جميع الأعصر ولا في جميع البيئات ولا لدى جميع الاتجاهات ، بل يكفي ــ مثلا ــ أن يسمي اللفظ مفهوما نقديا لدى اتجاه نقدي مايعتبر من ألفاظ ذلك الاتجاه النقدية أي مصطلحاته » أي انه « مجموع الالفاظ الاصطلاحيـة لتخصص النقـد[١٢]» • وكان العرب قد اهتموا بالمصطلحات العلمية والفنية ووضعوا المعاجم الخاصة بها ومن أشهرهـا :

١ ــ مفاتيح العلوم لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ــ ٣٨٧هـ) •

٢ ــ التعريفات لعلـي بن محمد بن علي الجرجانـي المعروف بالسيد الشريف (ــ ٨١٦هـ) •

٣ ــ الكليات لايوب بن موسى الحسيني الكفوي (ــ ١٠٩٤هـ) •

٤ ــ كشاف اصطلاحات الفنـون لمحمد علي الفاروقـي التهانوي المتوفى في القرن الثاني عشر للهجرة •

وأدرك المعاصـرون أهمية معاجم المصطلحات العلميـة والفنية فوضعت مئات المعاجم ، وكانت معاجم مصطلحات علوم اللغة العربيـة من تلك الأسفار التي نفعت الباحثين والدارسين ، ومنها معاجم البلاغة والنقد والعروض •

وكان من هذه المعاجم ما يُعنى بالقديم ويرصد مصطلحات الفنون الثلاثة رصدا وصفيا وتأريخيا وفنيا ، ومن أشهرها :

١ ــ مصطلحات بلاغية للدكتور احمد مطلوب ــ ١٩٧٢م •

---

١٢ ــ مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين ص٥٦ ــ ٥٧ •

٢ ــ معجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة ــ ١٩٧٥م .
٣ ــ مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للدكتور الشاهد البوشيخي ــ ١٩٨٢م .
٤ ــ المصطلح النقدي في نقد الشعر للدكتور ادريس الناقوري ــ ١٩٨٢م .
٥ ــ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور احمد مطلوب (في ثلاثة أجزاء) ــ ١٩٨٣م ــ ١٩٨٧م ، وأصدرت مكتبة لبنان ببيروت طبعته الثانية سنة ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م في مجلد واحد .
٦ ــ معجم مصطلحات العروض والقوافي للدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي ــ ١٩٨٦م .
٧ ــ معجم النقد العربي القديم للدكتور احمد مطلوب (في جزءين) ١٩٨٩م .
٨ ــ مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين للدكتور الشاهد البوشيخي ١٩٩٣م .

وقد حاولت هذه المعاجم أن تجمع المصطلحات البلاغية والنقدية والعروضية وترتبها ألفبائيا ، ووقف بعضها عند بلاغي أو ناقد واحد كما فعل الناقوري والبوشيخي إذ درس الاول مصطلح «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر ، ودرس الثاني مصطلحات « البيان والتبيين » للجاحظ ، أو تعرض المصطلح العروضي كما فعل الدكتور العبيدي ، أو تقف عند المعنى اللغوي والاصطلاحي وتتابع المصطلح البلاغي أو النقدي حتى مرحلة توقفه في عهود الشروح والتلخيصات والبديعيات كما فعل الدكتور احمد مطلوب في معاجمه الثلاثة .

(٢)

وكان لابد من الاهتمام بالمصطلحات الادبية والنقدية الحديثة وقد نهد بعض الاساتذة لهذه المهمة ووضعوا معاجم تُعنى بهذه المصطلحات مستمدين مادتهم من كتب التراث وكتب الادب والنقد الحديثة .

١ ــ المصطلح في الادب الغربي للدكتــور ناصر الحاني الــذي صدرت طبعتــه الاولى سنة ١٩٥٩م باسم « من اصطلاحات الادب الغربــي » . وهو محاولة لرصــد المصطلحات الادبية الغربية بعد أن دخــل كثير من مفاهيمها في الادب العربي ونقده وحاولت طائفة من الاساتذة تحليل بعض تلك المصطلحات التي مثلتها مدارس كالرمزية ، والواقعيــة ، والرومانسية . وجــاءت محاولة الدكتور الحاني لتكمل تلك المحاولة وتزيد من المصطلحات « وتشرحهــا شرحا سليما بعيدا عن الاسهاب الذي يحتمله الكتاب المنفرد أو المقالة الطويلة[١٣]» .

يعتمد هذا المعجم على ذكر المصطلح بالعربيــة والانكليزية وشرحه شرحا موجزا يعطي صورة واضحة له ، وقد اجتهد المصنف في المصطلحات من غير أن يفرض رأيه ، يقــول : « ولاشك في أن بعض القراء سيخالفونني في إيثار هذا الاصطلاح أو ذاك ، وسيرون أن لفظة تفضل لفظــة وتعبيراً يشــرف تعبيرا ، ويصدق هذا على كثير من المصطلحات التي يتبناها الذين يعنون بالعلوم أيضا ، لان الشأن ــ في الادب خاصة ــ سيظل موكولا بالذوق ، وما يؤثــر المعرب نفسه[١٤]» . ومعظم مصطلحات المعجم عربية مثل النزعة الاحيائية ، والافتتاح ، والبدائية ، والتعبيريــة ، والحــوار ، والاسطــورة ، والملاحــم ، والمأساة ، والمسرحية ، والملهاة ، والانطباعية ، والاغتراب ، إلا أن هناك بعض المصطلحات التي دخلت كتب الادب والنقد بلغاتها الأجنبية ومــن ذلك الأركادي وهو مما لاتوضع له لفظة عربية لانه اسم جبل في اليونــان ، والشعر الاليجي الذي لم يَجِدْ له المصنف اسما عربيا فنحا نحو احمد امين والدكتور زكي نجيب محمود اللذين تبنيا الكلمة الانكليزية نفسها ، والايماجيــة وهي التصويرية ، والدادية والرومنسية ، والسريانية التي سماهــا « مدرسة مافــوق الواقعيــة » أيضا ، والكلاسية والميلودرا ما التي آثر احمد حسن الزيات أن يطلق على هذا المصطلح « المأساة العامية » . ولم يأخذ المصنف بهذه التسمية لانها غير صائبة لما يوحيه

---

١٣ ــ المصطلح في الادب الغربي ص١٠ .
١٤ ــ المصدر نفسه ص١٣ .

كل من لفظي « المأساة » و « العامية » • والميلودراما هي تمثيلية عاطفية مثيرة تعتمد على الحادثة والعقدة أكثر مما تعتمد على تصوير الشخصيات ، وقد سماها منير البعلبكي في مورده « المشجاة » وتبعه الدكتور روحي البعلبكي في مورده ، وهي موفقة وجميلة الجرس والايقاع •

إن معجم « المصطلح في الادب الغربي » أقرب الى الموسوعات المختصرة إذ عُني بالمدارس الادبية والنقدية التي كانت شائعة في النصف الاول من القرن العشرين ، ولذلك فهو لايغني عن المعاجم الجديدة التي تعرضت لما استجد من مصطلحات ، ولكنه لايفقد أهميته فقد ظهر في زمن سادت فيه المدارس الادبية والنقدية كالرمزية ، والواقعية ، والاتباعية ، والابداعية ، وكانت هذه المدارس مجال بحث ونقاش ، وكان لابد أن يظهر معجم يحددها بايجاز وكان « المصطلح في الادب الغربي » أو « من اصطلاحات الادب الغربي » ذلك المعجم أو الموسوعة الموجزة •

ولعل كلامه على « البرليتا » يمثل جزءً من أسلوبه في التعريف ، قال : « لقد عرفت البرليتا في الادب الانكليزي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهي مسرحية هزلية قصيرة تتخللها الموسيقى وبعض الاغاني • ومن أبرز مسرحيات البرليتا في بريطانية هي « توم وجيري » و « الحياة في لندن »، وقد قدمت على مسرح أدلفي في عامي ١٨٢١ و ١٨٢٢م»[١٥] •

ويتضح في هذا الكلام أمور :

الاول : تعريف البرليتا •

الثاني : تأريخ ظهور هذا اللون من المسرحيات.•

الثالث : طبيعة هذا اللون •

الرابع : ذكر بعض المسرحيات التي تمثل هذا اللون •

---

١٥ ـ المصدر نفسه ص٢١٢ •

وهذا الشرح ـ على الرغم من ايجازه ـ من أهم ما ينبغي أن يذكر في المصطلح، وهو ماتسعى اليه المعاجم لتكون موسوعات صغيرة لامجرد سرد للالفاظ وتعريف غامض لها .

٢ ـ معجم مصطلحات الادب للدكتور مجدي وهبة الذي صدر سنة ١٩٧٤م ، وضم كثيرا من المصطلحات الادبية والبلاغية والنقدية والعروضية مشروحة شرحا موجزا . وقد انتهج منهجا في الشرح حدّده بقوله : « أما الطريقة التي انتهجتها في ترتيب هذا المعجم فهي أن وضعت المصطلح الانكليزي ، فالمصطلح الفرنسي ، فالمثال الانكليزي ، فالمثال الفرنسي ، فتأصيل المصطلحين في اللغات القديمة كلما وجدت لذلك فائدة ، وأخيرا المصطلح العربي يليه الشرح باللغة العربية ، يتخلله المثال العربي كلما استطعت الى ذلك سبيلا. ولقد أطلت البحث عن المرادف العربي للمصطلح الانكليزي أو الفرنسي ، وكنت كلما أعيتني الحيلة ألجأ الى أقرب المصطلحات العربية لهذا المصطلح مع تنبيهي الى مابينهما من فرق فاذا عجزت اجتهدت في ابتكار مصطلح عربي جديد[١٦] » .

وترتيب هذا المعجم يختلف عن معجم « المصطلح في الادب الغربي » الذي اتخذ المصطلح العربي أو المُعرّب اساسا ، ووضع المصطلح الانكليزي في الحاشية ، ويختلف عنه في أنه ضم كثيرا من المصطلحات العربية التي خلا منها المعجم السابق وكان اكثر ايجازا منه ، وبذلك استوعب الكثير مما يشيع في الدراسات الادبية والنقدية من مصطلحات .

والمعجم مهم لانه يمثل مرحلة شاعت فيها المفاهيم الغربية للمصطلح ، وعاشت مع المفاهيم العربية ، ولاينكر ماقدم المصنف من جهد وإن كان محتاجا الى متابعة ماastجد بعد وضع معجمه . ولا ينكر هذا الجهد الذي يدل على حرص المصنف واهتمامه بقضايا الادب المختلفة . وقد نفى الدكتور سعيد علوش أهميته في قراءة النص المعاصر ، وقال : « ويخضع ترتيب وفهرسة

١٦ ـ معجم مصطلحات الادب (التمهيد) .

معجمه لالف بائية انكليزيــة أي : أن البحث يخضــع لتقليب من اليسار الى اليمين . وهذا الترتيب هو تأكيد لترجمة مفاهيـم تستقي معلوماتها من أعمال الربع الاول للقرن العشرين وما قبله كما يستهدف المعجم التأريخ ، للمصطلح لا التعامل مــع مفهوميته ، بالاضافة الى أن ثلاثة أرباع المعجـم لم تعد قابلة للاستعمال الحديث منها ولا المعاصر » ثم قال : « لقد حاولنــا أن نستفيد من تجربة مجدي وهبة ، ولكن دون أن يصيبنا منها أي شيء»[١٧].

وهذا إنكار لكل جهد وإن قال الدكتور سعيد مستدركــا « ولا تعني الملاحظات السابقة في حق معجم مجدي وهبة الدخول في ممارسة إلغاء السابق لفسح مكان اللاحــق أي لعملنا بل اننا نؤمــن بترابط تأريخــي للانتاجات وتلاحقها » ثم قال : « وهذا لايعني ضــرورة الغائها مادام هذا الالغاء لن يغير من طبيعة الانتاج المعاصر ، كما لايعني ضرورة الاستغناء عنها مادام الاستئناس بها لايسيء ولكنه يوجه نسبيا » .

لقد انطلق الدكتور سعيد مما حوله وكأن الادب هو ما كتب في السنوات الأخيرة ، وكأن الحداثة نفي للاصالة . واذا كان معجم مجدي وهبة لاينفع في دراسة بعض النصوص التي بنى عليها الدكتور سعيد معجمه فانه ينفع في قراءة النصوص التي كتبت قبــل ذلك . وليس المعجم خاصا بنصوص يقدسها بعض النقاد والدارسين وانما هو دليل للنصوص الادبية قديمها وحديثها ولما سيأتي ، وقاعدة الدكتور سعيد تسقط كل ما ألف من معاجم لغوية وعلمية وفنية لانهــا لاتتعامل مع توجهه الادبي .

إن المعجم كنز لايبلى وفي كل معجم طاقات تتفجر لــو استثمرت ، وليس صحيحا أن « معجم مصطلحات الادب » قد تخطاه العصــر ، فهو سجل لروح الادب ونقده ولايزال نافعا في الدراسات الأدبية والنقدية .

---

١٧ ــ معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ص١٣ .

ولعل كلامه على « تقمص الشخصية » يمثل أسلوبه في التعريف ، قال :
« هي قدرة الممثل على الايحاء بانه هو نفسه الشخص الذي يؤدي دوره في المسرحية . مثال ذلك تقمص يوسف وهبي لشخصية راسبوتين . وقد شاع هذا المصطلح خصوصا في وصف قدرة الممثل على تقمص شخصية المرأة والممثلة على تقمص شخصية الرجل . مثال ذلك : الممثلة سارا برنار التي اشتهرت في أوائل هذا القرن في دوري « النسر الصغير » و « هاملت » ومنيرة المهدية في دور صلاح الدين »[١٨].

وهذا تعريف للمصطلح ، وتمثيل يجسّم المعنى ويبرزه بأجلى صورة ، وهو ما اتبعه الدكتور ناصر الحاني في معجمه .

٣ ـ معجم مصطلحات النقد الحديث للدكتور حمادي صمود الذي نشر منه القسم الاول في حوليات الجامعة التونسية سنة١٩٧٧ ، ولايقصد بالنقد الحديث النقد العربي بل الاعتناء ببعض منازع النقد في أوربة عامة وفي فرنسة خاصة في مرحلة مابعد الخمسينات ، وليس من السهل اليسير الالمام بجوانب النقد واتجاهاته لكثرتها وتعدد مناهجها وتنوعها بتعدد القراءات الممكنة ، وليس من مهمة مصنف المعجم أن يعرف بالمدارس الادبية والنقدية المختلفة لانها على الرغم من بعض المحاولات ـ لم تضبط الى « اليوم لامولدا ولا منتهى ، وهي حركة دائبة وأخذ ورد بين مؤيدين ومنتقدين وراضين وساخطين[١٩]» . وهذه المدارس ترتبط باهم العقائد السائدة فهناك « النقد الوجودي الماركسي ، والنقد المعتمد التحليل النفسي ، والنقد البنيوي أو الهيكلي[٢٠]» . ولذلك اكتفى المصنف بالنقد الهيكلي ، ولكن ما قدمه لم يكن « معجما بكل مافي هذه الكلمة من إحاطة وشمول » وانما هو ثبت بأهم المصطلحات التي استرعت

---

١٨ ـ معجم مصطلحات الادب ص٢٤٣ .

١٩ ـ معجم مصطلحات النقد الحديث . (حوليات الجامعة التونسية الجزء ١٥ سنة ١٩٧٧م) ص١٢٦ .

٢٠ ـ المصدر نفسه ص١٢٧ .

اتباهه في مظانها الاجنبية وفي استعمالاتها العربيــة المختلفة • ولا يستقصي هذا القسم من المعجم كل آثار الاتجاه البنيوي وأعلامه ، لانه اقتصر على « كتب يتعلق بعضها بالاسس النظرية الاولى التي عليها قامت البنيوية ، وعنها تفرعت فنون أخرى تطــور مكتسباتها وتعمقها كالانشائية البنيويــة » وعلى « كتب أخرى عايش أصحابها هذا الاتجاه نشأة واكتمالا وتطــورا » وعلى « نوع ثالث من الكتب تعرض الاتجاهات الكبــرى للنقد الادبي عامــة ، وخصائص الاتجاه البنيــوي ومنطلقاتــه النظرية مطبقــة على دراســة بعض الاشكال الادبيــة[٢١] » •

والمصطلحات التي ذكرها المصنف نوعان :

الاول : مشترك بين جميع ممثلي البنيوية ، إذ منه تنطلق بحوثهم النظرية وعليه تقوم دراساتهم التطبيقية ، وهي « مصطلحات منهجية لايستغني عنها من رام تمثل هذا النوع من البحث أو تعقبه »[٢٢] • وجل هذه المصطلحات أخذت من الألسنية وأخذ بعضها من نظرية التواصــل ، وهذه وتلك وجهــان لقضية واحدة • ومن تلك مصطلحات الشكلانية ، والبنيوية ، والتقابلية ، والرسالة ، والعلامة ، والعلاقة ، والنص ، وهي ماتشيع في الألسنية ومعاجمها •

الثاني : مكرس جله لوصف الرواية •

واعتمد المصنف في تعريف المصطلحات على بعض المعاجم والسياقات التي وردت فيها ذاكراً الترجمة التي اقترحت قبله والمصدر ، وكثيرا ماجره التعريف بالمفهوم الى الحديث عن مفهوم آخر فرع عنه يتممــه أوصنوله يقابلــه مقابلة بدونها لايتضح المعنى وقد سبق المصطلحات تعريف موجز بالاتجاه الشكلاني، والاتجاه البنيوي ، والانشائية ، وأطلق المصنف على هذه المصطلحات الثلاثة اسم « الاتجاهات » وهو القسم الأول •

---

٢١ ــ المصدر نفسه ص١٢٩ ــ ١٣٠ •
٢٢ ــ المصدر نفسه ص١٣٠ •

أما القسم الثاني فهو المفاهيم المنهجية ، وقد تحدث فيه عن المعنى المصاحب ، والزمنية ، والكلم الادبي ، والرسالة ، والوظيفة المرجعية أو السياقية ، والوظيفة الانفعالية أو التعبيرية ، والوظيفة الافهامية ، والوظيفة الانتباهية ، والوظيفة ماوراء لغوية ، والوظيفة الادبية ، ومجال الاختيار ، والعلامة ، والعلاقات التوزيعية ، والعلاقات التجمعية ، والآنية ، ومجال التوزيع والنص .

وأما القسم الثالث فهو المصطلحات المتعلقة بالرواية وهي : التداول ، والمساعد ، والتباعد ، والتضمين ، والنظم ، والعلاقة ، والدافع ، والتبرير ، والقصصية ، ومستوى الاعمال ، ومستوى الوظائف ، ومستوى الحكاية ، وطريقة الاغراب ، والجملة الحكائية البسيطة ، وعلاقة التتابع ، وعلاقة النتيجة .
وتتضح في هذه المصطلحات أمور منها :
الاول : أن كلها عربية اللفظ .

الثاني : أن بعضها جاء بلفظة واحدة ، وهو من أفضل المصطلحات .

الثالث : أن بعضها جاء موصوفا لتحديد المعنى بدقة ووضوح .

الرابع : أن بعضها جاء مضافا لتحديد المعنى بدقة ووضوح .

الخامس : أن بعضها جاء معرفا ، وأن بعضها جاء منكرا ، والأولى أن تذكر المصطلحات كلها معرفة أو منكرة لتتوحد منهجية التصنيف .

ولم يتخذ المصنف الترتيب الألف بائي في سرد المصطلحات ، لأن معجمه محاولة أولى قد تعقبها محاولات أخرى أكثر دقة وأوضح سبيلا .
ولعل كلامه على « المعنى المصاحب » يمثل أسلوبه في التعريف ، قال : « وقد ترجم أيضا بالمعنى الحاف ، وقد وردت ترجمة أخرى لهذه الكلمة في سياق غامض لم يثبت فيه صاحبه المصطلح الفرنسي المقابل هي « المعنى الايمائي » ونشير هنا الى أن الايماء طريقة من طرق أبرز خصائص الاثر الادبي أشمل من مفهوم المعنى المصاحب على مابين المفهومين من تداخل . إنه من

المفاهيم الهامة التي بلورتها الالسنية الحديثة واكسبتها من المعاني مالم تكن تتضمنه في أصلها المنطقي وتبرز أبعاد هذا المفهوم بوضعه ازاء مفهوم آخر يؤلف معه زوجا من الكلمات المفاتيح في الالسنية اليوم ، وهو المعنى الاصطلاحي ، أي المعنى الذي تصطلح مجموعة بشرية تتكلم نفس اللغة على ربطه بلفظ معين . أما المعنى المصاحب فما يتضمن ذلك اللفظ من دلالات خاصة بالنسبة لفرد أو لمجموعة صغرى داخل المجموعة الكبرى . ولعل أدق تعريف لهذا المفهوم تعريف الألسني الفرنسي (أ . مرتيني) : « المعنى المصاحب هو كل ماليس ــ في استعمالك اللفظ ــ من تجربة كل مستعملي تلك اللفظة في نفس اللغة[٢٣] » . إن « معجم مصطلحات النقد الحديث » محدد الاهداف ، وقد وقف مصنفه على ماشاع من المصطلحات البنيوية في الدراسات الادبية والنقدية ، ولكن الدكتور سعيد علوش ينكر عليه المعجمية ، ويقول : « ولا يملك معجم حمادي صمود من المعجمية غير اسمها ، لان عدد المصطلحات التي نشرت قليلة من جهة ولا تخرج عن المجال البنيوي من جهة أخرى ، إلا أنها تتسم بدقة التعريف ، ويعترف حمادي صمود نفسه بالملاحظة التي استرعت انتباهنا : « فليس ما نقدمه معجما بكل مافي الكلمة من إحاطة وشمول ، وهو فقط ثبت بأهم المصطلحات التي استرعت انتباهنا في مظانها الاجنبية ، وفي استعمالاتها العربية المختلفة » ، كما أن مصطلحات حمادي صمود ليست أهم المصطلحات بل الاكثر رواجية في كلية الاداب التونسية ، وهو عمل يذكرنا بما قام به باحث آخر في المجال اللسني هو محمد رشاد الحمزاوي[٢٤] » .

والوقوف على مقدمة المعجم توضح الاهداف ، فما نشره المصنف يمثل القسم الاول ، وقد حدد منهجه وطبيعة المصطلحات التي ذكرها ، وبذلك لايئواخذ كمن لم يحدد منهجه ومصطلحاته ، إنه معجم خاص لمصطلحات مهمة في اتجاه أدبي وتندي محدد ، ولايقال من أهميتها أنها أكثر رواجا في

٢٣ ــ المصدر نفسه ص١٣٦ ــ ١٣٧ .
٢٤ ــ معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ص١٤ ــ ١٥ .

كلية الاداب التونسية أو في غيرها من الكليات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي •

٤ ـ موسوعة المصطلح النقدي : وهي موسوعة ظهرت الحلقة الاولى منها باللغة الانكليزية في عام ١٩٦٩م ، وصدر منها أكثر من ثلاثين حلقة أو جزء ، وبدأ الدكتور عبدالواحد لؤلوة بترجمتها لاهميتها في الدراسات الادبية والنقدية وصدر الجزء الاول منها ببغداد باسم « المأساة » في عام ١٩٧٨م ، وتوالت الأجزاء الاخرى وبلغ ماصدر منها أربعة عشر جزء أو قسما هي :

المأساة ، والرومانسية ، والجمالية ، والمجاز الذهني ، واللامعقول ، والتصور والخيال ، والهجاء ، والوزن والقافية والشعر الحر ، والواقعية ، والرومانسية ، والدرامة والدرامي ، والحبكة ، والمفارقة وصفاتها ، والترميز •

وتمثل هذه المصطلحات الاسس العامة لبعض القضايا النقدية التي شاعت في أوربة ، وهي ليست معجماً بالمعنى المألوف ، وإنما هي موسوعة ضمت أهم الاتجاهات والمفاهيم ، وهي سجل لايفقد أهميته في الدراسات الحديثة على الرغم من أنها تمثل القديم وما شاع في مطلع القرن العشرين •

وقد يكون كل مصطلح دراسة موسعة لمفهومه وتأريخه وما يتصل به من قضايا ، وهذا نافع لمن يريد أن يعرف تأريخ الحركات الفكرية والاتجاهات الادبية والمفاهيم النقدية •

وقد أوضح المترجم في مقدمة كل جزء أهمية « موسوعة المصطلح النقدي » وقال عن المصطلح : « ولان هذه المصطلحات النقدية تعتمد مفهومات أوربية ترجع الى حضارة الاغريق والرومان وما نشأ من آداب اوربية منذ عصر النهضة ، فان ترجمتها الى العربية لايمكن ان تتخذ صيغة نهائية تقف عندها ، كما وقعت في الغالب الصيغ الاوربية المشتقة عن الاغريقية واللاتينية ، لذلك لامَفَرّ من الاشتقاق والنحت والتعريب الى جانب الترجمة، وهنا يتدخل الحس

اللغوي والذوق الفردي والمعرفة باللغات ، اضافة الى ثقافة المترجم عند القيام بعمل من هـذا الحجم[٢٥]» . وليس من السهل اليسير الاستشهاد بمصطلح من هذه الموسوعة لان كل واحد في جزء مستقل .

٥ ــ المعجم الادبي للدكتور جبور عبدالنور الذي صـدر عام ١٩٧٩م ، وقد انطلق مصنفه من « أن اتقـان علم من العلوم هـو في استساغة المفردات الخاصة به ، وانزالها في موضعها ، والتصرف بها بدقة ومهارة معا[٢٦]» .

والمعجم يقتصر على عدد من المصطلحات الأدبيـة والبلاغيـة والنقدية والعروضية ، لان استيعابها كلها عمل ينـوء به أو لو القـوة ، يقول المصنف : « هذا الكتاب المتواضع الذي نخرجه للقارىء العربي انطلق من مبادىء واضحة مرسومة ضمن إطار محدود لاتتعداه حجما وطموحا ، فهـو يقتصر على عدد معين من المفردات مكتفيا بتعريفـات موجزة ، متبعا منهـج المعاجم المألوفة في التوضيح والايجاز ، بعيـداً عن الافاضة والتعميـق الشائعين في الموسوعات العامـة أو المتخصصة ، وقد راعينـا في انتقاء مادته وصياغـة نصه ، التقيد الدقيق بما ارتضيناه له من خطة وغاية[٢٧]» .

والمعجم قسمان :

الأول : المصطلحات الادبية التي اختارها المصنف ، ذاكراً معهـا اللفظ الاجنبي الدال عليها ، وما تؤدي من معانٍ مختلفة بحسب الاتجاهات والمذاهب والفنون ، فمصطلح القديم ــ مثلا هو « لغوياً الذي مضى على وجوده زمان طويل في مقابل الحديث أو الجديد ، وفنياً ماينسب الى عهد سابق مـن رياش أورسم أو نحت أو أدب ، وأدبياً اطلقت اللفظة في الغرب على الادباء القدامى

---

٢٥ ــ المأساة ص٥ ، وتنظر مقدمات الاجزاء التي صدرت من « موسوعة المصطلح النقدي » .

٢٦ ــ المعجم الادبي (المدخل) ص١ .

٢٧ ــ المعجم الادبي (المدخل) ص١ .

من يونان ولاتين وعلى الآثار التي وضعوها ، ثم توسع المدلول فشمل الادب المنتمي الى المدارس الماضية والى الادب المعاصر الذي يتقيد به أصحابه بالاساليب السالفة ويرون فيها نموذجا صالحا للاخذ به والنسج على منواله . وقد نجم عن هذا الموقف شرقا وغربا ظهور معارضة عنيفة بـرزت في الصراع بين القديم والجديد[٢٨] » .

وقد يطيل المصنف في الشرح كما في مصطلح « الفن » فقد عرفه بعدة تعريفات وتحدث عن الفن لأجل الفن ، والفن والاخلاق ، والفن الشعري عند أرسطو ، وهو راس ، ودوفللينا ، ورونسار ، وفوكلون دولا ، وخوان دولا ، ولوزان ، وبوالو ، وكلوديل ، وماكس جاكوب ، وذكرما يتصل بالفن كالفنون الادبية ، والتشكيلية ، والجميلة والفنون السبعة ، والفنون الشعبية والصوتية .

الثاني : الانتاج الادبي الذي ألقى فيه نظرة كلية على مجموعة من الآداب العالمية ، وهذا القسم أقرب الى الدراسة الادبية ؛ لأنه يعرض تأريخ الادب في لغات الشعوب المختلفة .

ويشكل هذا المعجم حلقة من حلقات وضع المعاجم الادبية ، ولكن الدكتور سعيد علوش يسلبه الفائدة لانه لايحتق رغبته ، يقول : « إنه لايقدم معجما يستجيب لمتطلبات الانتاج المعاصر بل يختزله بتقديم جرد تأريخي عن تطوراته في الآداب الغربية دون أدنى مراعاة لتفتيق الافهام ، لان الغاية تلقينية محضة مع أن الطوية صالحة في اعلان المقدمة[٢٩] » ، وهذا قريب مما قاله وهو يتحدث عن « معجم مصطلحات الادب » ، وكأن المعجم لايكون إلا نصوص يريدها لالكشف عما يرد في الدراسات الادبية والنقدية من مصطلحات تحدد المفاهيم وتوضح المقاصد .

---

٢٨ ـ المعجم الادبي ص٢٠٩ .

٢٩ ـ معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ص١٦ ـ ١٧ .

٦ ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب للدكتور مجـدي وهبة وكامل المهندس الذي صدر عام ١٩٧٩ ، ولايختلف في مصطلحاته عما جاء في « معجم مصطلحات الادب » للدكتور وهبة إلا انه خاص بالمصطلحات العربية ، وقد ذكر المصنفان المصطلح الغربي وما يقابله باللغة الاجنبية وأوضحا نهجهما فيه ، فقالا : « لقد خطرت ببالنا طويلا فكرة الشروع في وضع معجـم شامل للمصطلحات العربية للغات والآداب ، ثم اتيحت لنـا أخيراً الفرصة لتصنيف هذا المعجم مراعين في وضعه الاقتصار على المصطلحات العربية للغات والاداب الغربية التي يهتم بها الباحث العربي ، ومعتمدين في ذلك اعتمادا تاما على ماورد في « معجم الأدب » للدكتـور مجدي وهبة ، غـير أننا أفضنا بمعجمنا هذا في التعرض للمصطلحات المتعلقة باللغة العربية وآدابهـا ، واستندنا في ذلك الى المراجع العربية القديمةوالحديثة الخاصة بالادب العربيفي جميع عصوره[٣٠]».

ومما يوضح أسلوب المصنفين في عـرض المصطلح ما جـاء في مصطلح « البديع » وهو : « تزيين الالفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي ، ويسمى العلم الجامع لطرق التزيين بعلـم البديع ، وهو أحـد العلوم الثلاثة في البلاغة العربية : المعاني ، والبيان ، والبديع[٣١]» ، وهـذا ما جاء في « معجم مصطلحات الادب[٣٢]»، الا أن المصنفين أضافا اليـه في المعجم الجديد الكلام على البديع عند ابن المعتز والجاحظ ، وتعرضا للبديعيات وهو ماينسجم والمنهج الذي اختطاه في الكلام على « المصطلحات العربية في اللغة والادب » . ولم يقتصر عمل المصنفين على القديم وإنما أدرجا في المعجم مايتصل بالحديث ، وقد وفقا في معظم المصطلحات إلا أنهما لـم ينجحا في الكـلام على مايتعلق بالمعارف اللغوية الحديثة ، ولذلك انتقدهما الدكتور عبدالسلام المسدي وقال : « ولكن صاحبي « معجم المصطلحات » اللذيـن انطلقا مما أنجزه أحدهما سنة

---

٣٠ ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص٧ .
٣١ ـ المصدر نفسه ص٤٣ .
٣٢ ـ معجم مصطلحات الادب ص٣٩ .

١٩٧٤م فيما أسماه « معجم مصطلحات الادب » قد أدرجا بعض المفاهيم المتصلة بالمعارف اللغوية الحديثة • ولئن توصلا في كثير من المواطن الى ذكر المصطلح التجريدي المناسب فان من المفاهيـم ماقد استعصى تجريـده شأن علم تأصيل الكلمات ، وعلم اللغويات ، وعلم الدلالة الاجتماعية والمعجمية ، ومنها ما اختلط معناه فسـاءت ترجمتـه أوضل شرحـه كما في الوحـدة الصوتية ، ومخارج الحروف ، والوحدة اللغوية ، وما ترجم بالصيغ الصرفية والمادة اللغوية[٣٣]» • وهذا صحيـح لان المصنفين ليسـا من المختصين باللسانيات الحديثـة ، ولان التعرض لمثل هذه المادة يقتضي أن يسهم فيها المختصون •

٧ ــ معجم المصطلحات الادبية المعاصرة للدكتور سعيد علوش الذي صدر عام ١٩٨٤م باسم «المصطلحات الادبية المعاصرة» وصدر عام١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م باسم « معجم المصطلحات الادبية المعاصرة » وقد حـدد المصنف عمله بقوله : « لقد اخترنـا من هـذا المنطلق تكثيف المصطلحات بدل تجميـع التعريفات المتقاربة ، كما عملنـا على توضيح العلائق الممكنة بدل الدعـوة الى استعمال المصطلحات دون تمييز • ونشير في هذا المضمار الى أن المعجم الذي نفترضه لايستهدف أكثر من تقديم أداة عملية ومقاربة مفهومية تشير بـدل أن تقرر ، وتعلم على الاتجاه بدل تحديده ، لهذا جاء تقديمنا لبعض المصطلحات بتعريفين أو ثلاثة تعاريف للفت الانتباه الى الاختلافات المنهجية في الممارسة الادبية أو التيار أو النظرية ••• وقد غلبنا في تبني المصطلح الجانب المفهومي المعتمد على مواصفات ثقافيـة على الجانـب الفيلولوجـي الأحـادي البعد في تنضيده للمصطلحات الميتـة • ووجهنا في كل هـذا اهتمامنا بالجانب التطبيقي الذي يتوخى وضع اطار للقـراءة والكتابة الادبية المعاصـرة من منظورها البسيط والتعليمي مما يسهم في الدفع بالدرس الادبي الى شـق مجراه الطبيعي خارج احتكارات الموسوعيين ومجازفات المروجين[٣٤]» •

---

٣٣ ــ قاموس اللسانيات ص٨٢ •

٣٤ ــ معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ص٨ ــ ٩ •

انبثقت فكرة المعجم من «حاجة ايجاد مؤشر على الاتجاه الادبي والممارسة النظرية وهو شيء يتعدى مجرد وضع قوائم نهائية بما وصل اليه الدرس الادبي المعاصر واستقرت عليه التقاليد بعيداً عن الأحكام التقييمية ، ومع كل هذا فلابد من التعليم على بعض الصعوبات الابستمولوجية والتقنية ، ذلك أن معجمنا الادبي ــ وبالرغم من أدبيته ــ يتجاوز حدوده الى مجالات لسانية سوسيولوجية على سبيل المثال . فهو لايعلن القطيعة مع العلوم الانسانية بل يعمق علاقاته بها، وبذلك فهو ينزع نحو نظرية المعرفة ومجال الكليات الانسانية ، الى جانب شبه الخلل هذا يوجد شبه خال آخر هو تعبير المصطلح عن ممارسة أدبية لم تترسخ بعد في حقلنا المعرفي بالاضافة الى افتقادها لانتاج يدعمها في العالم العربي ، ورغم كمية الدراسات المعاصرة إلا أن مناهج الجامعات مازالت تتحرك طبقا لنمط مؤسساتية عتيقة مما يعوق سير هذا النوع من الدراسات، ويجعلها مشارب موضوعية ونخبوية عند بعضهم . كما تنبه كذلك الى صعوبات تعريف بعض المصطلحات مما يجعل لغة الوصف مستعصية ، ويفسر هذا بغياب بعض المواصفات الثقافية التي أوجدت هذه المصطلحات في حقلنا المعرفي ، أو بغرابة الموقف نظراً لسيطرة رصيد ثقافي يروج لاسلوب السهولة والسيولة البيداغوجية ، كما أن المصطلحات لاتصاحبها أمثلة تمثيلية لتخوفنا من إثقال المصطلح أولا ، واقتناعنا بمؤشرية المصطلح لابنهائيته ، ولضرورات تقنية ثالثا[٣٥]» .

ومعظم المصطلحات التي ذكرها المصنف عربية ، وقد علل احتفاظه بالاسماء الاجنبية بقوله : « وقد احتفظنا باسماء مصطلحات كما هي في لغاتها الاصلية كالابستيمية ، والابتستمولوجية والايديولوجية ، والسيميائية ، والسيميوتك ، والسيميولوجيا ، والقيم ، لقوتها الدلالية من جهة وحفاظاً على مرجعيتها من جهة ثانية[٣٦]» .

٣٥ ــ المصدر نفسه ص٢٣ ــ ٢٤ .

٣٦ ــ المصدر نفسه ص٢٤ .

ولا يبـرر ما قاله الاحتفاظ بالألفاظ الاجنبية ، لان قوة المصطلح تأتي من استعماله وشيوعه ، ولأن الحفاظ على المرجعية يقتضي ابقاء جميع المصطلحات بلغاتها وهذا مالايسعى اليه المؤمنون بأمتهم ولغتهم التي وسعت القرآن الكريم والحضارة العربيـة الاسلاميـة • وليس من الصعب ايجـاد الفاظ لما ذكر من مصطلحات ، بطريق الوضع أو بطريق الترجمة وهو مايفعله العاملون في وضع المصطلحات العلمية والفنية •

وفي المعجم مصطلحات بلاغية معروفة مثل الائتلاف ، والمبالغة ، والبلاغة ، والتجريد ، والمجـاز ، والتجنيس بالقلب ، والخبـر ، والكنائية ، والاقتباس ، والتقديم والتأخير ، والصورة البلاغية ، والمطابقة ، والاستطراد ، والاستعارة ، والمثل ، والايهام • وقد عرفها تعريفا مستمدا من مفهوم المصطلح الغربي ، ففي الاستعارة يقول : « الاستعارة صورة بلاغية يمكن أن تكون لغوية أو ايقونية ، ومصطلح البلاغة القديمة استعادته الشكلانيـة ، وتعمل الاستعارة على فتـح فضاءات سردية بثنائية تصويريتها[٣٧] » •

وليس حقا ان مصطلح البلاغة القديمة شكلانـي فقد كانت الاستعارة من أروع فنون التعبير التي عني بها العرب ، وحللوها ، وأوضحوا أهميتها ودورها في النص الرفيـع • ولودرس المصنف ماكتب عنها البلاغيـون والنقاد العرب ولا سيما عبدالقاهر الجرجاني لوقف موقفا آخـر • وفي تعريفـه للاستعارة غموض فما معنى اللغوية ومـا معنى الايقونية ؟ وما الفضـاءات السردية التي تفتحها الاستعارة بثنائية تصويريتها ؟ إن مصنف المعجم عالم يحدد المصطلحات والالفاظ تحديدا علميا دقيقا واضحا ، ولكـن المصنف سار على منهج لايخدم النصوص الادبية خدمة كبيرة ، ويتضح هذا النهج في معجمه كله ، وقد كان من الضروري أن يعرف المصطلح قبل كـل شيء تعريفا واضحا ولكنه نأى به

---

٣٧ ـ المصدر نفسه ص١٤٥ •

عن الوضوح ، وضرب عن فهم العاملين في المصطلحات صفحاً وجاء بما لايُحدد مفهوم المصطلح مما تعارف العلماء عليه ، والتعارف هو اساس قبول المصطلح وإلا أصبح لغزاً لايفهمه إلا واضعه أو مريدوه •

ولم يكن الغموض في المصطلحات وحدها وانما عدل المصنف عن ترتيبها الالفبائي أو ما تعارف عليه الناس في وضع معاجم الالفاظ والمصطلحات، يقول : « وفي اعتمادنا الترتيب الالفبائي كأساس كنا نخرج عن هذا الترتيب في حالات مفهومية تتطلب التحلل من الالفبائية الشكلية واستبدالها بتلاحق مفهومية للحقل السيميائي[٣٨]»•

وليس من الدقة تجاوز الترتيب الالفبائي في وضع المعجم إذارتبه مصنفه على هذا الاساس ، ويمكن أن يشير الى مكان « التلاحق المفهومي » في أثناء كلامه على مادة يرد فيها ذلك المفهوم •. إن «معجم المصطلحات الادبية المعاصرة» خطوة على الطريق ، وهو عمل لاينكر فضل مصنفه ، وسيكون مصدرا من مصادر معجم النقد العربي ؛ لانه يمثل اتجاها في الثقافة والدراسات الادبية المعاصرة •

هذا وصف لبعض ماتشر من معاجم اصطلاحية ويتضح منها :

١ ــ أن بعضها عام يمثل المصطلحات الادبية والبلاغية والعروضية التي عرفت في التراث العربي وما شاع في النصف الاول من القرن العشرين بعد أن اتصل العرب بالغرب ، وبدأت المدارس والمذاهب الادبية ومصطلحاتها تتسرب الى الدراسات العربية ، كمعجم مصطلحات الادب ، والمعجم

---

٣٨ ــ المصدر نفسه ص٢٤ . وعبارة المصنف الاخيرة تعطي غير مايريد ، لان الباء تدخل على المتروك ، ومعنى العبارة ــ عربيا ــ أن التلاحق المفهومي هو المتروك ، وان الالفبائية الشكلية هي المطلوبة وهذا ما لايريده المصنف . قال تعالى « اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير » (البقرة ٦١) . اي اتاخذون الخسيس وتتركون الحسن ؟ ومثله قوله تعالى : « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » (البقرة ١٠٨) .

الادبي ، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والادب •

٢ ــ أن بعضهـا خاص بالتـراث الأوربي الحـديث مثل المصطلح في الادب الغربي ، وموسوعة المصطلح النقدي •

٣ ــ ان بعضها خاص بالادب المعاصر مثل معجـم مصطلحات النقد الحديث ، ومعجم المصطلحات الادبية المعاصرة •

وهذه المعاجم ثروة كبيرة تمثل معجمية محمودة ، وستكون نواة لمعجم النقد الحديث •

(٣)

كانت المعاجم الصادرة في السنوات الاخيرة رافداً متدفقاً وهي تبشـر بالخير ولكن ــ على الرغم من ذلك ــ ارتفعت أصوات مندّدة بما لاينسجم وأذواق أصحابها أو ثقافتهم أو اتجاهاتهم ، ورفع شعار « إشكالية المصطلح النقدي » وعقـدت من أجله الندوات والمؤتمرات ولو رجَعَ مَنْ يرفع هذا الشعار الى التراث العربي والمعاجم التي صدرت في القرن العشرين لوجـد الطريق ممهداً ، ولو أدرك مسالك الغربيين وعودتهم الى التراث اليـوناني والروماني في معاجمهم ودراساتهم لرأى السبيل واضحة للعيان • ومما أدى الى إشكالية المصطلح أن بعضهم لايعـرف الظروف التي نشـأ فيها المصطلح والأسباب التي دفعت الى وضعه ، ولم يطلع على الأدب اطلاعا يؤهله لفهـم المصطلح فهماً دقيقا ، واكتفى بما يكتب عن الادب من مقالات أوقعتـه في الخلـط والاضطراب •

إن إشكالية المصطلح النقـدي حدثت من فوضى التأليـف والترجمـة ومما زادها خللا واضطرابا :

١ ــ اختلاف ثقافة المؤلفين والباحثين ، فهم إما ذو ثقافة أجنبية يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية ، وإما ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبي ونقده

بالعربية ، وإما ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف . وأدى هذا الإختلاف الى أن يأخذ ذو الثقافة الأجنبية مصطلحاته من اللغة التي يعرفها وينكر ما للعرب من فضل ، وأن يضطرب الآخران فيما يصدران. ولن يكون هناك مصطلح عربي حديث ما لم يتوفر عليه رجال يحملون من الثقافة العربية والأجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل ، وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات .

٢ ــ اختلاف الاوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم اليه من خلال تراثهم وثقافتهم أو مذهبهم الادبي والنقدي .

٣ ــ الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة ، ويتضح ذلك في الاختلاف بين ما يصدر في المغرب العربي والمشرق العربي ، إذ يقبس الاول من فرنسة ، ويأخذ الثاني من انكلترة وأمريكة .

٤ ــ الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح على عدة مفاهيم .

هذه الاسباب وغيرها خلقت جواً غير محمود في الدراسات الادبية والنقدية وجعلت بعض الدارسين يتعثرون ، وقد حدث هذا للقدماء ، وأدى اختلاف ثقافة الادباء والمؤلفين وحرية وضع المصطلح الى :

١ ــ تعدد المصطلح للدلالة على مفهوم واحد .

٢ ــ اختلاف دلالة المصطلح .

٣ ــ اطلاق مصطلح واحد للدلالة على عدة مفاهيم[٣٩] .

إن تحديد المصطلح أول ما ينبغي معرفته اذ انه « اتفاق طائفة على أمر مخصوص » فشروط المصطلح :

---

٣٩ ــ للاطلاع على ذلك ينظر القزويني وشروح التلخيص ص٦٦٦ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج١ ص٧ ، وص٨ ــ ٩ من الطبعة الثانية .

١ ــ اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية أو الفنية .

٢ ــ اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الاولى .

٣ ــ وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي .

٤ ــ الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد .

ولكن هل اتفق الادباء والنقاد على وضع المصطلح ؟

إنّ المتتبع للحركة النقدية المعاصرة يجد الفوضى تأخذ بأطراف الباحثين والدارسين ، ويرى الاختلاف واضحا بين مشرق الوطن العربي ومغربه ، ويجد الاضطراب عند الباحث الواحد حين يستعمل المصطلح للدلالة على عدة معان ، أو يستعمل عدة مصطلحات للدلالة على معنى واحد ، لانه يغرف من هنا ومن هناك ، وتتزاحم المصطلحات الاجنبية من غير هدف إلا اظهار الاطلاع ، وهو هدف لايخدم النقد الاصيل ولا البحث الادبي الرصين . ولعل الوقوف على بعض المصطلحات التي تشيع الآن في الدراسات الادبية والنقدية مثل الاسلوبية ، والشعرية ، والبنيوية ، والحداثة ، يوضح هذه الفوضى وهذه الاشكالية التي قد تكون متعمدة أحيانا وقد تكون حقيقية أحيانا أخرى .

إنّ متابعة ما يكتب في هذه المصطلحات أو الاتجاهات يثير العجب . والنقد ــ وإن كان فنا ــ غير أنه لابد من أن يحمل مسحة من العلم وإلا انفرط عقده وذهب النقاد والباحثون كل مذهب . فوضع المصطلح وتحديده ضروريان ومن قبل قال التهانوي : « إن أكثر ما يحتاج به في العلوم المدونة والفنون المروجة الى الاساتذة هو اشتباه الاصطلاح فان لكل علم اصطلاحا به اذا لم يعلم بذلك لايتيسر للشارع فيه الى الاهتداء سبيلا ولا الى فهمه دليلا »[٤٠] .

---

٤٠ ــ كشاف اصطلاحات الفنون ج١ ص١ ، وفيه : الى انفهامه دليلا .

إن إشكالية مصطلح النقد الادبي المعاصر تتطلب دراسة عميقة للمصطلحات وعودة الى مظانها للوقوف على معانيها ودلالاتها قبل إشاعتها في الدراسات الحديثة . ويقتضي ذلك وضع معجم نقدي حديث يسهم فيه المجمعيون والمؤلفون والمترجمون والادباء والنقاد ، ويتم ذلك بخطوات :

الخطوة الاولى : رَصْد المصطلحات النقدية والعربية والوقوف على دلالتها وتغيرها في العهود المختلفة ، والأخذ بما ينفع في النقد الادبي الحديث ، وسيجد الباحثون كثيرا من المصطلحات التي تعينهم في نقد الشعر ، وصياغة الكلام ، وتنوع الاساليب ، وقد يظن من لا علم له بمصطلحات البلاغة والنقد عند العرب ان المصطلح النقدي يخص الشعر وحده ، وهذا وَهْمٌ كبير وما جاء في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » بأجزائه الثلاثة و «ومعجم النقد العربي القديم » بجزءيه ، يبين أن المصطلح لم يكن خاصا بالشعر ، وانما شمل النثر وألوانه المعروفة في ذلك العهد ، وتضمن ما يتصل باللفظ ، والصياغة ، والتصوير ، والتحسين . فمما يتصل باللفظ الكلام على اللفظة المفردة وجرسها وايحائها ، وما يجوز منها في الشعر وما يجوز في النثر وما يحسن في الاثنين ، ومما يتصل بالتصوير التشبيه ، والتمثيل ، والمجاز بأنواعه : المجاز العقلي ، والمجاز اللغوي (الاستعارة ، والمجاز المرسل) والكناية ، والتورية وما يرتبط بها من وسائل الايضاح أو الابهام والغموض، ومما يتصل بالتحسين ما أدخلوه في «علم البديع» وهو محسنات لفظية ومعنوية لايستغني عنها الكلام لانها تزيده روعة وجمالا اذا وضعت حيث ينبغي لها أن توضع ، ولان بعضها مما يدخل في التركيب ويؤدي دوراً مهما في شعرية النص أو أدبيته .

فهذه المصطلحات التي ذكرتها كتب البلاغة والنقد ليست خاصة بالشعر ــ كما يظن بعضهم ــ وإنما هي عامة ترفد النقد الحديث وتقدم للناقد المعاصر مصطلحات ، وهو يحلل ، ويقوّم ، ويطلق الأحكام النقدية . ولكن هل تكفي هذه المصطلحات ؟

الجواب : لا ، فهناك فنون استحدثت في العصر الحديث وتعاطاها العرب تقليدا أو ابداعا ، ووضعت لها مصطلحات تعبر عنها وتدل عليها ، ولابد من جمع هذه المصطلحات المستحدثة وتنسيقها والأخذ بما ينسجم وروح اللغة العربية • ثم تأتي بعد ذلك مرحلة النظر فيما يستجد من مصطلحات • وهناك عدة وسائل لوضعها منها : الاشتقاق ، والمجاز ، والقياس ، والترجمة ، والتوليد ، فان تعذرت هذه الوسائل كان التعريب ــ وهو نقل الكلمة الاجنبية الى العربية ــ على أن لاتخرج عن المنهج الذي تفوّهت به العرب في التعريب• أما النحت فهو ما لاتميل اليه اللغة العربية لانها اشتقاقية ، ولم يعدّه العرب قياسيا وانما وقفوا عند المسموع منه ، وهو قليل •

ويتم رصد المصطلحات النقدية في عدة مظان ، منها :

١ ــ كتب البلاغة والنقد وهي كثيرة في التراث العربي •

٢ ــ كتب العروض القديمة والحديثة •

٣ ــ كتب الادب القديم المعتبرة في اللغة العربية فصاحة وبلاغة وبيانا •

٤ ــ كتب اللغة المختلفة وأهمها المعاجم.•

٥ ــ كتب التفسير وعلوم القرآن •

٦ ــ كتب الفلاسفة المسلمين •

٧ ــ كتب المصطلحات وأهمها التعريفات للشريف الجرجاني ، والكليات لابي البقاء الكفوي ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي •

وفي هذه الكتب كثير من المصطلحات البلاغية والنقدية والعروضية ، وقد تضمنها « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » بأجزائه الثلاثة وفيه أكثر من ألف مصطلح ، و « معجم النقد العربي القديم » بجزءيه وفيه أكثر من ثمانمائة مصطلح و « معجم مصطلحات العروض والقوافي » وفيه مئات المصطلحات ، وبذلك تيَسَّرَ الوقوف على المصطلحات البلاغية والنقدية والعروضية في

هذه المعاجم الثلاثة وغيرها من الكتب التي رصدت المصطلحات في بعض كتب البلاغيين والنقاد ودواوين الشعراء •

ولا يراد بجرد هذه المصادر القديمة تدوين كل ما جاء فيها ، لأن ماصدر من معاجم في السنوات الاخيرة تكفلت بذلك ، وانما يراد :

١ ـ تدوين المصطلحات التي لاتزال شائعة في الدراسات الادبية والنقدية الحديثة ، لانها مهمة في الادب العربي ذي الجذور العميقة الممتدة الى عشرات القرون ، بخلاف مايذهب اليه بعضهم من قطع بين التراث والمعاصرة ، والغاء القديم بما فيه من أصالة بحجة الحداثة واللحاق بأوربة تفكيرا ومصطلحا وتعبيرا •

٢ ـ الاستعانة بها في وضع المصطلحات الجديدة لِمَا لم يُوضع له مصطلح ، أو وُضِعَ له مصطلح ولم يَشِعْ ، أو لم يتفق عليه الادباء والنقاد والباحثون •

٣ ـ نقل المصطلحات القديمة عند الضرورة من معانيها القديمة الى المعاني الجديدة بطريقة التوليد ، وفي اللغة العربية كثير من المولّد الذي استوعب المستجدات في عصر النهضة الحديثة •

الخطوة الثانية : جَرْد أهم الكتب الادبية والنقدية الحديثة ، واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت في هذا القرن ، والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد •

الخطوة الثالثة : جَرْد أهم كتب مصطلحات الادب والنقد الحديثة والمعاصرة •

الخطوة الرابعة : جَرْد أهم كتب الفلسفة ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفنون ، واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الادبي أو تعين عليه • وهذه الكتب مهمة بعد أن أصبحت المعارف الانسانية متداخلة

وأصبح الادب يعتمد على الفنون التشكيلية ، ويقبس من علـم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفلسفة بعض أصوله وظرياته •

الخطوة الخامسة : جرّد أهم كتب اللسانيات لما بينها وبين الادب ونقده من وشائج وصلات ظهرت في التيارات الحديثة والمناهج الجديدة •

الخطوة السادسة : جرّد أهم كتب الادب والنقد واللسانيات المترجمة ، وهي كتب ضمت كثيرا من المصطلحات التي تنفـع في وضـع « معجم النقد الحديث » وإنْ كان بعضها يحتاج الى إعادة النظر والتعديل أو التغيير •

الخطوة السابعة : الاطلاع على بعض موسوعات الادب الاجنبي ونقده بلغاتها الاصلية •

الخطوة الثامنة : الاستعانة ببعض المعاجم اللغوية الاجنبية لتحديد معنى الاصطلاح اللغوي ، والوقوف على دلالته كما تصورها تلك المعاجم ، والصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، وطريقة انتقال دلالته •

الخطوة التاسعة : الاتفاق على المصطلحات بعد دراستها دراسة مستوعبة ؛ لأن اختلاف المصطلحات الدالة على معانٍ واحـدة من همومِ العاملين في حقل العلوم والآداب والفنـون ، وقد وقـع في ذلك القدماء وتعددت المصطلحات الدالة على فن واحد ، وكتب التراث تحفل بذلك ولا سيما كتب البلاغة • وهذا ما يحدث اليوم اذ تعـددت المصطلحات بتعدد النقـاد والباحثين والمترجمين واختلاف البيئات الثقافيـة ، وتباهـي بعضهم بوضـع مصطلحات قد تكون مُظَلِّلَة ، أو بنقـل مصطلحات لم تستقر في لغتهـا ، وذلك مافعله أصحاب الاتجاهات الجديدة ومنهم الاجانب ، وقد أشار (ج • ماطوزري) الى مثل هذه الظاهرة فقال : « إن كل ماجاءت به أعمال الدلالة البنيوية هو بالأساس عبارة عن مجموعة من مفردات جديدة يتلمظ بها كل مؤلف وهـو ينكر كل الانكار ماعند جاره من مصطلحات جديدة ، وهذه المصطلحات يمكن أن تكون خادعة لانها بمظهرها التقني تبدو كأنها تضمن للعلم الـذي تنتمي اليه وضعية علمية

قوية ، ولكن الخدعة لاتطول بالنسبة لأولئك الذين يؤثرون استعمال النظارات على استعمال كمامات النظر[41]» .

أي أن المصطلح ينبغي :

١ ــ أنْ يدرس دراسة واعية قبل إذاعته واشاعته .

٢ ــ أنْ لايوضع مصطلح لاتمس الحاجة اليه ؛ لانه يحدث اضطرابا ويثير الاختلاف بين الباحثين والنقاد والادباء ، وكم من المصطلحات والالفاظ قد وضعت في اللغات الاجنبية ولكنها لم تنتشر وظلت في بطون الكتب والمعاجم لانها « لاتلبي حاجة معينة » أو « أنها عبرت عن حاجة عابرة لفئة اجتماعية محدودة » أو انها ظهرت « بشكل انفرادي منعزل[42]» .

٣ ــ ان يكون لاعضاء المجامع العلمية واللغوية والمتمرسين في وضع المصطلحات من العلماء والادباء والنقاد والفنانين رأي ينبع من خبرتهم الطويلة ، ومعرفتهم بمفهوم المصطلح ، ومن اتقانهم للغة العربية لفظاً ومعنى وتذوقا ، لانهم الصفوة والقدوة ، وكان ابن أبي الحديد قد قال قبل عدة قرون : « ومعلوم أنّ هذه الاصطلاحات والمواصفات موكولة الى آراء العقلاء واختياراتهم[43]» .

الخطوة العاشرة : تصنيف مايجمع من التراث والادب ، والنقد الجديد بحسب حروف اللفظة لتسهل مراجعة المصطلح ، وهذه الطريقة هي الاسلوب المتبع في وضع معاجم المصطلحات .

الخطوة الحادية عشرة : تعريف المصطلح تعريفا لغويا واصطلاحيا ، والوقوف على اختلاف المذاهب الادبية في تحديده ، وذكره بلغة أجنبية واحدة أو اكثر لمعرفة المقابل الاجنبي والاستفادة منه في الترجمة والتأليف ،

---

٤١ ــ منهج المعجمية ص٣٧ .

٤٢ ــ ينظر منهج المعجمية ص١٠٢ .

٤٣ ــ الفلك الدائر على المثل السائر ص٢١٩ .

ويبقى المصطلح العربي الاصيل أساساً في عرض المصطلحات ، ولاسيما ما استقر منها وأصبح أكثر دلالة من غيره .

الخطوة الثانية عشرة : أن تُراجعَ المصطلحاتِ لجنة" علمية استشارية قبل طبعها ، ويفضل أن يطبع جزء يسير منها لِتُبْدى فيها الآراء قبل أن يضمها المعجم .

وينبغي أن تكتب مواد المعجم بأسلوب واحد ومنهج واحد ، وأن تراعى فيها الدقة العلمية ، وينبغي أن يضاف الى المعجم بين حين وآخر مايستجد من مصطلحات ، وان يعدل بعضها ليواكب الحياة الادبية والفكرية المتجددة .

هذه أهم الخطوات نحو « معجم لمصطلحات النقد الحديث » ليصدر الادباء والنقاد والمؤلفون والمترجمون في دراساتهم وبحوثهم وترجماتهم عن منهج موحد دقيق ، ولعل الاهتمام بعلم المصطلح أو المصطلحية عامة ، وبعلم المصطلح النقدي خاصة أولى خطوات العمل في هذا السبيل لينتفع المصنفون بما استجد في هذا الحقل . وليصدروا عن منهج واضح في اختيار المصطلحات أو وضعها[٤٤] .

إن هذا المعجم لن يقتصر على المصطلحات المعاصرة وحدها ، وإنما يضم المصطلحات التي استعملت في الادب العربي ونقده في هذا القرن ليكون شاهدا على العصر الذي بدأت الامة العربية نهضتها الحديثة فيه ، وليكون أداة درس وفهم وتوجيه ؛ لأنّ المعجم لايقتصر على مرحلة معينة ثم يهجر ،

---

٤٤ ـ علم المصطلح او المصطلحية « علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي يعبر عنها » . وعلم المصطلح النقدي هو « العلم الذي يدرس الظاهرة الاصطلاحية بمسائلها ومشاكلها في مجال خاص هو مجال النقد الادبي » . ينظر مقدمة في علم المصطلح ص٦ ، ١٧ ، معجم مصطلحات الادب ص٥٦٥ . مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس ج٤ ص١٥ ، قاموس اللسانيات ص٢٢ ، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ص٢٠٥ ، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين ص٥٨ .

وإنما هو سجل الادب والنقد ، وهي حياة متجذرة مستمرة • ولعل بزوغ مثل هذا المعجم سيقضي أو يخفف من اضطراب المصطلح النقدي الذي هجم على العرب في هذا القرن وأحدث هزة وعدم استقرار • ولن ينهض بهـذا المعجم إلا فريق فيه اختصاصات متعددة من أهمها التخصص العميـق باللغة العربية وعلومها ، وبالادب العربـي القديم والحديث ، وبالنقـد العربي والاجنبي ، وببعض العلوم المتصلة بالادب وتياراته ونقـده • وسينطلق الفريق مما تحقق قديما وحديثا ، ويكمل ما استجد مستعينا بالوسائل العلمية والفنية التي تقلل الجهد وتختصر الزمن • ولعل اتحاد المجامع العربيـة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية واتحاد الادباء العـرب تنهض بهذا العمل الذي يعـزز الدراسات الادبية والنقديـة ويُوَحِّد الثقافة العربيـة ، ويرسي معالمهـا ، ويوضح خصائصها ، ويجعلها فاعلـة في خدمة الحضارة الانسانية.•

المصـــــادر :

١ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .

٢ ـ التعريفات ـ علي بن محمد الشريف الجرجاني . بيروت ١٩٨٥م .

٣ ـ حوليات الجامعـة التونسـية ـ مجلة البحث العلمي تصدرها كليـة الاداب والعلوم الانسـانية (الجزء ١٥ ـ سـنة ١٩٧٧م) .

٤ ـ دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح ـ الدكتور حامد صـادق قنيبي . عمان ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٥ ـ الفلك الدائر على المثل السـائر ـ ابن ابي الحديـد (وهو الجزء الرابـع من كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير الجزري. تحقيق الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانه ـ القاهرة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م) .

٦ ـ قامـوس اللسانيـات ـ الدكتـور عبدالسلام المسـدي . الـدار العربية للكتاب ١٩٨٤م .

٧ ـ القزويني وشروح التلخيص ـ الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

٨ ـ كشاف اصطلاحات الفنـون ـ محمد علي الفاروقي التهانـوي . تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع . القاهرة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م .

٩ ـ الكليات (معجم في المصطلحات والفـروق اللغوية) . ابو البقاء ايـوب بن موسى الحسيني الكفوي. تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري. الطبعة الثانية بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

١٠ ـ المأساة (موسوعة المصطلح النقـدي) ترجمة الدكتـور عبدالواحد لؤلؤة بغداد ١٩٧٨م .

١١ ـ مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس . عدد خاص (نـدوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم) الجزء الرابع ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

١٢ ـ المصطلحات العلميـة في اللغـة العربيـة فـي القديـم والحديث ـ مصطفى الشهابي . الطبعة الثانية ـ دمشق ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

١٣ ـ مصطلحات النقد العربي لـدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين (قضايا ونماذج) الدكتور الشاهد البوشيخي الدار البيضاء ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

١٤ ـ المصطلح في الادب الغربي ـ الدكتور ناصر الحاني . بيروت ١٩٦٨م .

١٥ ـ المعجم الادبي ـ الدكتور جبور عبد النور . بيروت ١٩٧٩م .

١٦ ـ معجم مصطلحات الادب ـ الدكتور مجدي وهبة . بيروت ١٩٧٤م .

١٧ ـ معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ـ الدكتور سعيد علوش . الدار البيضاء ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

١٨ ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ـ الدكتور احمد مطلوب .

أ ـ الجزء الاول ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

ب ـ الجزء الثاني ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

جـ ـ الجزء الثالث ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

هـ ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

١٩ ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ـ الدكتور مجدي وهبة وكامل المهندس بيروت ١٩٧٩م .

٢٠ ـ معجم مصطلحات النقد الحديث ـ حمادي صمـود . (نشـر في حوليات الجامعة التونسية الجزء ١٥ ـ سنة ١٩٧٧م) .

٢١ ـ مقدمة في علم المصطلح ـ الدكتور علي القاسمي ـ بغداد ١٩٨٥م .

٢٢ ـ منهج المعجمية ـ ج . ماطوري . ترجمة الدكتـور عبدالعلي الود غيري ـ الرباط ١٩٩٣م .

٢٣ ـ موسوعة المصطلح النقدي ـ ترجمة الدكتـور عبدالواحد لؤلـوة . بغداد ١٩٧٨م وما بعدهـا .

التنميـــة العلميـــة والتقنيـــة
فـــي عـــراق ما بعـــد الحصـــار

الاستاذ الدكتور داخل حسن جريو
رئيس الجامعـة التكنولوجيـة
عضـو المجمـع العلمـي

مقدمـــة :

وها نحن نفتح سجل الذكريات ونطل على أيام وأحداث خلدت فـي الذاكرة وعشنا تفاصيلها في عراق أم المعارك منذ بدء المنازلة الكبرى فـي الثاني من آب عام ١٩٩٠ وما أعقبها من حصار اقتصادي جائر فرضه مجلس الأمن الدولـي بتحريض من الولايـات المتحـدة الأمريكيـة التي أوغلت في الأعمال الجرمية الكبيرة ضد العراق وتجاوزت الحد الأدنـى من الحـدود الانسانية التي لاينحدر اليها حتى أصحاب ما يسمى بشريعـة الغـاب ارضاء لصلفها وغرورها الذي جعلها تتمادى أكثر فأكثر وتدفع الأمور الى الاصطدام العسكري والحرب المدمرة التي شنتها بالتعاون مع (٣٠) دولة متحالفة معها تحت غطاء زائف من الشرعية الدولية ضد العراق الصابر المجاهـد وشعبه الآمن المسالم والتي امتدت من ١٩٩١/١/١٧ ولغاية أواخر شهر شباط مـن العام نفسه . ولم تسلم جامعات العراق ومؤسساته العلمية من هـذه الحرب الظالمة فقد تعرضت بعض كلياتها ومعاهدها الى القصف المباشر لطـائرات وصواريخ القوات المعادية وهكذا فانـه لم يكن من قبيل المصادفة أن تتعرض جامعات العراق الى القصف ذلك أن الجامعات تمثل رمزاً من رموز العلـم والمعرفة والتقدم في أي بلد من بلدان العالم وأنها في بلدان العـالم الثالـث أهم تلك الرموز على الاطلاق ،وكلنا نتذكر تصريح الرئيس الأمريكي السابق

جورج بوش وهو يحرض الشعب الأمريكي للعدوان على العراق بأن ما بلغه العراق من تطور علمي وتقني يهدد أسلوب الحياة الأمريكية في الصميم ، وفي الوقت نفسه كان الكيان الصهيوني يرى في التقدم العراقي تهديداً حقيقياً لمشاريعه التوسعية . لذا التقت المصالح الاستعمارية والصهيونية لتحطيم البنية العلمية والتقنية لقطرنا المجاهد ومرتكزات تقدمه وتطوره ممثلة بجامعاته ومراكز أبحاثه ومحاولة أعادته الى عصر ما قبل الصناعة كما صرح بذلك وزير خارجية الولايات المتحدة قبيل عدوانهم الغاشم عند لقائه بالسيد وزير الخارجية حينذاك الأستاذ طارق عزيز في جنيف في الوقت الذي يستعدون هم فيه الى الدخول في مابات يعرف بعصر ما بعد الصناعة لامتلاك أعلى حلقات التقنية المتقدمة واحتكارها لتأمين مصالحهم غير المشروعة وفرض هيمنتهم على شعوب العالم وسلب ثرواتها .

إذ نستعرض هنا بعض آثار العدوان الأستعماري الصهيوني وما سبقه وما أعقبه من حصار ظالم ما زالوا يصرون على استمراره دون أي مسوغ قانوني حتى من منظور قوانينهم الجائرة التي فرضوها على الغير بالتهديد والوعيد ، انما نستعرض غيضا من فيض ناهيك عن الآثار النفسية الرهيبة التي خلفها العدوان في نفوس علماء العراق ومفكريه لما سببه في أنخفاض مستوياتهم المعيشية وحرمانهم من التمتع بأبسط مستلزمات الحياة الأنسانية الكريمة التي تتناسب ومكانتهم العلمية والتربوية وانقطاع تواصلهم مع أقرانهم في الجامعات ومراكز الفكر والبحوث في الأقطار الشقيقة والصديقة وأثر ذلك البالغ في تحديث معلوماتهم وتطوير قدراتهم وامكاناتهم لنشر العلم والمعرفة التي هي حق أساسي من حقوق الأنسان التي يكثرون الحديث عنها ليل نهار .

لقد حرصت جامعات العراق منذ تأسيسها على اقامة علاقات تعاون علمي وثقافي وطيدة مع جامعات العالم المختلفة . ويتخذ هذا التعاون أشكالا وصيغا عديدة منها تبادل أعضاء الهيئات التدريسية والمشاركة في الندوات والمؤتمرات العلمية واجراء البحوث والدراسات المشتركة وتبادل الكتب العلمية والدوريات

وأتاحة الفرص لتدريب وتطوير الملاكات الفنية وتبادل المشورة والمعلومات وتخصيص المقاعد الدراسية للطلبة وما الى ذلك • وقد توقفت جميع هذه الأنشطة والفعاليات منذ بدء العدوان ولحد الآن فعلى سبيل المثال كان يعمل في جامعات العراق في العام الدراسي ١٩٨٩/١٩٩٠ ، (٣١٥) عضو هيئة تدريسية من العرب والأجانب لم تتمكن من تجديد عقودهم بسبب عدم القدرة على دفع رواتبهم بالعملة الصعبة طبقاً لشروط التعاقد المعمول بها في الجامعات ، كما حرمت الجامعة من الأفادة من خدمات كبار الأساتذة الذين كانوا يستضافون لمدد قصيرة ضمن برامج الأساتذة الزائرين للسبب نفسه وبخاصة في التخصصات العلمية والتقنية والطبية فقد بلغ عدد هؤلاء الأساتذة في العام الدراسي ١٩٨٩/١٩٩٠ ، (٢٥٢) أستاذاً من جنسيات مختلفة ، وفي مجال البعثات والزمالات الدراسية بلغ عدد الدارسين في خارج القطر (٢٣٠٠) دارساً في العام نفسه ، بينما انعدمت هذه الفرص في الوقت الحاضر وبلغ عدد الموفدين للمشاركة في مهمات علمية ومؤتمرات دولية (١٤٢٠) موفداً بينما لم توفد الجامعات طيلة سنوات الحصار سوى أعدادا قليلة لاتتجاوز العشرات من التدريسيين معظمهم الى أقطار عربية • وأوقف العمل ببرامج العمل العلمية والثقافية مع الجامعات الشقيقة والصديقة البالغ عددها (٢٤) برنامجاً بسبب عدم القدرة على الايفاء بالألتزامات المالية المترتبة على ذلك بسبب عدم توفر العملات الصعبة •

كما تعاني الجامعات من عدم القدرة على تحديث وتطوير مختبراتها ومرافقها العلمية ، لا بل أن الأمر يزداد سوءاً إذ لم يعد بأمكانها إدامة وصيانة وتهيئة مستلزمات أجهزتها ومعداتها العلمية بسبب عدم توفر قطع الغيار اللازمة لذلك سيما أنها تتقادم بمرور الأيام وتندثر نتيجة ازدياد استخدامها • وينطبق الأمر نفسه بالنسبة الى عدم القدرة على صيانة المباني الجامعية والتأسيسات المائية والكهربائية والأثاث الدراسي والمختبري بسبب عدم كفاية التخصيصات وارتفاع الأسعار من جراء التضخم الناجم عن الحصار الظالم ، ولعل شظف

العيش الذي اضطر معه العديد من الطلبة العمل الى جانب الدراسة لتوفير لقمة العيش لايقل خطورة على المسيرة العلمية والتربوية والتحصيل العلمي والتفوق ، ويكاد ينطبق الأمر نفسه على أعضاء الهيئة التدريسية ومساعديهم حيث اضطرت الظروف الاقتصادية الراهنة العديد منهم الى ايجاد فرص عمل أخرى الى جانب وظائفهم الجامعية لتأمين مستلزمات معيشتهم في الوقت الذي كان ينبغي فيه انصرافهم التام للبحث والتدريس ورعاية طلبتهم واحتفاظهم بمكانتهم الاعتبارية في المجتمع رموزاً علمية وثقافية متألقة •

وبرغم كل ما لحق بجامعات العراق ومعاهده من تدمير وأضرار بليغة بسبب عدوانهم واصرارهم على فرض الحصار فانهم لم يكتفوا بهذا الكم الهائل من الدمار والأضرار فقد سعوا ومازالوا يسعون بطرق ووسائل شتى لأفراغ الجامعات والمؤسسات العلمية من عقولها النيرة ومبدعيها وكبار أساتذتها ومفكريها للعمل في جامعات ومؤسسات الدول الأخرى وبخاصة الجامعات الأمريكية وذلك عن طريق تقديم منح أو مساعدات مالية أو فرص بحثية مدعومة ، ذلك أنهم يدركون أن العقل العراقي القادر على أعادة الأعمار لهو قادر أيضاً على النهوض مرة أخرى بصورة أقوى وأعظم من ذي قبل • لذا فان افراغ العراق وحرمانه من علمائه ومفكريه أصبح شغلهم الشاغل الذي يقض مضاجعهم • وإذ تتطلع بثقة الى مستقبل بلادنا الوضاء بعامة وفي مرحلة ما بعد الحصار بخاصة • لذا ستتناول هذه الدراسة بعض أسس نهضتها العلمية والتقنية في المرحلة القادمة بعد رفع الحصار الظالم للولوج في القرن الحادي والعشرين بقوة واقتدار ان شاء الله •

التعليم الجامعي :

لقد فاق التطور التقني في السنوات الأخيرة كل حدود التصور في جميع العلوم والمعارف الأنسانية وتطبيقاتها في مختلف المجالات • ونحن إذ نقترب من القرن الحادي والعشرين لذا يتوقع ازدياد التطور العلمي والتقني أكثر فأكثر واشتداد حدة التنافس بين الدول لامتلاك حلقات التقانة المتقدمة

وإقامة الحواجز أمام الدول الأخرى ومنعها من امتلاكها إلا بالحدود الضيقة التي تخدم مصالحها وتجعل من الدول الأخرى توابع تدور في فلكها . ومنذ منتصف عقد السبعينات وبعد أن جنى العراق ثمرة نضاله الدؤوب بتأميم ثروته النفطية والعراق يشهد نهضة علمية شاملة في جميع التخصصات . ولأن العراق أختط لنفسه نهجا مستقلا وراح يطرق أبواب العلم والتقنية بقوة ويسعى بجد ومثابرة لتوظيفها لصالح تقدم العراق والأمة العربية وتأمين متطلبات أمنها وتقدمها بعيداً عن مداخلات الدول الأخرى الطامعة بسلب خيراتها وثرواتها التي حباها إياها الله سبحانه وتعالى ، الأمر الذي أفزع الدول الاستعمارية وأفقدها صوابها الى الحد الذي شنت فيه أكبر حرب عدوانية في التاريخ الحديث ضد شعب مسالم آمن تحت ذرائع وحجج واهية ، مستهدفة حقيقة مشروع العراق النهضوي والحضاري وإيقاف مسيرة تقدمه العلمي والتقني . وما الحصار الظالم المفروض على القطر حاليا تحت يافطة الشرعية الدولية وقرارات مجلس الأمن الدولي إلا شكلا من أشكال العدوان. وبرغم كل ذلك يواصل العراق مسيرته العلمية والتقنية بشموخ وإباء ، وما تجربة البناء والأعمار التي حققها العراق في ظروف صعبة جدا حيث الموارد النادرة والشحيحة إلا دليلا ساطعا على قدرة العراق وإصراره على تحقيق كل أسباب نهضته وتقدمه ، ولغرض إدامة زخم التقدم العلمي والتقني لبلادنا والتهيؤ لاستقبال القرن الحادي والعشرين من موقع القوة والأقتدار العلمي للاستمرار بتنفيذ مشروع العراق الحضاري وتصعيد وتائر تقدمه لابد من إيلاء الجامعات والمؤسسات العلمية في المرحلة القادمة اهتماما استثنائيا خاصاً ذلك أن الجامعات في أي بلد من البلدان تسهم في بناء القاعدة العلمية والتقنية واعداد الملاكات البشرية التي يحتاج إليها كي يتبوأ الصدارة في ركب الحضارة الأنسانية حيث التنافس على أشده لامتلاك ناصية العلم وحلقات التقانة المتطورة ، إذاً ، لابد من إيجاد نظام تربوي وتعليمي راق يتسم بالجودة والمرونة والقدرة على اكتشاف الموهوبين والمبدعين وتهيئة سبل النجاح

والتقدم لهم • وبما أن الجامعات تمثل الريادة والقيادة في حركة المجتمع لما لها من تأثير وفاعلية في بناء الانسان العلمي القادر على استلهام التقانة الحديثة وتوظيفها لتحقيق أهداف المجتمع وفتح آفاق أوسع لتطوره وتنمية قدراته في جميع المجالات لذا ينبغي الاهتمام البالغ بالجامعات كي تستطيع الجامعات تسخير نفسها لخدمة القضايا الوطنية بفاعلية أكبر في مجالات زيادة الانتاج والطاقة الغذائية واختيار التقنيات وتوفير الاحتياجات الأساسية والتغلب على مشكلات التنمية وايجاد البدائل للمواد المصنعة في خارج القطر والتوصل الى أنماط ثقافية وتعليمية في مواجهة التصنيع وبناء القاعدة التقنية ليس لردم الفجوة التقنية بين قطرنا وأقطار العالم المتقدمة فحسب ، وإنما لكسر احتكار هذه الدول لبعض حلقاتها المتقدمة ومحاولتها إعاقة الدول الأخرى لامتلاكها ، وبذلك نضمن لبلدنا السير بخطا ثابتة في المسيرة العلمية العالمية وتأمين مستقبل أجيالنا في الحياة الحرة الكريمة ، لذا لابد أن تسعى الجامعات والمؤسسات التعليمية الى مواكبة آخر مستجدات العلوم والتقانة المتطورة في دول العالم المختلفة إذ يشهد عالمنا المعاصر تدفقا معرفيا هائلا في شتى التخصصات العلمية والتقنية.• لقد قامت الجامعات في دول العالم المتقدمة باعادة نظر شاملة في مناهجها الدراسية وأساليبها ونظمها التعليمية لتحديد أفضل صيغ اعداد طلبتها لهذا التدفق المعرفي ، إذ لم يعد كافيا تعليم الطلبة المواضيع العلمية بتخصصاتها العامة ، وإنما أصبح لزاما التعمق في تفصلات هذه المواضيع وتخصصاتها الدقيقة وذلك لتأمين تفوق دولها على دول العالم الأخرى بامتلاكها ناصية العلم وحلقات التقانة المتقدمة وتسخيرها لصالح التنمية الصناعية الشاملة ، وربما التحكم والهيمنة على مقدرات الشعوب الأخرى ومصادرة بعض قراراتها تحت هذه الذريعة او تلك في إطار نظامها الدولي الجديد ، وخلق علاقات غير متكافئة بين الدول مستغلة تفوقها العلمي والتقني ، وتعمل هذه الدول بكل الوسائل على إبقاء النظم التعليمية الجامعية في الأقطار النامية متخلفة عن حركة تطور العلوم والتقانة والمعارف المختلفة،

ولا تستجيب لمتطلبات التنمية الصناعية لتلك البلدان ، وجعلها تابعا تقنيا لها لتلبية بعض احتياجاتها . وهذا يتطلب إعداد ملاكات علمية وتقنية مسلحة بالعلم والمعرفة الواسعة وملمة بالأساليب العلمية الحديثة في التحليل والتفكير ومشبعة بقيم العروبة والأسلام الحنيف وبما يمكنها من ترجمة النظريات العلمية الى واقع عملي بصورة مبدعة وخلاقة لصالح الأنسان العربي ورفاهيته، وينبغي إعداد هذه الملاكات بحيث تدرك الأبعاد الانسانية لتخصصاتها حيث يتوقع في القرن القادم توغل العلم والتقانة في جميع مناحي الحياة أكثر من أي وقت مضى ، وبالتالي ازدياد تأثيرها في مفردات الحياة اليومية الأعتيادية لأي منا ، ولكي تلعب الجامعات دورها الصحيح في التنمية وإعداد الملاكات العلمية والتقنية المطلوبة فانه مطلوب منها أن توازن بين ما تعده من ملاكات وما يحتاجه المجتمع كما أنه يجب مراعاة التوزيع الموضوعي للجامعات على أرجاء القطر .

ويلاحظ المتفحص للجامعات في معظم دول العالم أن الجامعات متباينة في حجومها واهتماماتها وتنوع أختصاصاتها . فهناك جامعات كبرى وشاملة لجميع التخصصات العلمية ، وعادة ماتكون هذه الجامعات في مراكز المدن الكبرى ، وجامعات متوسطة أو صغرى وتضم هذه الجامعات عدداً محدوداً من التخصصات لتلبية بعض الاحتياجات الوطنية أو المحلية ، وتقع هذه الجامعات عادة في الأقاليم أو مراكز المحافظات وبحسب أهمية هذه الأقاليم أو المحافظات ولكي تكون التنمية العلمية والثقافية والحضارية شاملة لجميع أرجاء البلاد وملبية لاحتياجاتها بصورة متوازنة فانه ينبغي انشاء الجامعات وفق خطط علمية مدروسة بدقة وبامعان . كما أنه ليس هناك ضرورة أن تحتوي كل جامعة على جميع التخصصات إذ أن هناك تخصصات تتطلب استثمارات مالية كبيرة ، واخرى قد تكون الحاجة اليها محدودة بطبيعتها . ولكي تحقق الجامعات أهدافها بفاعلية أكبر في عالم اليوم الذي تزداد فيه كلف التعليم بمعدلات كبيرة جدا ، وتزداد فيه ايضا القيود المفروضة على هذا

التخصص أو ذاك من الدول المتقدمة علمياً أكثر فأكثر الى الحد الذي تعتبر فيه أن بعض التخصصات تدخل ضمن ما تعتبره سراً من أسرار الدولة المهمة التي ينبغي إحاطتها بدرجة عالية من الكتمان ، لذا ينبغي أن يولي المسؤولون والمخططون لقطاع التعليم العالي أهمية خاصة لموضوع توزيع بعض التخصصات العلمية التي توصف عادة بالتخصصات النادرة على الجامعات بحيث تتركز هذه التخصصات في عدد محدود من الجامعات منعا لبعثرة وتشتت الجهود والهدر في الامكانات البشرية والمادية . وأن تجعل بعض الجامعات مراكزا للجودة والتميز في هذه التخصصات كما هو معمول به في العديد من جامعات العالم ، إذ لايصح على الاطلاق أن تتطابق الجامعات في اهتماماتها وتخصصاتها العلمية بحيث تصبح كل منها نسخة مكررة من الأخرى . وقد يكون مفيداً التفكير من الآن بانشاء جامعات ذات حجوم صغيرة أو متوسطة متخصصة بالعلوم والتقانة ومتميزة في مجال البحوث والدراسات العليا كأن تكون نسبة طلبة الدراسات العليا فيها لاتقل عن ٥٠٪ من مجموع طلبتها مثلا ، وكما هوموجود فعلا في العديد من دول العالم المتقدم .

وقدر تعلق الأمر بقطرنا العراقي يمكن تصور وجود ستة جامعات رئيسة اثنان منها في بغداد والأربعة الأخرى موزعة على مدن الموصل والبصرة وأربيل والحلة ، شاملة لجميع التخصصات ، وجامعات أخرى متوسطة وصغرى في بقية المحافظات بعدد محدود من التخصصات بحيث تتكامل تخصصات هذه الجامعات القريبة من بعضها جغرافيا ، وأن لايتم التوسع في هذه الجامعات إلا بعد انشاء عدد من الكليات في مراكز المحافظات الأخرى ، وعلى ان ترتبط هذه الكليات بالجامعات القريبة وتكون في عهدتها وتحت اشرافها ورعايتها لتكون كل منها نواة لجامعات جديدة بعد نموها واستكمال مستلزماتها المادية والبشرية وذلك لتأمين رصانتها العلمية ، وبذلك نضمن عدم تشتت الجهود والاستخدام العقلاني للامكانات المادية والموارد البشرية ،

وتحقيق التنمية الشاملة لجميع أنحاء القطر ، وتخفيف الأعباء المالية عن الكثير من العوائل العراقية بحيث يصبح بأمكان أبنائها الألتحاق بدراسات جامعية في أماكن سكنها أو بالقرب منها محققة بذلك رغباتها الانسانية وحقها المشروع بالتحصيل العلمي وتأمين احتياجات هذه المناطق من الملاكات العلمية ، وكذلك استقرار هذه الملاكات في تلك المناطق . ومن هذا المنطلق نرى ضرورة وضع خريطة جامعية لعموم مناط قالقطر تحددفيها أنوا عالجامعات وتخصصاتها وحجومها ومواقعها وسنوات استحداث أقسامها وكلياتها ، لذا لابد من وضع شروط ومعايير لاستحداث الجامعات يمكن إيجازها بالآتي[١] :

١ ــ لكي يتم انشاء أية جامعة في أية مدينة لابد من معرفة الثقل السكاني لتلك المدينة قياساً الى المدن الاخرى ، وكذلك التأكد من توفر المستلزمات الأساسية التي ينبغي توافرها في أية مدينة جامعية من وسائط نقل مناسبة وأماكن سكن لمنتسبي الجامعة وما الى ذلك من خدمات .

٢ ــ التأكد من ان هناك أعداداً كافية من الطلبة في المدارس الثانوية لتلك المدينة تلبي طلبات القبول كماً ونوعاً في الجامعة المراد استحداثها .

٣ ــ أن تكون المدينة المراد استحداث جامعة فيها ذات أهمية اقتصادية أو حضارية وذات مستوى جيد من التطور يمكنها تقديم الاسناد اللازم لديمومة الجامعة وتطورها .

٤ ــ أن تخدم الجامعة أوسع رقعة جغرافية ممكنة .

٥ ــ لاتبدأ التدريسات في الجامعة المستحدثة إلا بعد التأكد من توفر جميع مستلزماتها الأساسية من ملاكات تدريسية وكتب دراسية ومستلزمات مختبرية وقاعات دراسية مناسبة بصورة معقولة .

٦ ــ يفضل أن تبدأ الجامعة المستحدثة بانشاء كلية أو أكثر تحت اشراف جامعة قريبة منها لتأمين مستلزماتها وضمان رصانتها العلمية ، ويمكن للجامعة المستحدثة بعد تخريجها دفعة من الطلاب أو أكثر أن تتولى بعدها تصريف شؤونها بنفسها .

وحيث أن كلف التعليم الجامعي في تزايد مستمر لذا دفعت الحاجة الى البحث عن أساليب تعليمية جديدة تحقق الجدوى العلمية والاقتصادية في آن واحد والمتمثلة بأساليب تقانات وشبكات المعلومات ألتي توفر فرصا ممتازة لنشر الثقافة والعلوم المختلفة على نطاق واسع لتشمل جميع القطاعات الشعبية وبخاصة الفئات الفقيرة منها والفئات المعاقة التي قد لاتستطيع الذهاب يوميا الى المعاهد والكليات بحيث تستطيع هذه الفئات التعلم والدراسة وهي في بيوتها أو أماكن عملها بيسر وسهولة كما توفر هذه التقانة فرصا جيدة لتطوير قدرات العاملين في الدوائر والمؤسسات الانتاجية في أطار برامج التعليم المستمر .

وتعد الجامعة الوطنية التقنية التي أنشأت عام ١٩٨٤ في الولايات المتحدة الأمريكية أبرز النماذج الناجحة في مجال التعليم الجامعي عبر شبكات المعلومات[٦] . وهذه الجامعة عبارة عن شبكة معلومات تبث من ٤٧ جامعة هندسية معروفة في الولايات المتحدة الأمريكية الى داخل الولايات المتحدة و ٢٠ دولة آسيوية منذ عام ١٩٩٥ ، تبث الجامعة أكثر من ٩٠٠ مقرر دراسي سنويا ، منها ٥٠٠ مقرر تؤدي الى شهادة جامعية معترف بها ، وتبث الجامعة أيضا بعض دراسات الماجستير في الهندسة الكهربائية وعلم الحاسبات والادارة الهندسية الى أقطار كوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان وماليزيا واليابان .

كان الهدف من انشاء هذه الجامعة في البداية كما تشير الدراسات هو تأهيل العاملين من رعايا الدول الأخرى في الشركات الأمريكية مثل موتورولا وهاولت باكارد وأي بي أم عبر فرص تعليمية مشابهة لفرص أقرانهم الأمريكان، وتشير الدراسات أيضا الى أن المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم تسعى حاليا الى انشاء جامعة القمر الصناعي العربي للعلوم والتقانة .

وتتلخص فكرة انشاء هذه الجامعة باعتماد احدى الجامعات العربية مقرا لها ، وربط الجامعات العربية الرئيسة بالجامعة المقر بواسطة شبكة معلومات عبر القمر الصناعي العربي ، تقوم الجامعة المقر ببث البرامج الدراسية لأغراض التدريب والتعليم المستمر ، اضافة الى البرامج الدراسية التي تفضي

الى شهادة جامعية ، وتسعى دول أفريقية وأوربية لانشاء جامعات عبر شبكات المعلومات يؤمل أن ترى النور في المستقبل القريب •

ويمكن لجامعات شبكات المعلومات الافادة التامة من جميع المكتبات وخدمات المعلومات الأخرى والبرامج الثقافية المختلفة وشبكات المعلومات العالميـة التـي أبرزها :ـ

١ ـ الشبكة الأوربية الأكاديمية والبحثية الموحدة المعروفة اختصاراً (I. A. R. N) وهي شبكة منظومة حواسيب تقدم المعلومات الى جميع الجامعات الأوربية ومعاهد التعليم العالي ومراكز البحوث وبعض الأقطار العربية والأفريقية ،وتهدف الشبكة الى تعزيز التعاون بين الدول المشاركة فيها في مجال توظيف نتائج البحوث العلمية •

٢ ـ شبكـة المعلومات الأمريكية دايلوك (Diolog) التي تضم أكثر مـن (١٣٠) قاعدة بيانات في حقول العلم والتقانة المختلفة •

٣ ـ انشأ المركـز الوطني الياباني للمعلومات عام ١٩٨٦ المعروف اختصـاراً (S. I. S.) منظومة المعلومات العلمية ويقدم المركـز خدماته الى (٤٦٠) جامعة يابانية مرتبطة به ارتباطا مباشـراً • ويرتبـط المركز بمراكـز المعلومـات العالميـة •

٤ ـ أنشأت اكاديمية العالم الثالث للعلوم عام ١٩٨٨ شبكة معلومات باسـم شبكة معلومات العالم الثالـث للمؤسسات العلميـة لتقديم خدمات المعلومات الى دول العالم الثالث الأعضاء في الشبكة •

٥ ـ تعتبر شبكة أنترنت المؤلفة من ملايين محطات الحواسيب الألكترونيـة المشبكة بالهاتف ، أهم وأكبر شبكات المعلومات اذ يرتبط بها حاليا أكثر من (٤٠) مليون مشارك في جميع أنحاء العالم •

وفضـلاً عن استخدام شبكات المعلومـات للأغـراض التعليميـة فقد استخدمت تقانة المعلومات في تدريس المواضيع العلميـة في العديـد من

الجامعات ، قام معهد ستيفنز التقني في الولايات المتحدة الأمريكيــة باعداد مكتبة برمجية بتمويل من المؤسسة القومية للعلوم وذلك لتدريس العلــوم الانسانية لطلبة العلوم والهندسة باسناد الحاسوب ، كما نفذت جامعة أمريكية أخــرى مكتبة برمجية لتدريس طلبــة الهندسة البحريــة موضــوع تصاميم البواخر باسناد الحاسوب . وقامت جامعة يوتا الأمريكية باستخدام أساليب التعليم باسناد الحواسيب المايكروية لتدريس الطلبة التجارب المختبرية فــي الهندسة الكهربائية . وهنــاك تجارب أخرى عديــدة في الجامعات الأوربية واليابانيــــة .

أما الفوائد الناجمة عن التعليم عبر تقانة وشبكات المعلومات فيمكــن ايجازهــا بالآتــي :

١. يتعلم الطالب بحسب قدراتــه الذاتية .
٢. يتعلــم الطالب بحسب ظروفــه .
٣. بامكان الطالب أن يعيد الدرس كلا أو جزءاً أي عدد من المرات لاستيعابه المادة العلميــة المطلوبة .
٤. يتعلم الطالب ذاتيا الأمر الذي يساعد الطالب على تنمية قدراته العلميــة ومواكبة التطور العلمــي لاحقا .
٥. تعد المادة من قبل أفضل المختصين في المادة العلمية ووفق أحدث طرائــق التعليــم والتعلــم .
٦. يمكن إعداد المادة بمستويات علمية مختلفة بحسب مؤهــلات وقــدرات المتعلمــــين .
٧. يمكن حذف وأضافة وتعديل المادة العلمية بسهولة .
٨. يمكن التعلم خارج الحرم الجامعي سواء في أماكن العمل أو في البيوت .
٩. يمكن التعلم في أي وقت من الأوقات في الليل أو النهار وطيلة أيام السنة.
١٠. يعتقد أن كلفة التعليم ستكون أقل منها بالطرق التقليدية .

من ذلك نرى أن تقانة المعلومات يتوقع أن تترك آثاراً عميقة على النظم التعليمية السائدة في الوقت الحاضر بدءاً من مرحلة الدراسة الابتدائية وانتهاء بمرحلة الدراسة الجامعية وما بعدها في أطار التعليم الذاتي والتعليم المستمر مدى الحياة • ولكي لاتتخلف نظمنا التعليمية عن مجريات هذا التطور وآفاقه المستقبلية ، لذا ينبغي أن توليه مؤسساتنا التعليمية وجامعاتنا جل اهتمامها إن لم يكن على صعيد المباشرة الفعلية باعتماد تقانة وشبكات المعلومات التي ربما تعيق تحقيقها ظروف الحصار الاقتصادي ، فليكن في الأقل على صعيد الاطلاع ومواكبة التطور وفتح قنوات وايجاد مسارات للتواصل مع مايتحقق من مبتكرات ومستجدات • ويتوقع أن تؤدي تقانة وشبكات المعلومات الى تغيرات جوهرية في مفاهيم التدريب والتعليم •

من كل ذلك تخلص الى حقيقة مفادها أن المرحلة القادمة تتطلب إعادة نظر شاملة بالتعليم الجامعي ، مناهجه ونظمه وأساليبه وطرائق تدريسه ، تخصصاته وترابطه مع حقل العمل ومدى استجابته لمتطلبات المجتمع واسهامه في تحقيق التنمية الشاملة ، وكذلك تعزيز أمن بلادنا واستقرارها ، والانتقال بها الى مصاف الدول الأكثر تقدما في العالم بالاعتماد على الذات بأكبر قدر ممكن ، والتعامل مع الغير من موقع القوة والاقتدار بحيث تستعيد أمتنا العربية المجيدة مكانتها اللائقة بين أمم الأرض كأمة علم وحضارة ، وقد دلت التجارب والدراسات أن أحد أهم أسباب تقدم الأمم والشعوب هو جودة نظمها التعليمية •

البحث العلمي :

لم تعد الجامعات في عالمنا المعاصر المكان المناسب لاعداد الملاكات العلمية والتقنية التي يحتاجها المجتمع فحسب ، بل هي اليوم مصدر المعرفة العلمية والأفكار الجديدة الناجمة عن البحوث العلمية وبخاصة فيما بات يعرف بحافات العلوم والتقانة المتقدمة ذات التطبيقات الصناعية والزراعية والطبية الواضحة مثل التقانة الحياتية والألكترونيات الدقيقة وتقانة المعلومات والبولمرات وغيرها،

وفي عالم يشهد صراعا حادا بين الدول للهيمنة على أكبر الحصص في الأسواق التجارية والمحلية والدولية على حد سواء لحساب مؤسساتها الانتاجية . لذا فقد أدركت هذه الدول أن نجاحها وضمان تفوقها يعتمد أساسا على القدرات الابداعية لعلمائها ومهندسيها في إعداد التصاميم المبدعة واعتماد أساليب الانتاج المتطورة التي يراعى فيها حسابات الكلفة ونوعية المنتوج وزمن دورة الانتاج وما الى ذلك .

ولهذا الغرض سعت المؤسسات الانتاجية الى مد الجسور مع الجامعات وتوثيق الصلات مع أساتذتها وباحثيها بهدف التعاون في اجراء البحوث والدراسات لحسابها ، كما شجعت الحكومات في العديد من الدول قيام هذه المؤسسات بتمويل مشاريع البحث العلمي من صناديق تؤسس لهذا الغرض وتمول من مستحقاتها الضريبية بنسب معينة بدلا من دفعها الى مؤسسة الضرائب .

تشير الدراسات الى أن هناك علاقة وثيقة بين حجم البحوث التطبيقية التي تنجز في أي بلد من البلدان وبين النمو الاقتصادي المتحقق في ذلك البلد ، كما تشير الدراسات أيضا الى أن معظم الأنفاق على هذه البحوث في جامعات الدول الأكثر تقدما في العالم يتم من قبل مؤسسات صناعية مختلفة. ولاشك أن الاتفاق الخارجي على البحوث يعني حتما تأمين فرص أفضل لاستثمار نتائجها وتوظيفها لحل معضلات فنية أو علمية ذات جدوى اقتصادية أو مردودات انسانية أو اجتماعية . كما يلاحظ أن أغلب الأقطار النامية لاتستطيع توظيف نتائج البحث العلمي بصورة فاعلة ومؤثرة للاسهام بحل الكثير من المعضلات التي تعيق حركة تنميتها وتطورها ،وبرغم أهمية البحوث التطبيقية إلا أن البحوث العلمية الأساسية تبقى المحرك الأساس للبحوث التطبيقية إذ لايمكن أن تكون هناك بحوث تطبيقية حقيقية مالم تكن هناك بحوث أساسية أصيلة تستند اليها وتنطلق منها البحوث التطبيقية ، لذا ينبغي أن تولي الجامعات البحوث الأساسية أهمية لاتقل عن اهتمامها بالبحوث

التطبيقية ذلك أن البحوث الأساسية هي القاعدة الأساسية التي تؤسس عليها البحوث التطبيقية ، اضافة الى أنها الرافد الأساس لفتح آفاق جديدة في المعارف الانسانية وربما مفاهيم جديدة وتخصصات علمية جديدة . كما انها المجال الرحب والخصب لاعداد وتدريب الملاكات العلمية وبخاصة الملاكات الشبابية حديثة التخرج . وباختصار أن البحوث العلمية الأساسية هي مفتاح كل البحوث في جميع التخصصات وفي كل الاتجاهات وهي لاترتبط بمكان أو زمان معين ، وتلبي جميع الاحتياجات الانسانية لجميع دول العالم[٢] . وحيث أن البحوث الأساسية لاتلبي احتياجات جهة معينة لذا فان تمويلها لا يتم في العادة من الموازنة المالية في الجامعة . وقد لاتلقى هذه البحوث على أهميتها في مواصلة التقدم العلمي وإنماء المعرفة ، ما تستحقه من اهتمام وعناية كافية مقارنة بالبحوث التطبيقية ، على الرغم أن الجامعات تدرك تماما أن البحوث الأساسية التي تنجز اليوم ستحول نتائجها في الغد الى بحوث ودراسات تطبيقية لحل هذه المعضلة أو تلك ، لذا يمكننا القول أن جميع البحوث هي بحوث تطبيقية بشكل أو بآخر ذلك أن ما تتوصل اليه البحوث من حقائق ومعلومات علمية لابد أن تتم الافادة منها في وقت لاحق. ويرى بعض العلماء والباحثين أنه ليس صحيحا التميز بين بحوث أساسية وبحوث تطبيقية وإنما الاكتفاء بكلمة بحوث فقط لتعني تقدم المعرفة وإنمائها وإثرائها ، أما مايطلق عليه بحوثا تطبيقية فانه أمر لايتعدى توظيف نتائج البحوث لحل مشكلة ما ولايمثل بحثا بحد ذاته ذلك أنه لايضيف شيئا الى المعرفة . وثمة حقيقة أخرى لابد من تأشيرها هنا هي أن البحوث الجامعية تختلف عن البحوث التي تجرى في أماكن أخرى إذ أن معظمها لايهدف الى إنماء المعرفة وحل المعضلات العلمية والتقنية فحسب ، وانما تهدف في الوقت نفسه الى اعداد باحثين علميين جيدين يمتلكون أدوات البحث العلمي ويحسنون استعمالها بعد تخرجهم من جامعاتهم ذلك أن الوظيفة الأساسية الأولى للجامعة هي اعداد الملاكات العلمية عالية التأهيل في التخصصات

العلمية المختلفة . ويعتبر النشر العلمي للبحوث في مجـلات ودوريات علمية رصينة ومحكمة ومعترف بها في الأوساط العلمية أحد أهم مؤشرات جـودة البحث العلمي كماً ونوعاً وبخاصة في المجلات والدوريات ذات السمعة العلمية والشهرة الواسعة التي يتداولها العلماء والباحثون في مختلف أنحاء العالم عبر شبكات الاتصالات الحديثة . وثمة ملاحظة أخرى لابد من تأشيرها هنا هـي أنه على الرغم من أن العلم والتقانة هما تاجان انسانيان لكل بني البشـر ، إلا أن ذلك لاينفي خصوصية اسهام كل بلد بحسب تقدمه وتطور مؤسساته العلمية والبحثية . كما أنه لايعني أن العلوم والتقانة وبخاصة حلقاتها المتقدمة مشاعة لمن يطلبها ، بل العكس هو الصحيح إذ تمارس جميـع الدول درجة عالية من الكتمان فيما يتعلق بمشاريعها العلمية والبحثية لأسباب شتى منهـا مايتعلق بحماية أمنها الوطني ، ومنها ما يتعلق بتأمين تفوقها وضمان هيمنتها وسيادتها في أسـواق التجارة العالمية وغـير ذلك من أسباب وذرائع شتى . ومن هنا والحالة هذه يجب اعتماد سياسة وطنية في التنميةالعلميـة والتقنية تؤشر فيها بدقة ووضوح احتياجات القطر في مراحل تطوره المختلفة ، وحسب سلّم أولويات في التخصصات العلمية المختلفةوبصورة متوازنة بحيث لايهمل أي تخصص ، ذلك أن التنمية العلمية والتقنية كل لايتجزء ، وبصرف النظر عن الجدل الفلسفي حول ماهيـة البحوث ما إذا كانت أساسية أم تطبيقية فـان جهوداً حقيقية يجب أن تبذل لتوظيف نتائج البحوث العلمية من قبل الدوائر والمؤسسات ، وبحكم المرحلة الراهنـة من تطور بلادنا التي تستلـزم حـث الخطى لغلق الفجوة العلمية والتقنية بين قطرنا ، ودول العالـم الأكثر تقدما ، لأجل تأمين اطلالة قويـة لبلادنا من موقع الاقتدار العلمي في القرن القـادم بحيث تتحول أمتنا من أمة مستهلكة للنتاج العلمي والتقني العالمـي الى أمـة مساهمة بفاعلية في خلق هذا النتاج ، وليس هذا بغريب على أمتنا العربيـة المجيدة أمة العلم والابداع في مختلف عصورها عندما تتهيأ لها أسباب التقدم لتتجلى القدرات الخلاقة لعلمائنا ومهندسينا وباحثينا . من ذلك نخلص الى

ضرورة إعطاء أرجحية واضحة للبحوث التطبيقية وإيلاءها ما تستحقه من اهتمام • وعلى الجامعات ومراكز البحوث أن تسعى بكل الوسائل الى توظيف نتائج بحوثها العلمية لما تمثله هذه النتائج من قيم فكرية مهمة بذاتها ، فضلا عما ينجم عنها من آثار بليغة في تقدم المجتمع وتطوره ، وتعتبر الحلقات الدراسية والندوات والمؤتمرات العلمية فرصا ممتازة لترويج هذه البحوث لدى المؤسسات الانتاجية اذا ما أحسن عرضها والتعريف الجيد لها دون مبالغة •

ولا تقتصر مهمة الجامعة على اجراء البحوث والدراسات العلمية بل ينبغي عليها أن تسعى باستمرار الى اكتشاف المبدعين والموهوبين من الطلبة ورعايتهم رعاية خاصة وتدريبهم على اجراء البحوث العلمية لاكسابهم الخبرات وتمكينهم من امتلاك أدوات البحث العلمي لبناء القدرات العلمية المتميزة بعطاءها • ويمكن أن تلعب المؤتمرات العلمية دورا هاما في هذا المجال الأمر الذي يتطلب العناية بها وحسن تنظيمها وفق السياقات العلمية المتعارف عليها ، كما أنه لابد من الاشارة الى أهمية خلق البيئة البحثية السليمة في إطار الأجواء الجامعية النقية التي يتجلى فيها الخلق والابداع وروح المبادرة والابتكار بأفضل صورها •

لقد أدركت دول العالم المتقدمة صناعيا إنه لايمكن تحقيق تقدم تقني مالم يتم بناء قاعدة علمية وبحثية رصينة • وحيث أن العلوم تشهد تطورات سريعة لذا فقد أصبحت البحوث العلمية بحوثاً تخصصية ومتقدمة جدا وقد تشمل مجالات متداخلة مع بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى • ولعله مفيداً أن ندرج هنا بعض اتجاهات البحوث العلمية في جامعات العالم المتقدمة في الوقت الحاضر • تهتم الدول الصناعية حاليا بانتاج مواد جديدة لتلبية احتياجات مختلفة مثل المواد فائقة التوصيل لما لها من استخدامات مهمة في مجالات الطب والطاقة والفضاء • تصنع هذه المواد باعتماد تقانات جديدة وتراكيب مختلفة ، كما تهتم هذه الدول ببحوث الانصهار النووي الذي يتوقع أن

يكون مصدر الطاقة في المستقبل • وتشهد علوم الحياة تقدماً مذهلا في عصرنا الحاضر حيث توصلت البحوث الى معرفة الكثير من الأسرار الحياتية مما كان له الأثر الواضح بتحسين الخدمات الطبية وحل بعض مشاكل الغذاء • وتعد الهندسة الألكترونية وهندسة الاتصالات وتقانة المعلومات من المتطلبات الأساسية في المجتمعات المعاصرة التي باتت تعتمد المعلومات في جميع مناحي حياتها حيث لايستغني عنها أي نشاط علمي أو صناعي أو اقتصادي بأي شكل من الأشكال ، وتشمل البحوث في هذا المجال حقولا عديدة منها ما يتعلق بأشباه الموصلات والألكترونيات البصرية والحواسيب فائقة القدرة والشبكات العصبية والذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة وهندسة برمجيات الحاسوب • وتلعب الأتمتة وهندسة الانسان الآلي والتصميم والانتاج المسند بالحاسوب دورا هاما بزيادة الانتاج وتحسين نوعيته وتخفيض كلفه ، لذا فقد أولته الجامعات ومراكز البحوث اهتماما كبيرا ، وتهتم الجامعات أيضا بالدراسات البيئية المختلفة والبحوث العلمية الأساسية باعتبارها القاعدة التي تؤسس عليها البحوث التطبيقية •

ولكي تنهض حركة البحث العلمي بجامعاتنا الى مصاف مستوياتها في الجامعات المتقدمة لابد من تحسين البنية التحتية لمنظومة البحث العلمي وتهيئة مستلزماتها من ملاكات بشرية وأجهزة ومعدات وكتب علمية ودوريات ، اضافة الى تطوير علاقات التعاون العلمي مع الجامعات ومراكز البحوث الأجنبية في الدول الصديقة المتقدمة علميا وصناعيا .والافادة من خدمات الوكالاتالدولية المتخصصة ، وتوفير المعلومات العلمية والتقنية بصورة سريعة ومستمرة للعلماء والباحثين لغرض انجاز بحوثهم مما يتطلب استحداث مركز معلومات وطني ، يرتبط هذا المركز بشبكة معلومات وطنية تضم الجامعات ومراكز البحوث من جهة ، ويرتبط بشبكات المعلومات العربية والدولية من جهة أخرى ، ويمكن تنظيم عمل هذا المركز بقانون تحدد فيه سبل وسائل تداول المعلومات ودرجة كتمانها وطرائق الافادة منها ، ويمكن أن يلعب المجمع العلمي بتشكيلته الحالية

دورا هاما بتنشيط حركة البحث العلمي على صعيد القطر برسم ستراتيجية واضحة للبحث العلمي طبقا لأولويات احتياجات القطر ومواكبة حركة تطور العلوم والتقانة ويترك للجامعات ومراكز البحوث اشتقاق خططها السنوية البحثية منها • ويقوم المجمع بتمويل انجاز بحوث مختارة في حقول العلم المختلفة ذات أهمية في التنمية العلمية أو الاقتصادية للقطر في مراحل تطوره المختلفة ، وقد يتولى المجمع منح جوائز سنوية تقديرية وتشجيعية للعلماء والتقنيين الشباب الذين يحققون انجازات علمية أو تقنية باهرة ، اضافة الى تنظيم الندوات والمؤتمرات العلمية عالية المستوى والجودة في مواضيع علمية مختارة •

الدراسات العليا

أولت الجامعات العراقية الدراسات العليا منذ بدء استحداثها لأول مرة في العام الدراسي ١٩٦٠/١٩٦١ ولحد الآن أهمية خاصة ، كون هذه الدراسات ترفد المجتمع بالقادة العلميين والتربويين الذين يتوقع منهم أن يسهموا بفاعلية في بناء القاعدة العلمية والتقنية للقطر ، لذا فقد حددت الجامعات أهداف الدراسات العليا بوضوح ، فجاءت هذه الأهداف مفصلة شملت تحديدا للأهداف القومية والاجتماعية والسياسية وكما يأتي[٣] :

- تعزيز مكانة المجتمع باعتبارها مركز اشعاع خلاق •
- توكيد أهمية العلم كأداة ثورية في بناء المجتمع •
- توفير أعضاء الهيئة التدريسية والباحثين على اختلاف اختصاصاتهم التي تتطلبها قطاعات التعليم العالي والبحث العلمي ودوائر الدولة •
- تهيئة المتخصصين لسد احتياجات قطاعات التنمية القومية •
- تعميق التوازن بين تقدم العلوم النظرية والجوانب التطبيقية فيها •
- ايجاد الحلول العلمية للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية •
- توجيه الطلبة وتنمية روح الأبتكار والابداع لديهم •
- تقديم الخدمات والأستشارات العلمية للدولة ومؤسساتها •

- ربط الدراسات العليا بالحاجات المرحلية لخطط التنمية القومية .
- تنمية البحث المرتبط بمتطلبات خطط التنمية .

من ذلك يتضح جليا أن منظومة الدراسات العليا لاتستهدف اكساب الطلبة المهارات التقنية العالية وتزويدهم بالمعارف العلمية المتقدمة في التخصصات المختلفة وتمكينهم من امتلاك أدوات البحث وفق منهجية علمية سليمة فحسب، بل أنها تذهب أبعد من ذلك كثيراً حيث أنها تسهم اسهاماً فاعلا ومؤثرا بخلق البيئة البحثية الجامعية اذ غالبا ما يردد الجامعيون مقولة مفادها أن الدراسات العليا هي الوسادة التي يتكيء عليها البحث العلمي ، وهم يعنون بذلك أن البحث العلمي يزدهر بوجود الدراسات العليا والعكس صحيحا أيضا . كما أن بحوث طلبة الدراسات العليا ، وبخاصة بحوث الدكتوراه هي ليست تمارين لتدريب الطلبة على أساليب ومنهجية البحث العلمي فقط ، بل هي أيضا وسائل لسبر غور المعرفة وصولا الى اضافات علمية واضحة ومحددة لتأكيد قدرة الطالب على امتلاكه أدوات البحث العلمي بصورة جيدة ، واستخدامه لهذه الأدوات لتحقيق أهداف علمية واضحة تتسم بالأصالة وتحديد المعرفة أو حل معضلات تقنية متقدمة . ومن هنا يمكننا القول أن بحوث الدراسات العليا بخلاف البحوث الأخرى هي وسيلة وغاية في آن واحد إذ بينما تكون غاية البحوث عادة هي تقصي الحقائق العلمية بهدف إثراء المعرفة وايجاد الحلول لبعض المشكلات والمعضلات العلمية ،نرى أن بحوث الدراسات العليا لاتكتفي بهذه الغايات فقط ، وإنما ينبغي أن تكون وسيلة لاعداد باحثين علميين جيدين يمتلكون أدوات البحث ويحسنون استعمالها بعد تخرجهم من جامعاتهم ، أي أن منظومة الدراسات العليا تهدف الى اعداد قادة وباحثين علميين في آن واحد ، والى خلق المدارس البحثية بهدف إثراء المعرفة الانسانية ، وتوظيف نتائج البحوث لخدمة المجتمع وتحقيق أغراضه في التنمية الشاملة والتقدم لتحسين مستويات المعيشة لأفراده وتأمين أمنه واستقراره في عالم تشتد فيه الصراعات وتتحكم فيه الدول بحسب قدراتها العلمية والتقنية . وهذا يتطلب إيلاء منظومة

الدراسات العليا اهتماما خاصة وتوفير كل أسباب نجاحها وتقدمها وتذليل كل العقبات التي تكتنف مسيرتها وبخاصة ما يتعلق منها بتوفير الكتب والدوريات العلمية والأجهزة والمعدات العلمية الحديثة ، والتواصل مع مراكز البحوث والجامعات المتقدمة بكل الوسائل الممكنة ، واعتبار الصرف على هذه الدراسات إنما يمثل استثمارا حقيقيا في بناء القدرات العلمية والتقنية لقطرنا المجاهد ليس في هذا الزمن الصعب فحسب ، بل وفي كل الأزمنة والعصور ، وعلى أن تصرف هذه المبالغ في ضوء كفاءة كل جامعة في تنفذ برامج الدراسات العليا وقدرتها وتفاعلها مع مؤسسات المجتمع في مجالات توظيف نتائج بحوثها، ويمكن قياس الانتاجية البحثية من خلال حجم النشر العلمي في مجلات علمية محكمة ، وقياس جودة هذه البحوث وأصالتها من خلال تقويمات الخبراء، ومدى الافادة منها بحسب أهمية ذلك التخصص في التنمية الشاملة للقطر في المراحل المختلفة للتطور العلمي والتقني لقطرنا • ولكي تزدهر الدراسات العليا في جامعاتنا لابد أن تعتمد هذه الدراسات منظومة رصينة ومرنة في آن واحد لاستعاب جميع المتغيرات والمستجدات العلمية والتقنية ، وأن تعتمد أسلوب المجاميع البحثية الكبيرة أي تجميع الطاقات العلمية والبشرية والامكانات المادية من أجهزة ومعدات وكتب ودوريات في أماكن معينة وعدم بعثرة الجهود في مجاميع صغيرة تؤدي الى ضعف الأداء العلمي وتشتت الجهود دون فائدة علمية تذكر ، وكذلك فسح المجال أمام الباحثين وطلبة الدراسات العليا بالافادة من الأجهزة والمعدات وجميع الأمكانات المتوفرة في المؤسسات الأخرى دون قيود ومعاملتهم معاملة العاملين في تلك المؤسسات ، وأخيرا نقول أن نظام الدراسات العليا لمرحلة الدكتوراه ينبغي أن يكون موجها لخدمة البحث والتطوير بحيث يكون البحث العلمي سمته البارزة والمميزة ، وأن تكون المقررات الدراسية بالقدر الذي يحتاجه البحث العلمي في التخصص العام والدقيق الذي يجري فيه إعداد البحث وتعميق فهمه لتخصصه واستيعاب تفصيلاته لتكون خير معين له في الخلق والابداع في ذلك التخصص • وليس معقولا في عالمنا المعاصر

الذي يشهد ثورة معلوماتيـة هائلة أن تطلب من طالـب الدكتوراه أن يكون موسوعيا في المعرفة ونجعل من أطروحة الدكتوراه مجرد تمرين فـي البحث العلمي ، في الوقت الذي قامت معظم الجامعات الرصينة في أغلب الأقطـار المتقدمة باعادة نظر جادة وشاملة بمناهجها الدراسية ونظمها التعليمية ليس على صعيد الدراسات العليا فحسب،بل والدراسات الأوليةمعتمدة التخصص الدقيق أكثر فأكثر . لذا ينبغي أن تتضافر الجهـود الخيرة لتطوير برامـج الدراسات العليا والارتقاء بها كماً ونوعاً ، ذلك أن برامج الدراسات العليا تشـل ركنـا أساسيا من أركان التعليم العالي والبحث العلمي .

نقـل وتوطيد التقانة المعـاصرة

ولكي تؤدي الجامعات دورها المطلوب في دفع عجلة التقدم العلمي والتقني وتحقيق أهداف التنمية الصناعية الشاملة والانتقال بقطرنا المجاهد الى مصاف الدول الأكثر تقدما في العالم في القرن القادم باذن الله ، لابـد أن تندمـج الجامعات اندماجا تاما مع المؤسسات الصناعية والانتاجية من حيث الأهـداف ورسم السياسات واعداد الأطر التقنية والهندسية وتطويرها وتوظيف نتـائج البحوث والأختراعات العلميـة وتقديم الاستشارات واستنبات التقانة الحديثة والمساهمة في عمليات التصنيع المتقدمة وتحسين أسـاليب الانتاج ، وبذلك نكون قد خلقنا بحق جامعـة متفاعلة مع بيئتها الصناعيـة ومستجيبة لمتطلباتها بصورة مبدعـة وخلاقة وذات إسهام فـاعل ومـؤثر في التنمية الشاملـة للقطر . ولكي تندمج الجامعات مع المؤسسات الانتاجية لابـد أن تعـي الجامعات والمؤسسات على حد سواء أهمية التعاون والتكامل بينها وتعمل على تيسير سبله وتحسين مساراته وتجـاوز معوقاته بما يعود بالفائدة والمنفعة على جميع الأطراف . وحيث أن الجامعات بحكم طبيعتها تعد مراكز للفكر العلمي المتقدم والابداع التقني الزاخرة بالامكانات العلمية والتقنية المتطورة والقدرات البشرية المتقدمة . لذ مطلوب منها أن تلعب دورا أكبر في مجالات نقل التقانة الحديثة وتوطيدها في بيئة عراقية لتأمين اطلالة قويةلقطرنا المجاهد

واسهام فاعل في الحضارة الانسانية ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين ، ويمكننا هنا تأشير بعض هذه التقانات التي تكتسب أهمية خاصة في عصرنا الراهن ذلك أنها تسهم فاعلا في زيادة الانتاج الصناعي أو الانتاج الزراعي أو تأمين الأمن الغذائي أو الأمن الدوائي ، وبالتالي تحسين مستويات معيشة الأفراد وتحقيق الرفاهية والسعادة لأبناء شعبنا وتعزيز أمن وإستقلال قطرنا بعيدا عن المداخلات والضغوط الدولية . ولعل تقانة المياه والموارد المائية في مقدمة هذه التقانات نظرا لما للموارد المائية وسبل ترشيد استخدامها من أهمية فائقة في القرن القادم وبخاصة أن بلادنا قد حباها الله بأراض زراعية خصبة ومياه غزيرة الا أن معظم مصادرها تقع في خارج حدودها الاقليمية . وثمة تقانة أخرى مهمة هي تقانة المعلومات حيث تلعب المعلومات دوراً أساسيا في حياة البشر لذا ينبغي الاهتمام بتقانة المعلومات باعتبارها أحد أهم عناصر الانتاج في الوقت الحاضر ، وتعتبر تقانة الأتصالات أحد أعمدة الثورة التقنية حيث أنها تسهم بانتقال المعلومات من بلد الى آخر بيسر وسهولة وبخاصة بعد استخدام الألياف البصرية والأقمار الصناعية في منظومات الاتصالات . كما أدى استخدام الحاسوب في مراحل التصميم والانتاج الى تخفيض عدد العاملين في عمليات الانتاج لذا يجب التفكير جديا بتهيئة قطاعات واسعة من الناس بحيث يصبح كل منهم قادرا على التعامل بدرجة أو أخرى مع الحواسيب الألكترونية . وتلعب هندسة التحكم الآلي وهندسة الانسان الآلي ومنظومات الأتمتة والانظمة الخبيرة دوراً هاما بزيادة الانتاج حيث يمكن تشغيل آلات ومعدات عديدة من قبل أفراد أقل عند استخدام سيطرة آلية ، لذا ينبغي البدء فورا بهذه الدراسات المستقبلية ذات الأهمية النائقة في تلبية احتياجات بلادنا وبناء قاعدتها التقنية المتطورة ، وتستخدم التقانة الحياتية استخداما واسعا في انتاج الغذاء وزيادة خصوبة التربة والانتاج الزراعي وبكلف اقتصادية زهيدة وبأساليب انتاجية متطورة وباستخدام قوة عمل قليلة مقارنة مع قوة العمل المستخدمة في الأساليب

الزراعية التقليدية ، من ذلك نخلص الى أهمية تمويل بحوث ودراسات التقانة الحياتية وبخاصة أن معظم مشاريعها لاتحتاج الى رأسمال كبير • إذ أنها تعتمد على الابداع والابتكارية بالدرجة الأساس • ويتوقع أن تلعب التقانة البحرية دورا هاماً باكتشاف البحار والمحيطات من أجل استغلالها صناعيا يشمل جميع الثروات البحرية من أسماك ونباتات ومعادن مختلفة الأمر الذي يتطلب إيلاء هذه التقانة اهتماما خاصا ، ونظرا لما للحفاظ على البيئة من أهمية فائقة في حياتنا المعاصرة ، لذا ينبغي الاهتمام بتقانة حماية البيئة من جميع آثار التلوث المختلفة لتأمين بيئة عراقية نقية •

وهناك تقانات عديدة مختلفة لايتسع المجال هنا للخوض بتفصيلاتها سنكتفي بذكرها ذلك أن عالمنا المعاصر يشهد تدفقا معرفيا هائلا في شتى التخصصات العلمية والتقنية منها[٧] :

* الهندسة الألكترونية وتشمل هندسة منظومات ألكترونيات القدرة ، وهندسة الألكترونيات الدقيقة ، وهندسة المنظومات الألكترونية وهندسة المايكروويف والألكترونيات البصرية ، وهندسة البصريات الألكترونية والليزر ، وهندسة المنظومات الألكترونية والحواسيب المايكروية ، وهندسة ألكترونيات البيئة ، والهندسة الألكترونية وتقانة الموسيقى ، والهندسة الألكترونية الطبية ، وهندسة منظومات الألكترونيات الدقيقة ، وهندسة التصنيع الألكترونية ، والهندسة الألكترونية والحواسيب ، والهندسة الألكترونية والدوائر المتكاملة ، والهندسة الألكترونية والبرمجيات ، وهندسة الدوائر الألكترونية المتكاملة الواسعة الحجم جدا ، وهندسة ألكترونيات الطائرات ، وهندسة منظومات المعلومات الألكترونية •
* الهندسة الكهربائية وتشمل هندسة القدرة والمكائن الكهربائية ، وهندسة كهربائية الطائرات ، وهندسة المواد الكهربائية •
* هندسة الحواسيب وتشمل هندسة اسناد الحاسوب ،وهندسة برمجيات الحاسوب ،وهندسة مكونات الحاسوب ، وهندسة منظومات الحاسوب،

وهندسة المنظومات الرقمية ، والذكاء الاصطناعي ، والشبكات العصبية ونمذجة الدماغ البشري ، وهندسة الحاسوب المايكروي .

* هندسة الأتمتة والتحكم الآلي وتشمل هندسة الروبوت ، وهندسة المنظومات ،وهندسة المعلومات ، وهندسة منظومات المعلومات ، وهندسة الميكاترونكس ، وهندسة التصنيع والتصميم باسناد الحاسوب .
* الهندسة الميكانيكية وتشمل هندسة تصاميم الانتاج ، وهندسة الوقود والطاقة ، وهندسة المنظومات الكهروميكانيكية ، وهندسة بناء السفن، والهندسة البحرية ، والهندسة الميكانيكية وتكامل الحاسوب ، وهندسة الانتاج الصناعي ، وهندسة التصنيع ، وهندسة المعادن ، وهندسة التعدين ، وهندسة السيارات ، وهندسة الطائرات ، والهندسة الميكانيكية ومنظومات التصنيع ، وهندسة الغزل والنسيج .
* هندسة الفضاء وتشمل هندسة المنظومات الفضائية ، وهندسة تصنيع الفضاء ، وهندسة المواد الفضائية .
* هندسة السيراميك ، وهندسة الزجاج ، وهندسة البوليمرات ، والهندسة البايوكيمياوية ، وهندسة المسح الكمي ، والهندسة الجيولوجية ، وهندسة النقل الجوي ، وهندسة خدمات المباني ، وهندسة الصوت .
* الهندسة الميكانيكية وتطبيقاتها الطبية الحياتية ، والهندسة الميكانيكية والمنظومات الألكترونية الهندسية والرياضيات ، والهندسة الميكانيكية والتعدين ، والهندسة الكهربائية والتعدين ، والهندسة الكيمياوية والادارة البيئية ، والهندسة الميكانيكية وادارة الطاقة ، والهندسة الألكترونية وادارة الأعمال ، والهندسة الألكترونية وعلم الحياة والهندسة الألكترونية والكيمياء ، والهندسة الألكترونية وعلم الحاسبات، والهندسة الألكترونية والبصريات الألكترونية ، والهندسة المدنية وادارة المشاريع ، والهندسة المدنية وادارة مصادر المياه والبيئة ، وهندسة الانشاءات والتصاميم المعمارية .

* تقانة الزراعة الحياتية ، وتقانة الخلية الحياتيـة ، والأحياء المجهـرية والجينات ، وعلم الأجنة ، وعلم الخلية ، وعلم الأحياء الطبية ، وعلـم الحياة ودراسات الطاقة ، وعلم الأعصاب ، والأحياء البحرية .
* الكيمياء وتقانة المواد الجديدة ، والكيمياء الطبية ، وكيمياء الألـوان ، والكيمياء بأسناد الحاسوب ، والكيمياء ومواد القرن الحادي والعشرين ، والكيمياء والتقانة الحياتية ، وكيمياء البيئة .
* الفيزياء الطبية ، وفيزياء الليزر ، وفيزياء الاشعاع ، وفيزياء الفلك ، الفيزياء والتقانة الطبية ، والفيزياء التقنية ، الفيزياء وتقانة الفضاء ، وعلم المـواد الطبية .
* الطب الصناعي ، والأمـراض النفسية وأمـراض الشيخوخة وأمـراض القلب والأورام السرطانية .

تعريـب العلـوم

يتوهم من يتصور أن المقصود بتعريب العلوم هو ترجمة الكتب الأجنبية الى اللغة العربية أو التدريس باللغة العربية فحسب ، بل هو في حقيقة الأمـر أوسع وأعمق من عملية الترجمة كثيرا اذ أن مفهوم التعريب ينبغي أن يعنـي أنه أداة التعبير عن الأفكار العلمية والقضايا التقنيـة بلغة عربيـة عصـرية سليمة وأنه الوسيلة لنشر العلوم والمعارف المختلفة بين النـاس بلغة عربيـة سلسلة مفهومة من قبلهم بيسر وسهولة ؛ كما أنه ينبغي القدرة على نقل النتاج العلمي والمعرفي العربي الى شعوب العالم وأمم أخرى بلغاتها القومية للاسهام في الثقافة والحضارة الانسانية ذلك أن العلوم والثقافة هي نتاج انسانـي تسهم فيها شعوب العالم المختلفة بحسب امكاناتها ودرجة تطورها ، وأمتنـا العربية برغم ما تعاني من مشاكل وصعوبات وتواجه من تحديات وانقسامـات حادة في الوقت الحاضر ، فهي تضم علماء ومفكرين ومبدعين فـي شتـى التخصصات العلمية والتقنية ممن لهم باع طويل ونتاج علمي غزير ينبغي علينا

تعريف العالم بهم وبنتاجهم العلمي واسهاماتهم في الفكر الانساني الخلاق أسوة بأقرانهم في دول العالم الأخرى . وخلاصة القول أن عملية التعريب تعني انشاء مدارس علمية وفكرية عربية الوجدان والضمير واللغة والانتماء والتعبير عن حاجات الأمة وتطلعها المشروع بالتقدم والازدهار .

تبدأ عملية التعريب أولا بترجمة أمهات الكتب العلمية والتقنية الأجنبية الأمر الذي يتطلب تهيئة مستلزمات الترجمة بدءاً باعداد مترجمين أكفاء يجيدون اللغة العربية ولغة أجنبية واحدة في الأقل ، ويفضل أن يكونوا قد تلقوا تعليمهم في أحد البلدان المتقدمة واطلعوا عن كثب على واقع الحركة العلمية والتقنية فيها وعاشوا أجواء لغتها ، وحيث أن العلوم الهندسية والتقانة تشهد تدفقا معرفيا هائلا في شتى التخصصات ، ولغرض مواكبة هذا التدفق لابد إذا من اعتماد وسائل ترجمة آلية حديثة كما هو سائد في البلدان الأخرى التي سبقتنا في هذا المضمار ، والافادة من تجاربها الرائدة ، أي باختصار اعتماد الترجمة الآلية الفورية الأمر الذي يتطلب توفير التخصيصات المالية لذلك ، وهنا لابد أن تتضافر جهود أكثر من قطر عربي واحد لتخفيف ضغط الأعباء المالية ولأعمام الفائدة عليها جميعا بعدها يتم انشاء هيئات وطنية من كبار الأساتذة الجامعيين ورجال الفكر لانتقاء الكتب العلمية والتقنية المراد ترجمتها سنويا وفق خطط علمية وبرامج تنفيذية دقيقة ، ومراجعة هذه الخطط بين الحين والآخر للتأكد من حسن سير تنفيذها . وظرا لما للكتاب الجامعي من أثر كبير على الطالب علمياً ونفسياً لذا ينبغي إيلائه أهمية خاصة بالنسبة للشكل والمضمون . أي أن يكون الكتاب الجامعي رصينا بمادته العلمية وأنيقاً بشكله ومواكباً لأحدث التطورات العلمية والتقنية وأن تكون لغته العلمية واضحة ومفهومة وخالية من التعقيدات والماحكات اللغوية الى أبعد الحدود .

وبتطور عملية الترجمة يمكن الانتقال وفق خطط مدروسة بعناية الى تأليف الكتب العلمية والتقنية بعد بناء القاعدة العلمية والتقنية الصلبة كيما

تكون انطلاقة التأليف العربية قوية راسخة الجذور لضمان الرصانة العامية للكتاب العلمي والتقني بحيث لايقل مستواه إن لم يكن أفضل من الكتب الأجنبية وبعدها تيستمر الترجمة من والى اللغة العربية والتأليف جنبا الى جنب بحيث نصبح مساهمين فاعلين في النتاج العلمي الانساني لا مستهلكين له فقط ، وهكذا كان حال أمتنا العربية المجيدة في عصورها الذهبية حيث قامت بنقل علوم الفرس واليونان وغيرهم الى لغتها العربية أولاً ، ثم نهضت بعدها بتأليف كتبها العربية في الطب والفلك والبصريات والكيمياء وغيرها لتعكس التطور العلمي العربي ولتعبر عن أسهامها الفاعل في الحضارة الانسانية ، وكذا الحال بالنسبة لأوربا في بداية عصر نهضتها حيث قامت بنقل علوم العرب وأمم أخرى اليها •

ومسألة أخرى لابد أن يوليها المسؤولون عن التعريب العلمي والتقني هي مسألة اختيار المصطلحات العلمية والتقنية السهلة والمفهومة من قبل أكبر عدد من المختصين قدر المستطاع وبالتنسيق مع المجامع اللغوية العربية والأفادة من معاجمها الى أبعد حد ممكن منعاً لبعثرة الجهود ووصولاً الى مفاهيم ومصطلحات عربية معتمدة في أقطارنا العربية وخلق لغة عربية علمية وتقنية حديثة تواكب روح العصر وتحافظ على اصالتها في آن واحد •

واخيراً نقول أن التعريب لايعني الانغلاق على الذات والتعصب الأعمى كما يشيع البعض ، انما هو العكس من ذلك تماماً أي الانفتاح العلمي والتقني العالمي بأبهى صوره وأرقى أشكاله والاسهام والتفاعل مع هذا النتاج أخذاً وعطاً ، لذا مطلوب منا الاهتمام بتعلم اللغات الأجنبية الحية بغية الاطلاع على علوم شعوبها وحضارتها بصورة مباشرة ، ولهذا الغرض نرى ضرورة إلزام الطلبة الذين يتقدمون للدراسات العليا في الجامعات النجاح باحدى اللغات الأجنبية الحية كجزء من متطلبات القبول ، وكذلك تدريس بعض المواد العلمية على مستوى الدراسات الأولية والعليا وكتابة بعض الدراسات والبحوث ونشرها باحدى اللغات الأجنبية الحية كي نضمن اهتمام الطالب بتعلم احدى

هذه اللغات والالمام بها بصورة جيدة ، ففي بريطانيا على سبيل المثال لايقبل الطالب في الدراسات الهندسية والعلمية الجامعية الأولية ما لم يكن ناجحاً في إحدى اللغات غير اللغة الانكليزية على الرغم من شيوع اللغة الانكليزية وانتشارها الواسع في العالم وكونها أهم اللغات المستخدمة ليس في العلوم الهندسية والتقنية فحسب وبل وفي كل شيء تقريباً ، وبرغم ذلك تصر الأوساط التعليمية البريطانية على ضرورة إلمام الطالب باحدى اللغات الألمانية أو الفرنسية أو الروسية وربما اللغة اليابانية في السنوات الأخيرة كشرط مسبق للقبول في الدراسات العليا اضافة الى لغة البلد الوطنية[٤] .

الجامعة والصناعة

لايمكن فصل لتطور التقني عن التطور الشامل للقطر إذ لايكفي تخريج أنواج من المهندسين والفنيين دون أن يصاحب ذلك تطور مماثل في الصناعة، أي أن أعداد المهندسين والفنيين يجب أن تكون وفق خطط واضحة ومبرمجة وحسب احتياجات مدروسة بامعان . وبخلافه ستسهم الجامعات بتفاقم ما يعرف بالبطالة المقنعة أي ملاك بلا عمل حقيقي ، اذاً ، لابد من أن توازن الجامعات بين ما تعده ملاكات هندسية وتقنية وبين حاجة سوق العمل لهذه الملاكات من حيث الكم والنوع على حد سواء[٥] .

وعلى الجامعات أن تسعى الى الحصول على المعلومات بشكل منتظم حول سوق العمل ، وأن تنشط في مجال التعليم المستمر لتأهيل واعادة تأهيل المهندسين والفنيين طبقاً لاحتياجات السوق بالتنسيق مع المسؤولين في حقل العمل . وكذلك مساعدة الخريجين في ايجاد الوظائف المناسبة .

والجامعات لابد أن تسعى باستمرار الى توطيد علاقاتها مع المؤسسات الصناعية من خلال وسائل وصيغ عديدة منها :

١. أن تؤدي المؤسسات الصناعية دوراً فاعلاً في صياغة أهداف الجامعات ورسم سياستها العلمية والتقنية والاسهام في تسهيل سبل تنفيذها وربط

أنشطتها بصورة أوثق مع احتياجات تلك المؤسسات لتأمين تخريج أطر هندسية وتقنية ذات تأهيل علمي رصين وقادرة على الولوج الى حقل العمل مباشرة بصورة فاعلة ومؤثرة في العملية الانتاجية .

٢. تشجيع مشاركة كبار المهندسين والتقنيين في أعمال مجالس الأقسام العلمية ومجالس الكليات والجامعات وكذلك تشجيع مشاركة كبار أساتذة الجامعات في التشكيلات المماثلة في المؤسسات الصناعية لتأمين التنسيق والتشاور وادامة الصلة العلمية والتقنية على أعلى المستويات .

٣. اعتماد منهجية واضحة ومحددة للبحث والتطوير في المؤسسات الصناعية في اطار سياسة عامة طويلة الأمد نسبيا خاصة بكل من هذه المؤسسات، واعتماد مبدأ تكوين الفرق البحثية المشتركة والافادة من امكانات أعضاء الهيئة التدريسية بحسب تخصصاتهم ، ورصد التخصيصات المالية المطلوبة في موازناتها السنوية وخططها الاستثمارية لأغراض البحث والتطوير وتحويل البحث العلمي من شكله الحالي كأعمال فردية في الغالب الى أعمال مؤسسية منهجية ثابتة كجزء من سياق عمل المؤسسات وكذلك اعتماد نظام تقويم خاص بهذه البحوث للتأكد من رصانتها وفائدتها وفاعليتها في حل المشكلات الصناعية وتحقيق التنمية التقنية وتطورها وفق استراتيجية واضحة ومعدة لهذا الغرض بالتعاون بين الجامعات والمؤسسات الصناعية .

٤. أن لاتكون مصانعنا مستهلكة للتقانة وانما مطورة وصانعة لها بالاعتماد على قدرات مهندسينا وتقنيينا العلمية في الجامعات والمؤسسات الصناعية ، والافادة من مواردنا وامكاناتنا المحلية وفق رؤية واضحة لاستنبات التقنية المتقدمة وتحقيق التنمية الشاملة في جميع التخصصات.

٥. تسخير مختبرات وورش الجامعات ومكاتبها الاستشارية لصالح تلبية احتياجات المؤسسات الصناعية ، والعكس صحيح أيضا أي تسخير امكانات الصناعة لصالح العملية التعليمية الهندسية والتقنية وبما لايؤثر

في سير العمل في كلتا الحالتين • والعمل على انشاء وحدات انتاجيـة تجريبية او ريادية في الجامعات بهدف تطوير صناعاتنا الوطنية •

٦• اعتماد نظام تعليمي تقني رصين ومرن في آن واحد بحيث يأخذ بالاعتبار ظروف العاملين في المؤسسات الانتاجية • ولهذا الغـرض يمكن اعتماد نظم التعليم المتناوب والتعليم المفتوح والتعليم عن بعد والتعليم المسائي والتعليم بمرحلتين وغيرها • اذ لايمكن لنظام تعليمي جامد أن يستجيب بفاعلية لاحتياجات المؤسسات الصناعية أو أن يسهم فـي بناء القاعـدة التقنيـة الصلبة لبلادنا •

٧• وضع الخطط ورسم السياسات العلمية والتقنية لتحسين آداء المهندسين والتقنين والفنين وتأمين مواكبتهم لآخر التطورات العلمية والتقنية ، وتطوير أساليب الانتاج بهدف زيادة كمية المنتوج وتحسـين نوعيتـه بالافادة من أرقى حلقات التقنية المتقدمة • • واعتماد الأساليب الادارية الحديثة في الصناعة الوطنية •

٨• ربط المناهج الدراسية بصورة أوثق باحتياجات المؤسسات الصناعية من المهندسين والتقنين واعدادهم بالشكل الذي يمكن فيه الافـادة من مؤهلاتهـم من قبل تلك المؤسسات بصورة مباشرة ، وهذا يتطلـب حتما التشاور والتنسيق المستمر بين العاملين في الجامعات والمؤسسات الصناعيـة ومراجعة المناهـج الدراسية بصورة دورية منتظمـة بهدف تنقيحها وتحديثها لتلبي هذه الاحتياجات من جهة ، ولتواكب التطورات الهندسية والتقنية من جهة أخرى •

٩• ربط المناهج الدراسية بصورة أوثق مما هو عليه الحال في الوقت الحاضر بالتدريب العملي أي أن يكون التعليم الهندسي والتقني مستندا الـى قاعدة عملية صناعية وذلك لتنمية الرغبة لدى الطلبة أن يصبحوا مهندسين وتقنيين ناجحين ومبدعين في حقول المعرفة المختلفة والتأقلم مع ظروف العمل في المؤسسات الصناعية واحترام العمل والتعود على الانضبـاط

والعمل الجماعي وتحمل المسؤولية واستيعاب أساليب العمل المختلفة وصقل شخصية الطالب المتدرب المشبعة بروح العمل والهادفة الى التطوير وايجاد الحلول للمشكلات الهندسية والتقنية باعتماد التفكير العلمي بصورة منهجية سليمة .

١٠- تنمية الملاكات الوطنية القادرة على تحديد وانتقاء التقانات المناسبة لتطوير الصناعة الوطنية وتعزيز امكاناتها لسد الاحتياجات الوطنية في المرحلة الأولى ، والمنافسة في الأسواق الخارجية في المرحلة الثانية ، وبذلك نضمن خلق تقانة وطنية تعتمد الملاكات الوطنية وتستخدم الامكانات والموارد المحلية وتستوعب التطورات التقنية العالمية لاستنباط تقانات متقدمة..

١١- الأفادة من المكاتب الأستشارية بعامة والمكاتب الأستشارية الهندسية بخاصة لما توفره من قنوات ووسائل اتصال ممتازة بين الجامعات وحقل العمل للاسهام بنشاط أكبر في جهود التنمية الصناعية .

١٢- الاهتمام بمشاريع طلبة الصفوف المنتهية الذي يمثل أحد أهم متطلبات التخرج لنيل الشهادة بحيث تتناول هذه المشاريع مشكلة هندسية حقيقية من حقل العمل ، ويفضل أن ينفذها الطالب داخل مؤسسة صناعية لحسابها أو بالتعاون معها ، وبذلك نضمن اكساب الطالب مهارات هندسية وتقنية عملية ، اضافة الى تحصيله الدراسي ، وبالتالي تسهيل انتقاله بعد التخرج من الوسط الجامعي الصناعي بصورة طبيعية .

١٣- انشاء كليات تقنية في مواقع التجمعات الصناعية الرئيسة في القطر وبتخصصات تلائم احتياجات هذه المؤسسات .

التوصيـــات

تعرضت بلادنا منذ شهر آب من عام ١٩٩٠ ولحد الآن الى حصار شامل لم يسبق له مثيل في أقطار العالم مما ترك آثارا سلبية على المسيرة العاميــة والتربوية ينبغي أن تتضافر الجهود الخيرة لتجاوزها بأقرب وقت ممكــن ، والنهوض بعدها بهذه المسيرة والارتقاء بها الى مصاف مثيلاتها فــي الدول الأكثر تقدما في العالم • ولتحقيق ذلك نوصي بالآتي :

١ ــ إعادة النظر بالتخصصات الدراسية القائمة في الجامعات بهدف استحداث تخصصات علمية وتقنية جديدة تواكب روح العصر وتطورات التقـانة الحديثة وتستجيب بصورة أفضل لمتطلبات التنمية واحتياجات المجتمع ومؤسساته المختلفة وتعزز أمن واستقرار بلادنا •

٢ ــ وضع خريطة متكاملة لواقع التعليم العالي وآفاقه المستقبلية يحدد فيها عدد الجامعات والمعاهد وحجمها ونوعها وتوزيعها الجغرافي في أرجـاء القطر وسنوات استحداثهـا •

٣ ــ إدخال أنماط جـديدة في التعليـم العالي بالافادة من تقانة وشبكات المعلومات واعتماد نماذج الجامعات المفتوحة والجامعة المتخصصة في العلو موالتقانة والتعليم عن بعد والتعليم المتناوب والتعليم المتـوازي والتعليم المستمر والدراسات المسائية وغيرها •

٤ ــ تأصيل البحث العلمي بخلق بيئة بحثية عربية الجذور والأهـداف تواكب حركة العلوم والتقانة الحديثة من جهة ، وتستجيب لمتطلبات التنميــة الشاملة والاسهام بحل المعضلات العلمية والتقنية التي تواجههـا مــن جهــة اخـرى •

٥ ــ تأمين الأنفاق اللازم لتنفيذ الخطط البحثية باعتماد موازنات مالية ثابتة واعتبار هذا الانفــاق إنفاقا استثماريا هاماً جدا وليس انفاقاً خدميـا كما هو عليه الحال في الوقت الحاضر •

٦ ـ استطاع امكانية الافـادة من العلماء والتقنيين المغربـين العرب في جهود التنمية العلمية والتقنية سواء ما يتعلق منها ببرامج الدراسات العليا ، وخطط البحوث أو نقل وتوطيد التقانة الحديثة .

٧ ـ إيلاء علوم وتقانة المستقبل التي تم استعراض أبرزها بهذه الدراسـة اهتماما خاصا والعمل بكل الوسائل للبدء باستحداثها بصورة أو بأخرى بتجميع الامكانات المتوفرة في القطر والاستعانة بخبرات المختصين في الأقطار العربية والأقطار الصديقة بكل الوسائل المتاحة .

٨ ـ العمل على ربط الجامعات والمؤسسات العلميـة ومراكز البحوث بشبكة معلومات وطنية من جهة ، وربطها بشبكات المعلومات العربية العـالمية من جهـة أخـرى .

٩ ـ توطيد علاقات التعاون بين الجامعات والمؤسسات الانتاجية المختلفة في مجالات البحوث العلمية والدراسات والاستشارات وبما يؤمن أفضل سبل الأفادة من نتائج البحوث وبراءات الاختراع وغيرها .

١٠ ـ التفكير جدياً باستحداث مركز وطني لنقل وتوطيد التقانة المعاصرة .

١١ ـ إيلاء تعريب العلوم الصرفة والتطبيقية اهتماماً خاصاً والتفكير جديا باعتمـاد وسائل ترجمـة آليـة حديثـة كما هـو سـائد في العديـد من أقطـار العالم الأخرى .

١٢ ـ دعم المجمع العلمي وتيسير سبل عمله للنهوض بمهامه لتحقيق التنميـة العلمية والتقنية المنشودة .

الخلاصـــة

يتوقع أن تتعرض بلادنا في المرحلة القادمة الى ضغوط من هذا الطرف الدولي أو ذاك ، تحت هذه الذريعة أو تلك ، تحت يافطة النظام الدولي تارة أو بدونهـا أحياناً ، لمنعهـا من امتـلاك ناصية العلم وحلقات التقانـة المتقدمة

وتوظيفها لصالح تقدمها وتعزيز أمنها واستقرارها . والجامعات والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث بحكم طبيعتها تعد مراكز للفكر العلمي الخلاق والابداع التقني المتقدم ، وهي زاخرة بالامكانات العلمية والتقنية المتقدمة والقدرات البشرية المتطورة ، لذا يتوقع منها أن تسهم بشكل فاعل ومؤثر في الجهود المبذولة للارتقاء بمتطلبات التنمية العلمية والتقنية بحيث تصبح بلادنا رائدة في العلوم والتقانة الحديثة في القرن القادم باذن الله ..

* * *

المصادر باللغة العربية :

١. جربو ، داخل حسن
التعليم الجامعي في العراق ومتطلبات القرن الحادي والعشرين ، مجلة اتحاد الجامعات العربية / العدد الثاني والثلاثون / عمان / ١٩٩٧ .

٢. جربو ، داخل حسن
نحو مدارس بحثية عربية
مجلة التعريب / قيد النشر /
جربو ، داخل حسن
الدراسات العليا في الجامعات العراقية وآفاقها المستقبلية
مجلة اتحاد الجامعات العربية / العدد التاسع والعشرون / عمان ١٩٩٤ .

٤. جربو داخل حسن
واقع آفاق تعريب العلوم الهندسية في جامعات العراق
مجلة التعريب / العدد العاشر / المركز العربي للتعريب والترجمة والتاليف والنشر / دمشق / ١٩٩٥ .

٥. جربو ، داخل حسن
الدراسات الهندسية والتكولوجية ومتطلبات القرن الحادي والعشرين
المجلة العربية للتعليم التقني / العدد الاول / المجلد الحادي عشر/١٩٩٤.

المصادر باللغــة الاجنبيــة :

6— Johon, Gearold R.
Global Sharing of Premier Education,
Resources, Proceeding of the World Congress of Engineering Educators and Industry Leaders,
UNESCO, Paris 1996.

7— UCAS, Hand Book 1994 Entry,
Universties and Colleges Admissions Service,
Linneys ESL Ltd, England.

8— The University Research System,
In Japan, Monobusho, Ministry of Education,
Science and Culture, Japan, 1988.

9— Science and Technology System in India,
Deparment of Science and Technology,
New Delhi, 1995.

10— Dakhil H. Jerew,
Industry - University Interaction with Special Reference to Iraqi Uneversities, Proceedings of the World Congress of Engineering Educators and Industry Leaders,
UNESCO, Paris, 1996.

* * *

الأهميــة الستراتيجيــة للميــاه
فــي الــوطن العربــي

الاستاذ الدكتور رياض حامد الدباغ
رئيس الجامعة المستنصرية
عضــو المجمــع العلمــي

المقدمــة

تشغل المسألــة المائية بال العلمــاء والاقتصاديين والسياسيين وخبــراء الدراسات الاستراتيجية في مختلف أنحاء العالم ، فالماء مورد طبيعي ترتبط بــه حياة الكائنات الحية وأنشطة الأنسان الاجتماعية والاقتصادية فــي كــافة المجالات . ويقصد بالمسألة المائية العجز في الميزانيات المائية التي تواجه العديد من دول العالم في يومنا هذا وتسير على طريقة دول أخرى كنتاج طبيعــي لتزايد النمو السكاني وازدياد استهلاك المياه مــن قبــل مختلف القطاعات التنموية التي شهدت تطورا كبيراً وسريعا في النصف الثاني من القرن الحالي. ويظهر للوهلة الأولى أن هذا الواقع يتناقض مع الحقيقة الكونية عن ثبــات كمية الماء في كوكب الأرض ، نظرا لتجدده الدائم من خلال الدورة الطبيعية للمياه ، الأمر الذي يجب أن لايؤدي الى ظهور مثل هذا العجز .

ولكن تجدد الموارد المائية المنتظم والمتجانس كميا وزمانيا على مستوى كوكب الأرض هو غير ذلك في بقاع الأرض المختلفة . يضاف الى ذلــك أن توزيع سكان اليابسة لايتوافق مع توزع موارد المياه العذبة وقبل الدخول في الموضوع الأساسي لابد أن نعطي فكرة مبسطة جدا عن واقع المياه في العالم لتوضيح مدى خطــورة هذه المادة الحيوية وأهميتها على نطاق الكرة الارضية ومنها الوطن العربي موضوع بحثنا هذا .

كمية المياه على وجه الأرض : (١٣٧٣) مليون كم٣ ، (٩٧٪) منها في المحيطات أي : (١٣٣٨) مليون كم٣ • الماء العذب المتبقي في الأنهار والبحيرات والأنهار الجليدية والثلوج والمياه الجوفية لايتجاوز (٣٥) مليون كم٣ وهو يمثل ٠،٠٠٢٥٪ من الماء الكلي •

واذا ما علمنا بأن (٧٠٪) من الماء العذب الكلي متجمد في الأقطاب فان ما تبقى ومن الممكن استخدامه لايتجاوز :(١٠ر٥) مليون م٣ •

المجموع السنوي للتكثف على الأرض يبلغ (١١٩٠٠)كم٣ يعود منها : بواسطة الأنهار (٤٥٠٠٠)كم٣ • ومن المنطقة الجليدية والأقطاب : (٢٠٠٠)كم٣• والباقي يتبخر أو يترشح الى أعماق الأرض •

ومن ذلك يتبين أن المشكلة الحقيقية ليست هي افتقار الأرض الى الماء وانما هي في الماء العذب بالتحديد • وتواجه بعض بلدان العالم اليوم نقصا في الماء العذب تزداد حدته وتظهر المسألة المائية بكل أبعادها في الوطن العربي حيث أن معظم الدول العربية تعاني من نقص في مواردها المائية وان هناك بوادر عجز مائي ظهر في العديد من تلك الدول وأنه سيتفاقم مستقبلا ليبلغ (١٠٠) مليار متر مكعب في عام (٢٠٣٠) • ويجب مواجهة ذلك بتحقيق الأمن المائي العربي • وهنا يتبادر الى الذهن سؤال لماذا الأمن المائي ؟

نقول أن مسألة المياه في الدول العربية أصبحت ترقى الى مستوى المسألة الحيوية والموضوعات الاستراتيجية ذات العلاقة بمستقبل الوطن العربي وأمنه القومي •

اولا ـ المياه ضرورة ومشكلة في الوطن العربي

للمياه أهمية بالغة في حياة الانسان عموما ، فهي ترتبط بوجوده وجميع الكائنات الأخرى ، اذ تعتمد الحياة بأشكالها المختلفة على المياه ، فلولاها لانعدمت الحياة على سطح الكرة الأرضية • ويعتبر الماء من العناصر الأساسية

اللازمة لبناء الانسان ، فهو يدخل في مكونات جميع المتطلبات الضرورية للحياة على اختلافاتها الاجتماعية والزراعية والصناعية ، الأمر الذي يجعله من أولى مرتكزات الدول لتحقيق الأمن الغذائي الذي يشكل أهم مقومات الأمن الوطني للدول وعلى مر العصور المختلفة كثيرا ما حدثت الصراعات ونشبت الحروب بسبب الرغبة في السيطرة على مصدر المياه • وفي عصرنا تعتبر مشكلة المياه في الوطن العربي من أهم أولويات الدول •

وقد أكد ذلك مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية في واشنطن بقوله (يقف الشرق الأوسط على عتبة أزمة رئيسة أخرى ، وقبل بداية القرن الحادي والعشرين ، قد يدمر الصراع على الموارد المائية المحدودة ، الروابط الهشة سلفا القائمة بين دول المنطقة ويؤدي الى جيشان واضطراب عظيمين لم تشهد المنطقة لهما مثيلاً)

ومن المتوقع أن يكون الماء عام (٢٠٠٠) المصدر الطبيعي المتنازع عليه في دول الشرق الأوسط على الرغم من أن بوادر هذا النزاع قد تبينت في السنوات القليلة الماضية ومن أهم أسباب ذلك وجود مصدر مياه مشتركة اقليميا مع دول كثيرة وتسابق هذه الدول لأسباب مختلفة في استغلال المياه واستهلاكها بمسطحات مائية تضر بمصالح الدول الأخرى اذ لا توجد اتفاقية دولية واضحة تنظم هذا إلا بعد إيجاد توازن بين الموارد المائية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ومواجهة التحضر والنمو السكاني المتزايد والنقص في المصدر المائي المتوفر مع ازدياد حاجات الاستهلاك يزيد من خطورة الوضع بشكل قد تصل حدة الخلافات الى حد لايمكن السيطرة عليه وقد يكون هذا سببا في نشوب صراع قد يصل الى حرب بين الأطراف المتنازعة تعرف (بحرب المياه) وإذا كان الانسان العربي قد خاض في الماضي حروبا كثيرة لأسباب مختلفة ، فان جميع الدلائل تشير الى أنه سيكون عليه أن يخوض بسبب الماء صراعا جديدا ، ومبعث ذلك أن الوطن العربي يواجه نموا سكانيا

وتدهورا في البيئة واعتداءات على حقوقه البيئية ، وكل ذلك له مساس رئيس في الأمن الغذائي ، وهو أحد مقومات الأمن القومي العربي ولكن انكشف الأمن الغذائي للأمة العربية حين ارتبطت الحاجة الى الغذاء بالاستيراد الخارجي أما بالنسبة للماء فالأمور تختلف كليا ، فالماء لايستورد خلافا لمقومات الأمن القومي الأخرى ، فالماء ينبع من خارج الاراضي العربية أو يمر بها ، والأمة تستخدمه أو تهدره أو تغض الطرف عن الدفاع عنه ، ومن هنا تحدد المسؤولية العربية بحيث تكاد تكون مسؤولية مطلقة • وعلى الرغم من زيادة حاجة الوطن العربي للمياه فان حاجة دول الجوار ليست أقل زيادة ، مما يجعل موضوع الماء يسيطر على الفكر الاستراتيجي لقوى المنطقة ، وتظهر الأطماع والمخططات لاستلاب قسم من المياه العربية المشتركة لاسيما مطامع الكيان الصهيوني حيث ينسجم ذلك مع الأطماع التوسعية وسيطرته على المنطقة • فلا يخفى على أحد أن السبب الحقيقي الكامن وراء حروبه الخمسة ضد العرب منذ حرب عام (١٩٤٨) وحتى اجتياح بيروت عام (١٩٨٢) ، هي بهدف الاستيلاء على مصدر المياه في الدول العربية ،وذلك لنقص كفايته من الماء وارتفاع نسبة الملوحة فيها ، فضلا عن ارتفاع تكاليف استهلاك الماء •

ثانيا : ازمة الموارد المائية في الوطن العربي

تقع معظم اراضي الوطن العربي في مناطق جافة أو شبه جافة إذ تغطي تلك المناطق (٢٠٪) من مساحة الوطن العربي البالغة (١٤٫٢٠٥) مليون كم٢•

ضمن الحقائق الشاخصة والمخيفة ان مساحة الوطن العربي تلك تحتل الصحراء فيها (٦٠٠) مليون هكتار أي بنسبة (٤٣٫٣٪) ، أما النسبة المتبقية من الاراضي غير الصحراوية فتحتوي على (٢٣١) مليون هكتار مساحة صالحة للزراعة ، أي مايعادل (٤٫٩٪) من المساحة الاجمالية ، واذا علمنا أن المساحة المكتظة فعلا للزراعة من هذه الأراضي الصالحة تبلغ (٥٣) مليون هكتار فقط أي (٣٫٨٪) من المساحة الاجمالية أي (٤٠٫٢٪) من الرقعة

الصالحة للزراعة ، يتبين لنا مدى العوز الى المياه في المنطقة العربية لنـدرك العجز الطبيعي أولاً (كقلة المياه الجوفية وقلة الأمطار وما ينتج عنها من شحة في المياه) ولتدارك متطلبات الحياة ومعدلات التنمية العالية في أقطار الوطن العربي وانعكاس ذلك على التنمية ثانيا .

كما يشكل الوطن العربي (٩٪) من اليابسة في العالم وفيه خامس تجمع سكاني في حين تقدر مواردة المائية بحوالي (٧٤٪) من الموارد المائيـة وتقل الموارد المائية المتجددة في العالم . فضلا عن ذلك لايزيد نصيب الفرد العربي من المياه عن (١٧٤٥)م٣ سنويا بينما يبلغ المعدل العالمي لاستهـلاك الفـرد (١٢٫٩٠٠)م٣ (جدول رقم (١) .ومن المتوقع أن يبلغ عدد السكان الوطن العربي عام(٢٠٠٠) (٢٩٥) مليون نسمة وعام(٢٠١٠) بحدود (٤٠١) مليون نسمة وعام ٢٠٢٠ حوالي (٥٤٦) مليون نسمة ، وفي عام ٢٠٣٠ ما يقارب (٧٤٣) مليون نسمـة (جدول رقم ٢) .

وتقدر الاحتياجات المائية للوطن العربيكما في (الجدول رقم ٣) نحو (٤٣٤٫٧٠١) مليون م٣ عـام (٢٠٣٠) واذا ما قورن ذلك مع الطلب على الميـاه والبالغ (٣٣٧٥٦٨) مليون م٣ للعام ذاته بذلك يبلغ العجـز المائـي بحدود (٩٧٫١٣٣) مليون م٣ ، ويتبين لنا مدى حدة أزمة المياه التي تنتظـر الـوطن العربي فالوضع المائي حاد وشائك ولاسيما اذا ماقورن ذلك باحتمالات الطلب المتزايد والكبير على المياه والأخذ في الاعتبار الواقع الحالي لمـوارد المياه العربية إذ أن (٦٢٪) من هذه الموارد مصدرها من خارج الأراضـي العربيـة (جدول رقم ٤) و (شكل رقم ١) . تتراوح نسب المياه الدولية في الأقطـار العربية مابين (٠٫٥٪) و (٩٨٫٢٪) . وبشكل عا ميسود المنـاخ الجـاف الصحراوي الجزء الأعظم من الوطن العربي وتبلغ معدل درجات الحرارة فيه شتاءً بين (١٠ــ٣٠) درجة مئوية بينما ترتفع صيفاً بين (٣٠ ــ ٥٠) درجة مئوية ويزداد هطول الأمطار على سفوح الجبال الساحلية حيث يتجـاوز (١٠٠٠)

جـدول رقـم (١) — الموارد المائية التقليدية في الوطن العربـي

القطر العربي	الموارد المائية السطحية مليون م٣/سنة	الموارد المائية الجوفية مليون م٣/ سنة الوارد السنوي	المخزون	مجموع الموارد المتجددة مليون م٣	عدد السكان عام ١٩٨٥ مليون نسمة	نصيب الفرد من مجموع الموارد المتجددة م٣ / سنة
المملكة الاردنية	٩٠٠	٥٩٠	١٢٠٠٠	١٤٩٠	٢ر٦٤٥	٥٦٤
الامارات العربية	١٥٠٠	١٣٤	٥٠٠٠	٢٨٤	٠ر٧٧٢	٣٧٨
البحرين	—	٩٠	—	٩٠ر٠	٠ر٣٦٧	٢٤٥
تونس	٢٦٣٠	١٧٢٤	٢٧٠٠٠	٤٣٥٤	٧ر٣٣٢	٧٧٩
الجزائر	١٣٠٠٠	٤٢٠٠	١٥٠٠٠٠	١٧٢٠٠	٢٢ر٣٤٧	٧٧٠
جيبوتي	١٩٩	—	—	١٩٩	٠ر١٨٧	١٠٦٤
العربية السعودية	٣٢٠٨	٢٣٣٨	٣٥٤٠٥٠	٥٥٤٦	١٠ر١١٦	٥٤٨
السودان	٦٠٦٤٥	٩٠٠	٣٩٠٠٠	٦١٥٤٥	٢٢ر٠٠٠	٢٧٩٨
سوريا	٢٢١٠٠	٢٩٣٥	—	٢٥٠٣٥	١٠ر٦٠٠	٢٣٦٢
الصومال	٨١٥٦	٣٣٠٠	—	١١٤٥٦	٥ر٨٥٨	١٩٥٦
العراق	٨٠٠٠٠	١٠٠٠	—	٨١٠٠٠	١٥ر٦٠١	٥١٩٢
عمان	١٤٧٠	٥٦٤	—	٢٠٣٤	١ر٠١٦	٢٠٠٢
قطر	—	٥٥	٢٥٠٠	٥٥	٠ر١٨٧	٣٠٩
الكويت	—	١٦٠	—	١٦٠	١ر٤٩٨	١٠٧
لبنان	٤٨٠٠	٣٠٠٠	١٣٦١	٧٨٠٠	٣ر٤٣٥	٢٢٧١
ليبيا	١٧٠	٢٥٠٠	٤٠٠٠٠٠	٢٦٧٠	٣ر٦٦٥	٧٢٩
مصر	٣٦٠٠٠	٤٥٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	٦٦٥٠٠	٤٦ر٩٢٣	١٤١٧
المغرب	٢١٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٣٣٠٠٠	٢٤ر٣١١	١٣٥٧ر٤
موريتانيا	٥٨٠٠	١٥٠٠	٤٠٠٠٠٠	٧٣٠٠	٢ر٠	٣٦٥٠
اليمن	٤٥٠٠	١٤٠٠	—	٣٩٠٠	٨ر٠٦٣	١٦٨٩
فلسطين	٤٠٠٠	٤٥٠	—	٤٩٥٠	٤ر٣٦٠	١٣٣٥٠
الاجمالي	٢٩٥٧٢٨	٤١٨٤٠	٧٧٣٣٨٦٦	٣٣٧٥٦٨	١٩٢ر٢٧٤	١٧٤٥

المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة (اكساد) مجلة الزراعة والمياه العدد ١١ تموز ١٩٩٥ صفحة (٧)

الجدول رقم (٢) **توزيع السكان في الوطن العربي وارقام المؤشرات الديمغرافية**

البلد	المساحة الف كم٢	عدد السكان (مليون) ١٩٨١	١٩٨٣	٢٠٠٠	نسبة النمو	نسبة الولادات بالالف	نسبة الوفيات بالالف	معدل العمر
الاردن	٩٨	٣ر٥	٣ر٧	٧	٣ر٤	٤٥	١٠ر١	٦٢
الامارات	٨٤	١ر٠	١٠١	٢	٢	٥٠	١٧	٦٣
البحرين	٦	٠ر٥	٠ر٤	—	٣ر٥	٤٣	١٨	٢٧
تونس	١٦٤	٦ر٥	٦ر٧	٩ر٥	٢ر٤	٣١	١١	٦١
الجزائر	٢٣٨٢	١٩ر٥	٢١	٣٨	٣ر٣	٤٦	١٤	٥٧
جيبوتي	٢٢	٠ر٣	—	—	٢ر٥	—	—	—
السعودية	٢١٥٠	٩ر٣	٩ر٩	١٨	٤ر٥	٤٤	١٤	٥٦
السودان	٢٥٠٧	١٩ر٢	٢٠ر٣	٣٤	٢ر٦	٤٦	١٨	٤٧
سوريا	١٨٥	٩ر٠	١٠	١٩	٣ر٣	٤٥	٨	٦٥
الصومال	٦٣٨	٤ر٤	٤ر٦	٦ر٥	٢ر٣	٤٦	٢٠	٣٩
العراق	٤٣٥	٣ر٥	١٤ر٥	٢٦	٣ر٣	٤٥	١٢	٥٧
عمان	٢١٢	٠ر٨	١ر١	—	٣	٥٠	١٨	٤٧
فلسطين	٢٦	٣ر٨	—	—	—	—	—	—
قطر	١١	٠ر٢	٣ر٥	—	٣ر١	٥٠	١٨	—
الكويت	١٨	١ر٥	١ر٥	٢ر٢	٥ر٩	٤٢	٤	٧٠
لبنان	١٠	٣ر٢	٢ر٨	٤ر٢	٢ر٨	٣٠	٨	٦٥
ليبيا	١٧٥٧	٣ر١	٣ر٣	٦	٤ر١	٤٥	٩	٥٧
مصر	١٠٠١	٤٣ر٣	٥٥ر١	٦٤ر٦	٢ر٨	٣٠	٨	٦٥
المغرب	٤٤٧	٢٠ر٩	٢٢ر٢	٤٠	٢ر٩	٤٤	١٣	٥٦
موريتانيا	١٠٣١	٢	١ر٧	٣	٧	٥٠	٢٢	٤٤
اليمن	٥٢٨	٩ر٥	٩ر٨	١٦	٢ر٩	٤٦	٢٢	٤٨

د. طه حمادي الحديثي / جغرافية السكان ، جامعة الموصل ، مطبعة جامعةالموصل سنة ١٩٨٨
جداول متنوعة في الملاحق من صفحة ٦٤٣ـ٢٥٧

جدول رقم (٣)
الميزان المائي للطلب والموارد عام ١٩٨٥ والمتوقع عام (٢٠٠٠) في اقطار الوطن العربي بالمليون (م٣)

الموضوع	السنة ١٩٨٥				السنة ٢٠٣٠			
	الإستثمار الحالي	الطلب	العجز	الفائض	الموارد المتاحة	الطلب	العجز	الفائض
الموارد المائية								
موارد مائية سطحية	١٣٩٨٥٣				٢٩٥٧٢٨			
موارد مائية جوفية	٢٢٥٥٢				٤١٤٠٠			
موارد اخرى	٩٧٢٩							
الاجمالي	١٧٢ر١٢٩				٣٣٧٥٦٨			
الطلب على مياه الشرب	١٧٢ر١٢٩					٣٤٦٨١		
الصناعة	١٣٤٤							
الزراعة	٢٩٦ر٦٠٢					٣٧٧٥٠٦		
الاجمالي	٣٠٤ر٩٦٢					٤٣٤ر٧٠١		
الوضع العام							٩٧١٣٣	

* تشكل الموارد المائية الاخرى احد الحلول لمعالجة العجز الموجود ويصعب تحديد قيمة معينة لها حاليا .

١ ــ من عمل الباحث / اعتمادا على جدول رقم (٧ و ٨) من دراسة المركز العربي / لدراسات المناطق والاراضي القاحلة (أكساد) المكتب الاقليمي للعلوم والتكنولوجية في الدول العربية (يونسكو ،رويتاس) (الموارد المائية في الوطن العربي وثيقة مرجعية وتفسيرية للمصور الهايدروجيولوجي للوطن العربي والمناطق المجاورة) ، اعداد / جان خوري وعبدالله الدوري. دمشق ١٩٩٠ صفحة ١٤٢ــ١٤٣ .

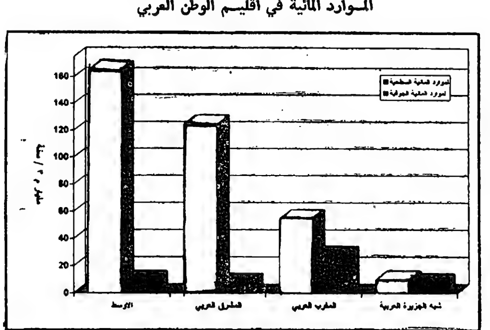
جدول رقم (٤)
كمية المياه السطحية الدولية في الاقطار العربية

الاقليم	تصريف داخلي مليار م/٣	تصريف من خارج الحدود مليار / م٣	المجموع مليار/م٣
١ ـ الاقليم الاوسط : ويشمل مصر / السودان / الصومال / جيبوتي	٨٦	٧٥	١٦١
٢ ـ المشرق العربي : ويشمل سوريا / العراق / الاردن / لبنان / فلسطين	٤٥	٨١	١٢٦
٣ ـ المغرب العربي ويشمل : الجزائر / تونس / المغرب / ليبيا / موريتانيا	٥١	٥	٥٦
٤ ـ شبه الجزيرة العربية ويشمل : السعودية/ الكويت / الامارات / قطر / البحرين / اليمن / عمان	٩	—	٩
الاجمالي	١٩١	١٦١	٣٥٢

المصدر / المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة / مصدر سابق صفحة ١٤١

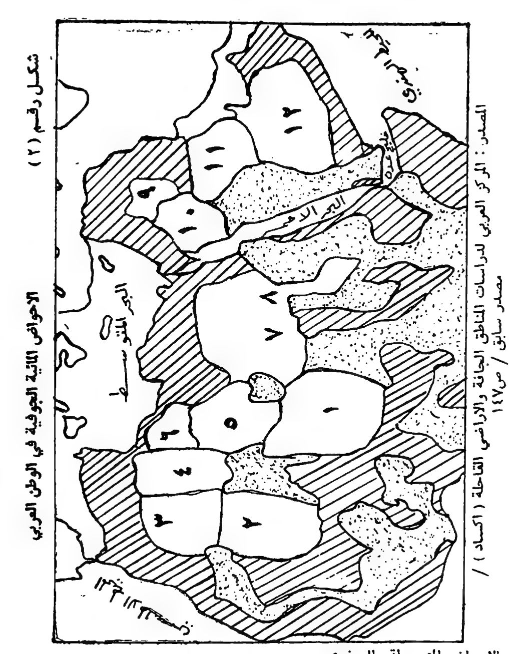
شكـل رقـم (١)

المـوارد المائية في اقليـم الوطن العربي



عمل الباحث : اعتماداً على جدول رقم) ٥) .

* * ـ تم حسابها من قبل الباحث اعتماداً على جدول رقم (١) .



الاحواض المتوسطة والصغرى
١ ـ حوض تشاد ، ٢ ـ حوض النيجر ، ٣ ـ حوض العرق الغربي
الاحواض الصحراوية الكبرى
٤ ـ حوض العرق الشرقي ، ٥ ـ حوض فزان ، ٦ ـ حوض الحمراء
الركيزة البلورية ماقبل كامبري
٧ و ٨ ـ حوض الحجر الرملي النوبي ، ٩ ـ حوض الحماد ،
١٠ ـ حوض النفوذ ، ١١ ـ حوض الرياض ، ١٢ ـ حوض الربع الخالي

مليمتر سنويا ويتدنى ليصل الى أقل من (٢٥) مليمتر سنويا علـى مشـارف الصحراء . ولابد من الاشارة أيضاً الى أن مخزون المياه الجوفية للوطن العربي وهو مخزون ضخم نظراً للامتداد الواسع للاحواض المائية الكبرى (شكـل رقم ٢) والتقديرات الأوليـة تدل على توافر مخزون يقارب (٧٧٣٣٨٦٦)م٣ إلا انه لم يستثمر بالشكل المطلوب من قبل الكثير من الأقطار العربيـة لمواجهة الصعوبات ولاسيما الاقتصادية منهـا .

ثالثا : المياه العربية واطماع الدول الشرق اوسطية :

في دراسة لأحد التقارير الصادرة عن مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن حددت مناطق صراع المياه في الشرق الأوسط في أربع جهات : الأولى حوض نهر الاردن والكيان الصهيوني ، والثانية حوض النيل بدوله الأربعة مصر وأوغندا والسودان وأثيوبيا وأطماع الكيان الصهيوني أيضا ، والثالثة حوض الفرات بدوله الثلاث العراق وسوريا وتركيا فضلاً عـن حوض نهر السنغال وموريتانيا . لذلك سنقتصر على دراسة مشاكل المياه في الأحـواض الأربعة لاحتمـالات تفاقمها مستقبلاً :

١ ـ حوض الاردن

ينبع نهر الأردن من منحدرات جبل (حرمون) الجنوبية فـي لبنـان (الحصباني) والكيـان الصهيوني (دان) وسـوريا (بانياس) . وتجتمع الروافد الثلاثة لتشكل نهر الأردن الذي يبلغ معدل تدفقه (٦٥٠) مليونم٣ في السنة لدى دخوله الى بحـيرة طبريا . كما تصب في البحيرة المياه المتدفقة من مرتفعات الجولان والجبال الغربية في الكيان الصهيوني . ويبلغ معدل التبخر من البحيرة سنويا ٢٠٠) مليون م٣ . وبعد خروج النهر من البحـيرة ينظم اليه رافد رئيس هو نهـر اليرموك الذي ينبع من سوريا والأردن وهكذا فان المستفيدين من نهر الأردن هم : لبنان ، وسوريا ، والأردن ، والكيـان

الصهيوني والفلسطينيون . ومع ذلك لاتوجد أي اتفاقية تنظم كيفية استعماله .

الاطماع الصهيونية في الحوض

مثلت المياه العنصر الرئيس الذي طغى على التخطيط اليهودي وهيمن على تفكير مؤسسي الحركة الصهيونية الأوائل ، حيث كانت المياه بالنسبة اليهم المعيار الذي يتوقف عليه نجاح المخطط اليهودي في اقامة (الوطن القومي) ومدى ديمومته ، فقد بني الحلم الصهيوني في فلسطين على حقيقة مائية منذ أن بدأ حلم استعادة (أرض الميعاد) يراود مخيلة قادتها . خلال القرن الماضي أدرك الصهاينة أن تحقيق أهدافهم في تهجير ملايين اليهود الى (أرض الميعاد) المزعومة لن يتم إلا بتأمين كميات كبيرة من المياه للري ومن ثم الهيمنة الكاملة على مصادر تلك المياه. فضلاً عن ذلك محدودية مصادر المياه هناك وتتطلع السلطات الصهيونية الى جلب عدد أكبر من المهاجرين اليهود والسعي الى تنفيذ مشروع زراعي ضخم باسم (اسرائيل الخضراء) كل ذلك ادى الى نشوء فكرة سرقة المياه العربية . ليس هذا فحسب بل أنها أخذت تحرض دول الجوار غير العربية والمشتركة في أحواض الأنهار مع بعض الدول العربية ضد العرب والمشروع المعروف الذي وضعه المهندس الصهيوني (لودرميلك) عام (١٩٣٨) تأكيد لذلك ، والقاضي بالاستيلاء على مياه نهر الأردن وروافده في سوريا ولبنان وكذلك نهر الليطاني وتحويلها الى بحيرة صناعية تقام قرب عرابة البطوف في منطقة الناصرة ومن هناك يتم تحويلها الى صحراء النقب لابل أن بعض المصادر تؤكد أنه في ندوة عقدت في باريس عام (١٩١٩) طالب الصهاينة بأن يكون الكيان الصهيوني ممتداً من نهر الليطاني شمالاً الى سفح جبل الشيخ العربي وصولا الى وادي اليرموك . لهذا كانت جميع حروب الكيان الصهيوني ضد العرب بدوافع مائية ، فبعد احتلاله للضفة الغربية بعد عدوان (١٩٦٧) ، وضع الكيان الصهيوني يده مباشرة على جميع

مصادر المياه فيها ، متخذاً جميع الوسائل الكفيلة باستمرار تسرب المياه في الضفة الغربية اليه والتي يقدرها الخبراء بأكثر من (٥٥٠) مليون م٣ ٠ فضلاً عن ذلك قد قام الكيان الصهيوني بشن عدوانه على منطقة العرقوب وهدم خزانات المياه في بلدة الماري تمهيداً لايصال المياه منها الى نقطة ملتقى نهر الحصباني والوزاني ، حتى تدخل هناك الى الأراضي المحتلة ٠ ومعروف ان نقطة الالتقاء هذه تقع قرب الوزاني ومنطقة (الفجر) اللبنانية المحتلة ، وقد قامت الدولة اليهودية بعد عدوان حزيران عام (١٩٦٧) ببناء مستعمرة عسكرية قرب محطة المياه للاشراف على ضخها وحرمان أبناء المزرعة من مياهها ، حتى عام (١٩٨٢) أحالت سلطات الاحتلال الى شركة يهودية مشروع تحويل نبع الوزاني ٠ كما استغل الكيان الصهيوني مياه الأراضي المحتلة في فلسطين بما يعادل (٩٥٪) من مياه الضفة الغربية وقطاع غزة وبحدود (٩٣٠) مليون م٣ سنويا ٠ ومن مياه الجولان السورية (٢٠٠) مليون م٣ وبذلك يبلغ مجموع ما يحصل عليه الكيان الصهيوني من مياه الأراضي العربية المحتلة (١٦٣٠) مليون م٣ علماً أن حصيلة الموارد المائية الاجمالية في فلسطين بأكملها (٢٣١٠) مليون م٣ مع الأرض المحتلة ناهيك عن سحب ما مجموعه (٤٠٠) مليون م٣ من منابع نهر الأردن وروافده ، وثمة تقدير بأنه لو اضطر هذا الكيان للاستغناء عن هذه المياه واستبدالها بمياه محلاة من البحر لكلفه ما لايقل عن (٥) مليارات دولار ويوضح (جدول رقم ٥) تطور استعمالات المياه في الكيان الصهيوني لمختلف الأغراض حتى عام (٢٠٠٠) ويتبين من الجدول أيضا أنه مع حلول عام (٢٠٠٠) سوف يبلغ مجمل الاحتياج الصهيوني (٢٤٧٨) مليون/م٣ وبذلك سيواجه نقصا حاداً في كمية المياه المتاحة له سنويا مما يعده مبررا الامتداد السطو الى نهر اليرموك وهو أكبر رافد لنهر الأردن ويصب سنويا ٤٧٥ مليونم٣ منها (٤٠٠) مليونم٣ ترد من الأراضي السورية والباقي من الأراضي الاردنية ٠ ان نهر الاردن وروافده الذي يمر في لبنان وسوريا والاردن وفلسطين يعتبر نهراً دولياً حسب العرف

جدول رقم (٥)
يبين كميات المياه المتوقع استهلاكها لمختلف الاستخدامات
في الكيان الصهيوني حتى عام (٢٠٠٠) بملايين الامتار المكعبة

السنة	الزراعة	الاستخدامات المنزلية	الصناعة	المجموع
١٩٩٠	١٥٨٩	٤٢٢	١١٨	٢١٢٩
١٩٩١	١٦١٤	٤٣٠	١٢٠	٢١٦٤
١٩٩٢	١٦٣٩	٤٣٨	١١٢٢	٢١٩٩
١٩٩٣	١٦٦٥	٤٤٥	١٢٤	١٢٣٤
١٩٩٤	١٦٩٠	٤٥٣	١٢٦	٢٢٦٩
١٩٩٥	١٧١٥	٤٦٠	١٢٨	٢٣٠٣
١٩٩٦	١٧٤١	٤٦٨	١٣٠	٢٣٣٩
١٩٩٧	١٧٦٦	٤٧٦	١٣٢	٢٣٧٤
١٩٩٨	١٧٩١	٤٨٣	١٣٤	٢٤٠٨
١٩٩٩	١٨١٧	٤٩١	١٣٦	٢٤٤٤
٢٠٠٠	١٨٤٢	٤٩٨	١٣٨	٢٤٧٨

المصدر

ـ عطا الله سليمان الحديثي / الاطماع الصهيونية في المياه العربية / دراسة في الجغرافية السياسية / رسالة ماجستير مقدمة الى قسم الجغرافية / جامعة بغداد / سنة ١٩٨٩ باشراف ا.د. ابراهيم شريف ، غير منشورة / صفحة ١٣٥ .

الدولي لتصنيف الأنهار . وان حصة فلسطين من مياهه لاتتجاوز (١٥٪) الا أن الكيان الصهيوني يسرق أكثر من (٧٠٪) مما أدى الى تعطيل منها مشاريع تنموية زراعية وصناعية . لقد وقف الكيان الصهيوني ضد مشروع (سد المقارنة) على نهر اليرموك وعارضه بشدة حتى وصل ذلك الى حد قصفه كما منع الاستمرار بانشائه ، وعندما حاول الاردن نقل المشروع الى مكان آخر بعيداً عن نقاط الحدود مع فلسطين هدد الكيان الصهيوني بضرب الموقع من جديد ومازال المشروع متوقف التنفيذ مع أنه حق مشروع لكل من الأردن وسوريا وليس هذا فقط بل يحاول الكيان الصهيوني السيطرة على الخزانات الجوفية في شمال الأردن وبمختلف الأساليب وما يعرف بقناة البحرين تأكيد لذلك . والذي يهدف الى سحب المياه من البحر المتوسط خلال أنفاق البحر الميت وقنواته والاستفادة من فارق الارتفاع بين البحرين وهو بحدود (٤٠٠) متر لتوليد الطاقة الكهربائية وآثاره السلبية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية على جميع المشاريع الأردنية المطلة على البحر الميت فضلاً عن آثاره على المياه الجوفية .

٢ ـ حوض الليطاني

ينبع نهر الليطاني من (١٠)كم غرب بعلبك في لبنان ، ويصب بالبحر المتوسط شمال مدينة صور بطول (١٦٠)كم ، وكان العدو الصهيوني قد خطط منذ نشأته للاستيلاء على مياه الليطاني طمعا في مياهه من ناحية ، ووضعه حاجزاً لحماية مستعمراته في فلسطين المحتلة عن طريق إنشاء خط دفاعي على طول النهر لحماية منطقة الجنوب والشمال . ابتدأت الخطط الصهيونية حول مياه الليطاني اللبناني عام (١٩٤٤) وتحديداً في الخطة المسماة مشروع لودرميلك وذلك لزراعة صحراء النقب . وعاد الكيان الصهيوني الى دمج نهر الليطاني في خطة السنوات السبع (١٩٥٣ــ١٩٦٠) وبدأت الخطة الصهيونية بادعاء أن لها الحق في (٤٠٠) مليون م٣ سنويا من نهر الليطاني

مقابل (٣٠٠) مليونم[٣] فقط للبنان ومن ثم حاولت السلطات الصهيونية المحتلة منذ عام (١٩٥٤) تحويل (٤٠٠) مليون متر من نهر الليطاني إلا أنهـا بـاءت بالخيبة آنذاك • وفي عام (١٩٤٧) بدأ الكيان الصهيوني من خلال منظمـة بيناي الصهيونية الأمريكية وهي التي توجه نشاطات التنظيمـات الصهيونية في أمريكا وأوربا وأفريقيا بدء" بحملة دبلوماسية وسياسية غايتها اغتصـاب مياه الليطاني بمباركة دولية لتأخذ هذه الحالة فيما بعد صفة الشرعية •• وأغرب ما تشير اليه المعلومات في هذا السبق أن مجلس الشيوخ الأمريكي ناقـش مجموعة من الوثائق التي قدمت له تزعم أن لبنان لايستفيد من هذه المياه التي تتدفق من نهر الليطاني هدراً في البحر في الوقـت الذي تفرض فيه المبدأ الدولي المتعارف عليه والقواعد القانونية أن يقوم باستعمال هذه الميـاه في حاجة ماسة لها • وتقـول هذه الوثائـق أن لبنان الذي رخص بهذه المياه على جيرانه المحتاجين لايحسن استغلالها ، بل هو عاجـز عن ذلك لهذا بـدأ الكيان الصهيوني في الأعـوام الاخيرة باقامة محطات لسرقـة المياه من نهر الليطاني قرب جسر الخردلي بهدف ضخ المياه منه الى بحيرة طبريا ، وقد حفرت لهـذه الغاية نفقاً يصل تل النحاس بالخردلي ومن هناك الى بحـيرة طبريا لتأمـين (١٥٠) مليون م[٣] من المياه سنويا • وتقدر بعض المصـادر أن كميـة المياه المسروقة من الليطاني تزيد على مساحة الأراضي المزروعة في الكيان الصهيوني بنسبة (٢٥٪) • وقد أثارت هذه الأعمال الصهيونية مخاوف سوريا من وقوع نهر العاصي بيد الكيان الصهيوني ومخاوف الأردن من قيام الكيان الصهيوني بتحويل مياه الليطاني •

٣ ـ حوض النيل

يعتبر نهر النيل أهم مصدر رئيس للمياه بالنسبة لمصر والسودان • يبلغ طوله (٦٧٠٠)كم وهو أطول نهر في العالم • ومعدل تصريفه السنوي يبلـغ نحو (٨٤) مليارم[٣] وتشترك في الحوض الدول الآتية : تنزانيا ، بوروندي ،

رواندا ، كينيا ،أوغندا ، السودان ، مصر ، أثيوبيا • ويؤمن النهر (٨٦٪) من حاجة مصر من المياه ، ولم يتم التوصل الى اتفاقية شاملة حول المياه بين دول الحوض المذكور • ومن غير المتوقع التوصل لها مستقبلا وتعتبر أثيوبيا مركز التأثير الأول في مياه النيل بعد الكيان الصهيوني ، حيث ينبع منها النهر الذي له تأثير حياتي على أكثر من دولة ولاسيما مصر والسودان اللتان يصل تعداد سكانها الى أكثر من (٩٨ر٦) مليون نسمة عام (٢٠٠٠) (جدول رقم ٢) مما يزيد من حاجتها الى مياه النيل • ناهيك أن (٩٧٪) من أراضي مصر قاحلة وصحراوية • هذا وكانت أثيوبيا تسير في خططها على وفق أوامر أمريكية وصهيونية لاقامة سدود على بحيرة تانا التي يخرج منها نهر النيل الأزرق وعلى نهر أباي الصغير منذ أوائل عام (١٩٧٣) • فضلاً عن ذلك سياستها في عرقلة مشروع قناة جونقلي عن طريق دعم المتمردين في جنوب السودان وبمساعدة السعودية وفي انشائها مشروعات ري النيل من أجل حرمان مصر والسودان من حصتهما المائية وبدعم صهيوني لها • وأبرز ما يهدد مصر من هذه الأزمة دخول الكيان الصهيوني طرفاً في الصراع من خلال أثيوبيا، حيث ينشط خبراء الصهاينة في مجال الزراعة والري في مشاريع تقام على نهر النيل في أثيوبيا وغيرها ، بهدف الضغط على مصر والسودان لارضاخهما فيما بعد للموافقة على تخصيص جزء من مياه النيل في النقب عبر سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية • وهي الفكرة التي تحدث عنها السادات قبل مصرعه بحجة الضغط على الكيان الصهيوني كي يتخلى عن الضفة الغربية • ويؤكد وزير الري المصري عبدالخالق الشناوي أن أثيوبيا تمتلك من الأنهار مايعطيها (٩٠٠)مليارم٣ من المياه سنويا اضافة الى (٢٠) مليارم٣ من المياه الجوفية وتفكر في حجز مياه النيل لديها من دون حاجة اليها الأمر الذي يعود الى خطورة الوجود الصهيوني في اثيوبيا ودول المنبع عموماً • كما يؤكد أن أمريكا والكيان الصهيوني دفعتا (جون قرنق) للقيام بتمرد في جنوب السودان وتمويل حركته بالأسلحة والخبراء والمال واشترطتا عليه هدم

قناة جونقلي وبالفعل تم ذلك وتوقف العمل بها علماً أن هذه القناة فضلاً عن توفيرها لمصر (٥ر٧) مليار م٣ من المياه مهمة بصورة أكبر للسودان كأهمية قناة السويس لمصر ، ويبلغ طولها (٢٥٠) كم .

٤ ـ حوض نهري دجلة والفرات

ينبع نهرا دجلة والفرات من تركيا ، ويمران بسوريا والعراق ويصبان بشط العرب . يبلغ طول نهر الفرات (٢٧٣٦)كم منها (٩٠٠٠)كم في تركيا و (٤٠٠٠) كم في سوريا والباقي في العراق . ومساحة الحوض (٦٤١٠)كم٢ يبلغ نصيب الفرات عند دخوله سوريا ٢٨ مليار م٣ في السنة وتأتي تصرفات تركيا المائية بالنسبة لجارتيها (العراق وسوريا) لتشكل حلقة اخرى في سلب حقوق المياه العربية الدولية ولكن بصورة أخرى (مع انها تؤدي الغرض نفسه) فهي لاتعترف بأن نهر الفرات نهر دولي وتتنكر لشروط اتفاقيتين دوليتين . هما أحكام هلسنكي عام (١٩٦٦) واتفاقية الأمم المتحدة لعام (١٩٧٢) اللتان تنصان على اقتسام حقوق المياه طبقاً لتعداد السكان والحجة التاريخية لكل بلد . فقد قامت تركيا بتنفيذ برامجها لاستغلال مياه نهر الفرات وذلك بانشاء سدود عملاقة نذكر بعضها على سبيل المثال ...

١ ــ سد كيبان على نهر الفرات وتبلغ سعة الخزن الاجمالية فيه (٣٠ر٧) مليار م٣ .

٢ ــ سد قره‌تبة ، وسعة الخزن الاجمالية له (٥٤ر٩) مليار متر مكعب .

٣ ــ سد اتاتورك ، وسعة الخزن الاجمالية (٤٨ر٧) مليار متر مكعب .

٤ ــ نفق أورفة .

٥ ــ مشروع أديمان .

٦ ــ مشروع غازي عنتاب .

٧ ــ مشروع مياه السلام .

وتيجة للمشاريع الآنفة الذكر ومشاريع اخرى تحت التنفيذ ولاسيما مشروع تطوير جنوب الأناضول الذي يشمل بناء (١٧) سداً على الفرات و (٤) على دجلة فان النقص الذي سيحصل في نصيب مياه نهر الفرات سيبلغ (١٥) مليار م٣. وهذا يعني ان كمية المياه التي ستعبر الحدود السورية التركية لن تتجاوز (١٣) مليارم٣ مقابل (٢٨) مليار م٣ قبل إكمال المشروع.

واذا أخذنا احتياج سوريا من المياه فان العراق لن يصله شيء من مياه الفرات مما يؤدي الى تصحر جزء كبير من الأراضي العراقية ويقدر بعض خبراء المياه الدوليين انه اذا استمرت تركيا في سياستها المائية الحالية فان العراق سيفقد حوالي (٧٠-٧٥٪) من حصته المتفق عليها في مياه الفرات من (٣٣) مليارم٣ الى حوالي (٨-١٠) ملياراتم٣ سنوياً ، ويوضح جدول رقم(٦) العرض والطلب لمياه حوضي نهري دجلة والفرات لدول الحوضين المتشاركة وكميات المياه المتوقع احتياجها لجميع دول الحوضين حتى عام (٢٠٠٠) والبالغة نحو (٩٧٫٥) مليار م٣ ومن المتوقع أن تبرز مشكلة الفرات حينما تبدأ تركيا بتشغيل الوحدة الاولى لتوليد الكهرباء من سد اتاتورك ، وان هذا التشغيل يتطلب قطع المياه عن سوريا والعراق لرفع منسوب المياه وكما جرى في ١٩٩٠/١/١٣ عندما قطعت تركيا مياه النهر شهراً كاملاً (علماً ان تركيا تحتاج لسنة ونصف تقطع المياه عن العراق وسوريا لملىء بحيرة سد أتاتورك البالغة (٩٣) مليارم٣ ومن المنتظر أن تتفاقم المشكلة وتصبح أكثر تعقيداً اذا أخذنا بالاعتبار ان العجز السوري في المياه سيصل في عام (٢٠٠٠) الى مليارم٣ سنوياً . كما تخطط تركيا لاقامة عدد من السدود على نهر دجلة تؤدي الى حجز (١٥) مليونم٣ من مياهه عن العراق وتماطل في التفاوض مع سوريا والعراق بشأن الاتفاق على المياه محاولة استخدام تقادم الزمن حتى اذا مضى على مشاريعها عشر سنوات اعتبرت ان ماقطعته من المياه حقاً مكتسباً . ان تركيا تصر على التعامل مع النهرين كمسألة واحدة (أي حوض مائي واحد) انطلاقاً من حقيقة تجاه نهري دجلة والفرات عند بلدة القرنة

جدول رقم (٦)
العرض والطلب لمياه دجلة والفرات والتقديرات
للعام ٢٠٠٥ (مليارات الامتار المكعبة)

المدونة	الطلب من مياه دجلة		الطلب من مياه الفرات		اجمالي الطلب	
	١٩٨٥	٢٠٠٥	١٩٨٥	٢٠٠٥	١٩٨٥	٢٠٠٥
تركيا	١ر٠	١٠–١٥	٠	٣ر٥–٧	١	١٤–٣٣
سوريا	٤ر٠	٥–٦	٠	٥ر٠	٤	٥ر٥–٥ر٦
العراق	١٤ر٠–٦ر١٩	٢٥–٤٥	٣٧–٤٢	٣٧–٤٥	٥١–٦٣	٥٧–٦٩
المجموع	١٩–٦ر٣٤	٣٠	٣٧–٤٢	٤١–٥–٥٣	٥٦–٦٧	٧٥–٥ر٩٧
العرض	٣٠	٣٠–٣٤	٤٣–٥ر٥٣	٤٣–٥ر٥٣	٧٣–٥ر٨٣	٧٣–٥ر٨٣
الميزان	٤ر٥+١١+	١٥+٤–	٦+٥ر١٠+	٣+٠	١١+٥ر٢١+	٣ر٠–٠ر١٥

المصدر

جامعة الموصل / مركز الدراسات التركية ، الموارد المائية لدول حوضي دجلة والفرات وآفاقها المستقبلية ، دار الكتب للطباعة والنشر ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٩١

لتشكيل شط العرب • ويطالب الاتراك بنقل المياه من دجلة الى حوض الفرات وتخطط لري (٢ر٦) هكتار من مياه وجلة وبذلك فانها تحتاج الى (٧) مليارات م٣ • أما العراق فيروي (٣ر٤٨٠ر٠٠٠) هكتار من دجلة وبالتالي فهو يحتاج الى (٤٩) مليارم٣ • وان مجموع المياه المطلوب ضخها من دجلة لايستطيع دجلة توفيرها باختلاف الادارة السياسية للدول الثلاث المستفيدة منه .• وستظل تركيا تمارس عمليات الضغط السياسي على الدول العربية المجاورة من خلال استغلال المياه ، وتطل تركيا على مشكلة المياه في المنطقة من خلال مشروعها الاقليمي لاستغلال مياه الفرات من خلال مد انابيب تغذي مياهها من حوض الفرات لتغذي دول المنطقة شاملة حتى الجزيرة العربية •

وهي إذ تاجر ببيع المياه فانها تضخه من الحقول الأصلية لسوريا والعراق في مياه الفرات ، وقد اقترن هذا المشروع باسم (مشروع أنابيب السلام) واذا ما نفذ هذا المشروع فستمد الدول المستفيدة بستة ملايين م٣ يومياً من روافد الفرات (سيحان وجيحان) عبر أنبوبين يوصلان الى دول عربية هي سوريا والأردن ودول مجلس التعاون الخليجي ، ويبلغ طول الانبوب الأول وهو الشرقي أو الخليجي (٣٩٥٠)كم والثاني وهو الشبكة الغربية (٢٦٥٠) كم وتهدف تركيا من كل ذلك تحقيق مصالحها ومصالح الدول الغربية والهيمنة على المنطقة • وهذا ما أكده مستشار الرئيس السابق توركت اوزال في قوله (انه مجرد أن تصبح دول المنطقة معتمدة على خطوط الأنابيب المائية في تركيا فان ذلك سوف يساعد على تقوية وضع تركيا السياسي الى درجة كبيرة) •

رابعا ـ السوق الشرق اوسطية المقترحة وقضية المياه :

١ ـ يواجه النظام العربي حالياً مخاطر قيام نظام جديد في المنطقة ويشمل أجزاء غريبة ومعادية للجسم العربي ، يهدف الى اخضاع البلدان العربية للهيمنة الاسرائيلية •

٢ ــ أخذ بعض المتصهينين ينادي علناً بعد أم المعارك .. بانتهاء القومية العربية .. ويروجون لنظام اقليمي يضم دول الشرق الاوسط .

٣ ــ ان السوق الشرق أوسطية تمثل النقيض لمشروع التكامل الاقتصادي العربي وتعني الالغاء العلمي للوحدة الاقتصادية العربية ولفكرة التكامل الاقتصادي العربي .

٤ ــ تركز السوق على تصفية قضية فلسطين وانهاء الصراع العربي ــ الاسرائيلي واستغلال اسرائيل الثروات والاموال والاسواق والطاقة البشرية العربية باقامة مشاريع كبرى تخفض البطالة في أوربا والولايات المتحدة وتزيد من النمو الاقتصادي وتكون اسرائيل بوابة العبور للمستهلكين العرب يمر من خلالها التصدير والاستيراد للبلدان العربية .

٥ ــ ان اسرائيل تطمح أن تكون العقل المفكر والمخطط والمنفذ للنظام الجديد لكي تبتجز الاموال والمواد الخام والاسواق والأيدي العاملة العربية لزيادة أرباحها وأرباح يهود العالم .

٦ ــ ان اسرائيل تسرق باستمرار المياه العربية من الضفة ، وقطاع غزة والجولان وجنوب لبنان وأطماعها التوسعية في الثروات وقلة مياهها وحاجتها المتزايدة للمياه ، وتطالب العرب بالتعاون كي تفرض عليهم مخططاتها المائية لقلة المياه لديها ، وتطالب تركيا بالتعاون الاقليمي في قضية المياه بسبب وفرة المياه لديها ، وتقيم في نفس الوقت السدود الهائلة لمنع المياه عن العراق وسوريا خلافاً للقانون الدولي حول الانهار .

٧ ــ المنطق الاسرائيلي والتركي للتعاون الاقليمي في مجال المياه يختلفان

❊ الأولى (اسرائيل) تنادي بالتعاون الاقليمي لقلة المياه لديها ولأطماعها في المياه العربية .

* الثانية (تركيا) لكثرة المياه لديها ورغبتها في مقايضة برميل ماء ببرميل نفط .. فالمنطلقات مختلفة والنتيجة واحدة تحقيق مصالح البلدين على حساب الحقوق والمياه العربية .

٨ ـ ان السلام الاسرائيلي يعني استسلام العرب لمخططات اسرائيل السياسية والاقتصادية ، بالغاء المقاطعة وفتح أبواب الدول العربية على مصراعيها لاستيراد السلع والخبرات الاسرائيلية فاستمرار ازدهار اسرائيل يرتبط باستعباد العرب واستغلالهم وتقهترهم .

٩ ـ سيقود النظام الشرق الأوسطي الجديد الى تصاعد الدور الاسرائيلي في المنطقة العربية وتوسيع صادراتها ووارداتها حتى تشمل البلدان العربية من النيل الى الفرات ومن القدس الى مكة المكرمة .

١٠ ـ ستكون أرباح اسرائيل هائلة في ظل النظام الجديد ، فهي تسعى بمساعدة أمريكا أن تشارك العرب في المياه والنفط والأموال والاسواق ، وهي قادرة على تحقيق دورها الاقتصادي المهيمن من خلال تفوقها العسكري والوسيط الأمريكي والضعف العربي . ان توسع اسرائيل الاقتصادي سيكون بديلاً عن توسعها الجغرافي لتحقيق هدفها (اسرائيل الكبرى) وسيكون النظام الجديد على أساس هيمنة أمريكا على العالم وهيمنة اليهود على صنع القرار الامريكي .

١١ ـ ان النظام الشرق أوسطي يستهدف الأمة العربية من المحيط الى الخليج لذلك لايجوز التفريط بتضحيات الآباء والأجداد والحقوق والقبول بالمخططات الصهيونية التي تهدد الوجود والمصير العربي . فالمواطن العربي لايمكن ان يتسامح في التنازل عن الحقوق والسيادة العربية ويقبل بهيمنة اسرائيل على وطنه والخطر الصهيوني خطر حقيقي يتهدد الوطن العربي من مشرقه الى مغربه . كما أن الحلم اليهودي بالوصول الى الحكم العالمي والسيطرة العالمية بدأ يتبلور بتبلور الحقبة الاسرائيلية في المنطقة العربية .

١٢ ــ ان تطوير الدول القطرية وتحديثها في اطار البعد القومي وفي ظل التكامل الاقتصادي العربي واحياء مجلس الـوحدة العربية وتنشيطـه وتعزيز التضامن والتنسيق العربي المشترك يقلل من مخاطر النظام الجـديد ويعزز النظام العربي واخيراً فان الصراع حول المياه في الشرق الأوسط لـم يخلق المشاكل على المياه السطحية وانما على المياه الجوفية ، وذلك في شقين :

الشق الأول بين الدول العربيـة نفسها كالمشكلة المائيـة بين مصر وليبيا حول النهر العظيم الليبي وآثاره على مخزون المياه المصرية والتي تعتبر جـزءً من المياه المتسربة الى بعض الارض . فضلاً عن المشاكل المائية بين السعودية والأردن ، والتي تتعلق باستخدام السعودية غير الأمثل لخزانات المياه الجوفية في منطقة الديسي الاردنية (لتزويد مياه العقبة والجنوب بميـاه الـري) وبحصص اكبـر مما للاردن ، إذ تذكر المصـادر الاردنية ان السعودية تسحب مليار متر مكعب سنوياً ، بينما تسحب الاردن مابين (٥٥ــ٦٠) مليون متـر مكعب هذا مما قد يؤثر على نقاوتها وتلوثها بسبب استخدامها غير الأمثـل للزراعة من قبل السعودية . والحال نفسها للمشاكل المائية بين الاردن وسوريا حول المياه الجوفية الموجودة في شمال الاردن وجنوب سوريا ، على الرغم من كونها متجددة ولاتوجد اتفاقية تنظم استخدامها وحمايتها وهي قيد البحث الآن . وكذلك بالنسبة للسعودية والمياه الجوفية المشتركة مع قطر والبحرين والامارات وعمان من جانب والعراق والكويت من جانب آخر .

الشق الثاني من الصراع على المياه الجوفية فهو ما بين دول عربية ودول شرق أوسطية كالمياه الجوفية في فلسطين التي يقـوم باستغلالها الكيـان الصهيوني في أراضي الضفة الغربية المحتلة منذ عام (١٩٤٨) . وأرض الميـاه الجوفية في هضبة الجولان السورية التي تصب في نهر بانياس . والمشاكل المائية في سوريا وتركيا حيث توجد هناك مياه جوفية تحت الاراضي السورية والتركية .

خامسا : الستراتيجية العربية لمواجهة مشكلة المياه في الشرق الاوسط

قبل الولوج في الحلول المقترحة لمواجهة مشكلة المياه في الشرق الاوسط لابد من تناول نبذة لما قدمه القانون الدولي من اثارة المشكلة ، فالقانون الدولي تضمن الاشارة الى مشكلة المياه المشتركة الى : ــ

١ ــ ضرورة الاعتراف للدولة بالسيادة على جزء النهر الذي يمر في أقاليمها بلا قيد أو شرط (ظرية السيادة المطلقة) •

٢ ــ ان سيادة الدولة على مجرى النهر ليست مطلقة وانما هي مقيدة بوجوب مراعاة الوحدة الطبيعية للنهر من المنبع الى المصب وبالتالي لايجوز للدولة استغلال النهر وبالشكل الذي يؤدي الى الاضرار بحقوق الدول الاخرى ومصالحها (الوحدة الاقليمية) •

٣ ــ ان النهر من المنبع الى المصب يعد ملكاً مشتركا بين جميع الدول التـي يجري النهر في أقاليمها • بحيث لاتستطيع أي منها القيـام بعمـل بصورة منفردة من دون موافقة بقية الدول (الملكية المشتركة) •

ان الوضع الحالي للمياه العربية وما أصابها ويصيبها من سرقة وتحويـل واعتداء وما يحتمل أن تتعرض له من مخاطر مستقبلية قد يستمر على المدى المنظور • والحاجـة الملحـة للمياه مع وجود الفارق الكبير بين كمياة الميـاه المتوفرة والمطلوبة • وفي اطار الحق المائي العربيوضرورة توفر الموارد المائية اللازمة لخطط التنمية القومية والقطرية والاستجابة لمتطلبات التزايد السكاني وتحقيق الأمن المائي للوطن العربي • كل ذلك يتطلب مواجهة مشكلات المياه العربية على المستوى القومي ومعالجة قضية الأمن المائي في إطار الأمن القومي مع إعداد الوسائل اللازمة لتحقيق سلامة هذا الأمن •

الخلاصـة :

يمكن تقديم بعض المقترحات في هذا الشأن لمواجهة احتمالات تفاقـم المشكلة في المستقبل القريب نوجزها في : ــ

٥١ اعطاء الموارد المائية للوطن العربي ولاسيما المشتركة منها مع دول غير عربية اضافة الى البعد القومي بعداً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وأهمية ستراتيجية وذلك من خلال ما يأتي :

أ) استغلال المياه العربية المشتركة بين أكثر من دولة عربية ضمن مبادىء الأخوة ووحدة الهدف والمصير •

ب) السعي والاسراع في إبرام الاتفاقيات لتقاسم الموارد المائية المشتركة مع دول غير عربية وغير معادية وذلك طبقا لقواعد العدالة والأعراف والاستعمال التاريخي ، على أن تكون الدول العربية بكامل وزنها طرفاً واحداً في المحادثات للوصول الى الاتفاق المنشود •

جـ) توفير التمويل الكافي من صناديق التمويل العربية لتنفيذ مشاريع المياه لعربية غاير المستغلة ولاسيما تلك الآتية من دول غير عربية بهدف ممارسة الحقوق العربية في استعمالها •

د) الطلب الى صناديق التمويل المتخصصة عدم الاقدام على دعم مشاريع في أراضي دول غير عربية على مياه مشتركة دون الوصول الى اتفاقيات بشأن تقاسم هذه المياه •

هـ) تشكيل هيئة متخصصة ضمن جامعة الدول العربية للنظر في اقتسام المياه المشتركة بين الدول الأعضاء فيها • ويمكن لهذه الهيئة أن تكون ذات فعالية في مواضيع المياه المشتركة مع دول غير عربية •

و) تعتبر المياه العربية جزءاً من الوطن العربي ، ولها من واجب الحماية ما لأرض الوطن وأنسابه ، وتقع على الدول العربية كافة مسؤولية الدفاع المشترك عنها ، والسعي لدى المحافل الدولية لادانة أي عدوان على هذه المياه ، أو أي تجاوز غير قانوني عليها •

٥٣ تشكيل لجنة فنية عليا من الاختصاصيين على مستوى الدول العربية للنظر في المشاريع المائية ، على أن تقوم هذه اللجنة أيضاً باقتراح

المشاريع على الدول المعنيـــة لتسهيل التخطيط والاسـراع في استغلال الموارد المائيـــة العربية .

٤. انشاء بنك المعلومات المائية للدول العربية ليضم المعلومات الدقيقة عن المـوارد المائيـة التي لاغنى عنها لابداء المشـورة في تطويـر اساليب الاستعمال والترشيد ونقل التكنولوجيا .

٥. العمل على تطوير أساليب الرصد المائي ودعم الدول العربيـة التي تفتقر لهذه الأساليب ماليا وفنيا لكي يتم رفد بنك المعلومات بخصائص الوضع المائـــي .

٦. انشاء مؤسسة أكاديمية عربية مشتركة لرفد تخصصات المياه المختلفـة بالاختصاصيين بحيث تشمل المهمة ايضا التدريب واجـراء البحـوث والدراسات المشتركة بين الدول العربية .

٧. انشاء معهد متخصص بالموارد المائية غير التقليدية (التحلية ، اعـادة استعمال المياه العامة ... الخ) لأن هذه الموارد اصبحت اساسية لبعض الدول العربيــة .

٨. اخضاع الموارد المائية الجوفية في البلاد العربية لدراسات دقيقة وشاملة لكون هذه المياه تشكل احتياطا استراتيجيا لكثير من الدول العربيـــة ، وفي معظم الأحوال فان هذه المياه غير متجددة .

٩. اعطاء دراسات تغير البيئة بسبب المشاريع اهمية توازي دراســات الجدوى الفنية والاقتصادية لها قبل تنفيذها .

١٠. اخضاع جميع المشاريع المخطط لها لدراسات شاملة لتأثيراتها البيئيـة وذلك قبل البدء بهذه المشاريع .

١١. دراسة الجدوى الاقتصادية والفنية والتغيرات البيئيـة لنقـل الميـاه من الدول العربية الوفيرة المياه الى الفقيرة ، بمصادرها المائية ضمـن هدف التكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي .

المصادر والمراجـع :

١ ـ الدكتـور عدنان عزيز جابرو ، ١٩٩٢
مستقبل المياه في المنطقة ـ جريدة الجمهورية العدد في ١٩٩٢/٧/٨ .

٢ ـ جون بولوك ، ١٩٩٠
حروب الشرق الاوسط المقبلة سببها النزاع على الماء ـ صحيفة القبـس الكويتية العدد ١٦٤٥ .

٣ ـ أرشاك كفيان ، ١٩٩٢
الأمن المائي العربي ، صحيفة الراي الاردنية العدد ٧٨٥٥ .

٤ ـ الوضع المائي والمشاريع الاسرائيلية ، صحيفة الراي الاردنية العدد ٧٧٩٥ فـي ١٩٩١/١٢/٦ .

٥ ـ حازم عبدالقهار الراوي ، ١٩٩٣
مشاكل المياه في الكيان الصهيوني ـ صحيفة القادسية العدد ٤٢١٩ .

٦ ـ الدكتور رياض حامد الدباغ ، ١٩٩٤
المياه العربية والمخططات غير المنظورة لسرقتها مقبول للنشر في مجلـة المهندس ـ الجمعية العلمية لنقابة المهندسين ـ العراق .

٧ ـ علي خليفة حمد ، ١٩٩١ ـ ١٩٩٢
الصراع على المياه العربية واثره على العراق ، جامعة البكر كلية الدفـاع الوطنـي ص ٤ .

٨ ـ الدكتور هيثم الكيلاني ، ١٩٩١
الدور العسكري في مسالة المياه الاقليمية العربية / جامعـة الـدول العربية ـ ادارة البحوث والدراسات ص ٣ـ٥ .

٩ ـ وليد نجم ، ١٩٩٠
الامن العالمي العربي ومصـدر المياه العربية ، مجلة عالـم المياه العربي لبنان / ص ٣٢ .

١٠ ـ اكرم طاهر حسـان ، ١٩٩١
المياه المكتضة في الشرق الاوسط ، صحيفة القادسية .

١١ ـ منذر حدادين ، ١٩٩٤
كلمة عن المياه امام مؤتمر مركز الدراسات العربية المعاصرة لجامعة جورج تاون الامريكية ، صحيفة الدستور الاردنية العدد ٩٥٧ .

١٢ ـ حسين عليوي عيشون ، ١٩٩٢
مشكلة المياه في الوطن العربي وأثرها في امنه القومي ، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية / كلية العلوم السياسية ص ٣٧ .

١٣ ـ ملـوك حميد ، ١٩٩٢
ازمة المياه في الكيان الصهيوني واحتمالات الحرب القبلـة ، صحيفـة القادسيـة العدد ٣٩٠٥ .
١٤ ـ محمود مسـاد ، ١٩٩١
المياه عنوان الحروب القادمة في الشرق الاوسط الحلقة الاولى ، مجلة الجذور الاردنية العدد ١٢ ، ص ٣٢ .
١٥ ـ طلال طعمة ، ١٩٩٠
العام ٢٠٠٠ الماء اهم من النفط ، مجلة الوطن العربي ، باريس العـدد ١٥١ ـ ٦٧٧ ص ٣٢ .
١٦ ـ صحيفة الشعب الاردنية ١٩٩١ العدد ٢٨٨٢ .
١٧ ـ عزالدين طوقان ، ١٩٩٠
حرب المياه في الشرق الاوسط مركز الفارس للطباعة ص ٣٦ .
١٨ ـ صلاح المختار ١٩٩٢
لماذا حرب اياه ، صحيفة القادسية في ١٩٩٢/٤/٩ .
١٩ ـ قيس ناطق محمد ، ١٩٩٢
المياه العربية واحتمالات القبلة ، العدد ٨١٧٧ .
٢٠ ـ ازمة المياه بين العراق وتركيا ،
صحيفة الشرق الاوسط ـ لندن ٦٩٧ في ١٩٩٠/٦/٢٨ .
٢١ ـ محمد جمال مظلوم ، ١٩٩٠
المياه والصراع في الشرق الاوسط مجلة البحث العربي ، العدد ١٩٩٠ ـ ص ٢٦ .
٢٢ ـ احمد ذبيان ، ١٩٩٢
قراءة جديدة لمشكلة المياه في الاردن ، مجلة الأفق الاردنية العدد ٣١ .
٢٣ ـ عزالدين علي الخيرو ، ١٩٧٦
الفرات والقانون الدولي / العراق ، وزارة الاعلام ، السلسلة الاعلاميـة ٦٥ ص ١٢ ـ ٢٦ .
٢٤ ـ مجلة قضايا دولية ، معهد الدراسات السياسية ١٩٩٤ ، اسلام اباد / باكستان العدد ٢٤٤ في ١٩٩٤/٩/٥ ص ١١ .
٢٥ ـ محمد عدنان البخيت ، الياس سلامة ، ١٩٩٠
الموارد المائية واهميتها الاستراتيجية
الجامعة الاردنيـة ـ عمان
٢٦ ـ المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والقاحلة (اكساد) ١٩٩٠
مجلة الزراعة والمياه العدد ١١ تموز ١٩٩٠ صفحة (٧) .
٢٧ ـ طه حمادي الحديثي ، ١٩٨٨
جغرافية السكان ـ مطبعة جامعة الموصل
٢٨ ـ جان خوري وعبدالله الدروبي ، ١٩٩٠
المصور الهايدروجيولوجي للوطن العربي والمناطق المجاورة ـ اكساد

العـراق والقـوى الاسيوية الجـديدة

ا. د. مازن اسماعيل الرمضاني
جامعة صدام ـ كلية العلوم السياسية
عضـو المجمـع العلمـي

المقدمـــة :

تنطوي السياسة الدولية ، منذ بداية عقد التسعينات ، على تحـولات نوعية غير مسبوقة ، تمتد جذورها الى فترة طويلة سابقة عليه . وبسببها لم يعد هيكل السلطة ، الذي كان مهيمناً على تفاعلات عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية قائماً . فعلى أنقاضه يتشكل هيكل جديد ، تؤشر اتجاهات المعطيات الدولية الراهنة انه سيكون مختلفاً اختلافاً جذرياً عن القديـم . ويحدث هذا التحـول على مستويات الحياة الاجتماعيـة كافـة . ان عصـرنا ، كما يؤكد الفين توفلر ، هو عصر تحول السلطة ، طبيعة وعناصر[1] .

ولم يكن ماتقدم بمعزل عن اثر قانون تاريخي ثابت ، هـو التغيـير ، وانماط الحركة المتجددة والمتدفقة التي تعبـر عنه ، وتراكمات افرازاتها وقوة دفعها باتجاه الجديد[2] .

وتقترن مكونات بعض هذه الأنماط بسلوك قوى دولية ترتقي تدريجياً ، وبثبات ، الى مستوى الدول الكبرى أو العظمى ، تسمى بالصاعدة ، أو الجـديدة .

والرؤية الموضوعية لاتستطيع أن تسقط من حساباتها دور هذه القوى ، حاضراً ومستقبلا ، في بلورة الهيكل الدولي الجديد ، وتفاعلاته الاساسية بين تعاون وصراع . فالتجربة التاريخية تؤشر أن هذه كانت محصلة لطبيعة

العلاقة بين الدول الكبرى والعظمى ، وأثرها ، سلباً أو ايجاباً ، في نزوعها هي والدول الاخرى نحو الأمن والرفاهية والدور الفاعل .

والقوى الدولية التي نسميها بالجديدة ، هي تلك التي تتميز بقاعدة اقتصادية ـ صناعية ـ تقنية رفيعة المستوى ، وان كانت متباينة ، والتي تجعل بالتالي من التصدير محوراً أساسياً لسياستها الخارجية ، حالياً ولفترة قادمة[٣] .

وفي ضوء واقعها الجغرافي ، وأصلها الحضاري ، ينتمي بعضها الى الغرب (كألمانيا) ، وبعضها الاخر الى الشرق (كاليابان والصين خصوصاً ودول جنوب شرق آسيا ومجموعية اسيان عموماً) .

واذا كان تجاوز تأثير القوى الكبرى والعظمى ، التقليدية ، في تفاعلات السياسة الدولية أمراً يفتقر الى الموضوعية ، فان الشيء ذاته ينسحب على دور غيرها ، ولا سيما تلك الجديدة منها ذات المشاريع الحضارية . فامتلاكها لارادة التغيير لم تجعلها صانعة التحولات الكبرى في تاريخها حسب ، وانما كذلك أكثر استعداداً لمواجهة تحديات المستقبل .

والمرء ، في ضوء ماتقدم ، يتساءل : هل كانت اليابان تستطيع النهوض من كبوتها ، وألمانيا اعادة وحدتها ، لولا تجذر ارادتهما في الارتقاء واعداد ذاتهما داخلياً للمستقبل . الجواب الموضوعي ، هو : كلا .

على أن دور هذه الدول يجابه بتحديات ، أبرزها التحدي الامريكي .
فاللحظة الامريكية ستبقى سائدة خلال القرن القادم ، كما تعبر بعض الآراء[٤] .

وينطوي هذا الرأي على قدر من المصداقية . فالولايات المتحدة دولة تتوافر على قدرات ما زالت مهمة ، اقتصادياً وتقنياً ومعرفياً وعسكرياً وبالتالي سياسياً تساعدها على الاستمرار في ممارسة دور دولي مؤثر لفترة قادمة يتيح لها ضمان مصالحها ، وبضمنها الحد من نمو نفوذ وتأثير سواها على حسابها .

بيد أن الولايات المتحدة التي تبدو من خارجها دولة مؤثرة ، هي ذاتها الدولة التي بدأت رحلة الأفول • فقد ولّى عهد تفوقها السهل وانهار سورها العظيم ، كما يوكد ، مثلاً ، لستر ثرو[٥] • ومرد ذلك أن واقعها الداخلي اضحى يقترن ، ولاسيما على الصعد[٦] التي يقاس عليها مدى النهوض أو التراجع الحضاري للدول ، باختلافات هيكلية متفاقمة وتراجعات مستمرة ، لسنا هنا بصدد تفاصيلها المعروفة ، وعلى نحو جعله يتدهور ، وتحدياته تتكاثر ، وقدرته على الاستجابة تتآكل[٧] •

وفي ضوء العلاقة الطردية الموجبة[٨] بين نوعية الفاعلية الداخلية والفاعلية الخارجية ، يضحى اعادة بناء العالم على وفق مواصفات الدولة الامريكية فقط ، هدفاً يتطلب توظيف قدرات استثنائية ، فائضة ، ولكنها غير متاحة ، فضلا عن تحمل أكلاف صراعات باهظة مع قوى دولية جديدة تتطلع[٩] الى أن يكون لها أدوار تستوي وقدراتها وخططها لعالم مابعد العام ٢٠٠٠ •

وتبعاً لهذا العالم الذي يتغير على نحو غير مسبوق ، يضحى استشفاف الفرص ، الممكنة والمحتملة ، التي ينطوي عليها وتوظيفها ، أمراً حكيماً وضرورياً ومفيداً •

وبحثنا يحاول توكيد منطوق فرضية مؤداها أن الصعود التدريجي للدول الاسيوية ، ولا سيما الكبرى ، باتجاه قمة الهرم الدولي يتيح لدول الجنوب ، ذات المشاريع الحضارية ، فرصة مناسبة لتوطيد العلاقة وإياها ، وتوظيف مخرجاتها سبيلاً لدعم ارتقائها الحضاري • ومن بينها العراق بالضرورة •

على أن توكيد هذه الفرضية يقتضي أولاً الاجابة عن الاسئلة الآتية: مَنْ هذه الدول الاسيوية الجديدة ؟ وما الذي ساعدها على الارتقاء الحضاري ؟ وما القواسم المشتركة بينها وبين العراق ؟

اولاً : الدول الاسيوية الجديدة

لقد تأسست النظم الدولية على تفاعلات دول تميزت بقدرات ذاتية خاصة أهلتها لكي تصنع لذاتها أدواراً سياسية دولية مهمة وتشارك بالتالي في صنع هذه التفاعلات وتحديد مخرجاتها .

ولم تكن بعض مصادر هذه القدرات بمعزل عن استغلال أعداد منها لموارد ما يسمى اليوم بعالم الجنوب ، واستثمار فائض قيمتها التاريخي[١٠] سبيلاً للارتقاء بهذه الادوار ودعماً لها .

وتؤشر تجربة التاريخ ان هذه الدول كانت غربية الانتماء ، جغرافياً وحضارياً . ولم تلغ ظاهرة صعود الدول الكبرى وهبوطها اقتران السياسة الدولية بتفاعلات هذه الدول أساساً . فهذه الظواهر كانت ، منذ القرن الخامس عشر في الأقل ، لصيقة بها .

على أن السياسة الدولية أخذت ، بعد الحرب العالمية الثانية خصوصاً، تتجه الى العالمية ، صنعاً ومضموناً وتفاعلات ، ولمتغيرات لسنا هنا بصدد تفاصيلها[١١] . بيد ان هذا التطور المهم لاينفي استمرارية التوزيع الهرمي للدول المعاصرة على مستويات متباينة في القدرة والتأثير . كما لايعني أن قمة الهرم الدولي ، هي الاخرى ، لم تعد تتحرك[١٢] . فثمة قوى تصعد اليها ببطء محسوب ، وأخرى تهبط منها عملياً ، وثالثة ما زالت في مكانها على الرغم من حالة تآكلها الداخلي .

ومن بين القوى الدولية الصاعدة ، الدول الاسيوية ، التي نسميها بالجديدة . ونتساءل : مَنْ هي ؟

هل هي اليابان ، الدولة التي خسرت الحرب العالمية الثانية ، والتي لم يحل ذلك دون أن تستمر ، وعلى امتداد ١١٨ عاماً ، تسجل قصة نجاح حقيقية[١٣] ؟ هل هي الصين ، الدولة التي تتمتع بامتيازات العضوية الدائمة في مجلس الأمن الدولي ، وأضحت تتوافر على قدرات بشرية واقتصادية

وعسكرية لايستهان بها ؟ هل هي ، أيضاً ، مجموعة الدول المتقدمة ، صناعياً ، وان بنسب مختلفة ، في الحافة الشرقية لقارة آسيا ؟[١٤].

ان الدول الاسيوية الجديدة ، التي نقصدها ، هي هذه الدول جميعاً وفي مقدمتها اليابان والصين ، والتي تضم أحد عشر اقتصاداً ، وبعدد من السكان يفوق مليار ونصف ، وبمساحة من الارض تقدر بحوالي ١٣٫٢٠٠ ألف كيلو متر مربع . واضافة الى ذلك تتميز بقوة دفع تتأسس على هيكل اقتصادي ــ صناعي ــ تقني واعد ، وان كان مختلفاً ، وادراك بجدوى تجنب أخطاء الغرب[١٥] في تعامله الدولي ، فضلاً عن ارادة النهوض الحضاري .

وتبعاً للطريق[١٦] ، الذي تهتدي به هذه الدول في الارتقاء ، يكاد الرأي يتفق على ان الحافة الاسيوية للمحيط الهادي ستشكل أحد مراكز القوة في القرن القادم[١٧] .

بيد أن هذا التوكيد يثير سؤالا فرعياً قوامه : كيف تستطيع الدول الكبرى في الاقليم الاسيوي تعزيز مركزها الدولي النامي والولايات المتحدة خصوصاً تسعى ، ضمناً أو صراحة ، الى الحيلولة دونه ، ضماناً لديمومة مكانتها الدولية ، حاضراً ومستقبلاً ؟

موضوعياً يطوي هذا السعي على أثر كابح تعززه ثمة متغيرات ، أبرزها الآتي : أولاً ، ارتباط معظم الدول الاسيوية بالولايات المتحدة عبر شبكة علاقات وطيدة واسعة ومتنوعة مما يرتب امتناعها ، أو ترددها في الأقل ، عن الدخول في صراعات حادة المستوى معها تجنباً لنتائجه السلبية في مصالحها المتوخاة[١٨] . وثانيا ، توظيف الولايات المتحدة هذا الامتناع أو التردد سبيلاً اما لتأمين انسياق الدول الاسيوية وراء سياساتها ، أو عدم معارضتها جدياً .

وتقدم السياستان اليابانية والصينية حيال الحرب الامريكية ضد العراق ، على الرغم من تباين مدخلاتهما ، أحد الامثلة البارزة . فكما ان

التردد الياباني عن المشاركة في تمويل هذه الحرب مالياً كان مؤقتاً[١٩] ، كذلك كان امتناع الصين عن توظيف حق النقض عاملاً داعماً ، ولو ضمناً لهذه الحرب . فهذا ،لو حدث ، لكان قد حال دون صدور قرار مجلس الأمن الدولي المرقم ٦٩٨ ، وربما عطل سياسة السير الى الحرب الامريكية ضد العراق[٢٠] .

على أن التأثير الاميركي في سياسات الدول الاسيوية لا يفيد ، بالمقابل ، ان العلاقة المتبادلة تخلو من انماط التنافس المختلفة[٢١] . فثمة متغيرات تدفع اليه ولاسيما ادراك الدول الاسيوية الكبرى ان ردم الفجوة بين نوعية قدراتها الاقتصادية وطبيعة دورها السياسي الدولي يُعد مصلحة قومية عليا ، وان تأمينها يستدعي صياغتها لسياسة خارجية نشطة وفاعلة .

وتوكد مؤشرات تقترن ببعض أنماط السلوك الياباني والصيني ذلك. فاليابان أضحت تتطلع الى أن تكون دولة دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي ، وأخذت تقوم بنشاطات مختلفة ومهمة على صعيد منظمة الأمم المتحدة ، وتسعى الى توطيد علاقتها مع تلك الدول في عالم الجنوب المهمة، اقتصادياً وتجارياً وسياسياً عبر تقديم المساعدة الخارجية لها ، وتؤشر كثافتها أنها صارت الدولة الأولى المانحة للمساعدة الخارجية في العالم[٢٣] . وغني عن البيان منح هذه المساعدة لايكون بمعزل عن أهداف سياسة يراد تحقيقها في الحاضر والمستقبل .

كما أن الصين ، على الرغم من حرصها على ديمومة علاقتها الوطيدة مع الغرب تأميناً لتدفق مستلزمات تحديثها الداخلي ، لم تتوان عن تبني سياسات رافضة صراحة لبعض السياسات الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً[٢٤] . ومما ساعد على ذلك أن الميزان التجاري بين الصين والولايات المتحدة يميل لصالح الأولى ، الأمر الذي يدعم حركتها .

وربما لم يكن النزوع الاسيوي نحو الاستقلالية ممكناً لو انه لم يجد دعماً داخلياً متصاعداً يقترن بمتغيرين تفسيين مهمين : أولهما دفع الارث التاريخي ، متفاعلاً مع ادراك لدالة تسارع نمو القدرة الاقتصادية ، باتجاه العودة الى ممارسة دور دولي فاعل[٣٥] يستوي ونوعية دورها في بداية القرن الحالي . فاليابان كانت دولة أسيوية عظمى . وحسب تعبير بول كنيدي « ... لم يعد بوسع أحد أن يمد اصبعاً للشرق الاقصى دون ان يضع لـرد فعلها حساباً »[٣٦].

أما ثانيهما فيقترن برؤية مفادها أن أعداء نهضة اليابان اليوم هم ذات الأعداء بالامس ، وان على اليابان أن تستمر ، تبعاً لذلك ، في التفوق الاقتصادي حتى تصبح الدولة الأولى في العالم .وهذا النزوع عندما يتحقق « ... عندها فقط سيعتبر اليابانيون أن الحرب العالمية الثانية قد انتهت»[٣٧]. والرأي الذي يربط هذا النزوع بالانتقام الاقتصادي من حلفاء هذه الحرب[٢٨] لاينطوي على مبالغة .فهو عميق الجذور تاريخياً .

ثانيا : الارتقاء الحضاري الاسيوي

يؤشر هذا الارتقاء سمات فريدة . ومن بينها مثلاً أنه تحقق في خلال فترة زمنية قصيرة[٢٩] لاحقة على نهاية الحرب العالمية الثانية . فالنهضة اليابانية بدأت خطواتها الأولى مباشرة بعد انتهاء هذه الحرب . أما التجارب الأسيوية الأخرى فانها ترجع الى بضعة عقود من الزمن لاغير . فبينما مثلاً بدأت تجربة سنغافورة في عام ١٩٦٥ ، تعود تجربة كوريا الجنوبية الى عام ١٩٨٠ .

وتبرهن عموم التجربة الاسيوية مصداقية أمرين أساسيين : أولهما أن الارتقاء الحضاري لايلتزم مرور قرون من الزمن حتى يتحقق . وتبعاً لذلك تكون تلك الرؤية التي مفادها أن تجربة الغرب في التحديث هي النموذج ، رؤية غير دقيقة في الأقل . أما الامر الثاني فمفاده ان التقدم

الاسيوي السريع لم يكن مرهوناً بجنس أو عرق أو خلفية ثقافية محددة • فالى جانب تجارب المجتمعات الاسيوية ذات الاكثرية الصينية ، تبرز أخرى هي تجربة مجتمع اسيوي اكثريته من المسلمين ، هو الماليزي •

وعليه ، نتساءل : ما الذي أدى الى النهوض الاسيوي ؟

بدون الدخول في الآراء المتعددة ، التي لسنا بصددها ، نرى ان هذا النهوض كان محصلة لجهد الانسان الاسيوي أساساً ، لاسيما وان الارتقاء الحضاري لاتصنعه ، كما تؤكد التجربة الانسانية ، متغيرات مادية أو فكرية حسب ، وانما كذلك الارادة البشرية : صانعة التحولات الكبرى في تاريخ الشعوب والدول •

وقد تجسد هذا الجهد في الصعد الآتية على سبيل المثال :

٣-١ التعامل الكفوء مع الزمن

لم يتعامل الانسان الاسيوي مع الزمن تعاملا دهرياً ، وانما تعاملا ارتبط أساساً بالحركة والتغيير وأدواتهما • ولم يؤد ذلك الى أن يفقد الزمن مفهومه الدهري حسب ، وانما كذلك الى أن يتجاوز هذا الانسان العقبات التي ينطوي عليها ، في حالة سوء استخدامه •

فبعد خمس سنوات على خسارة اليابان للحرب العالمية الثانية ، بلغ معدل نموها ١ر١٢٪ ، وبالتالي كان الأول في العالم آنذاك[٣٠] • ويعد الاقتصاد الياباني اليوم الاقتصاد الثاني في العالم[٣١] • وبعد حوالي أربعة عقود من الزمن ، وفي ظل ظروف مختلفة ، داخلياً وخارجياً عن اليابان ، ينمو الناتج المحلي الاجمالي في الصين بمعدل يقترب من ١٠٪ سنوياً[٣٢] • وتفترض آراء ان الاقتصاد الصيني سيكون في عام ٢٠٢٥ الأول من نوعه في العالم[٣٣] ، شرط استمرار معدل نموه الحالي في الأقل •

على أن هذا الانجاز الفريد لم يكن بمعزل عن أثر نظام القيم السائد • ففي الدول الاسيوية تذوب الأنا في الجماعة (أو المجتمع) ولصالحها أساساً ،

بمعنى أن التأكيد يكون على القيم المجتمعية وليس على الفردية كما هو الحال مثلاً في المجتمعات الانكليزية والأمريكية[٣٤] . ان الانضباط والتنظيم الاجتماعي الفريدين سمة يابانية . وتبعاً لذلك تضطلع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الدولة الاسيوية بدور مهم في توظيف هذه القيم لدعم النجاح الاقتصادي وخلق مبدع للثروة . لذا يُعد يوم العمل في اليابان مثلاً أعلى انتاجاً[٣٥] .

٢-٢ تبني سياسات اقتصادية جديدة

باستثناء الصين ، يُعد شائعاً ان الاقتصاديات الاسيوية تُعد جزءاً من النظام الرأسمالي العالمي . غير ان الاسيويين يرون ان نظامهم الاقتصادي يطرح ، الى جانب النظم الاقتصادية المعروفة ، نظاماً ثالثاً[٣٦] . فالتنمية في الدول الاسيوية لم تتحقق جراء دور القطاع الخاص عموماً ، وانما جراء الدور التدخلي للدولة وتوجيهها لقوى السوق الى تلك المسارات اتي تؤمن تحقيق أهداف قومية معينة وبرمجة رؤى مستقبلية محددة[٣٧] . فالليبرالية الاقتصادية لاتُعد ، في ضوء تجربة هذه الدول وسواها ، شرطاً لازماً للنهوض الاقتصادي .

واتساقاً مع رؤيتها ، فلقد تبنت الحكومات والشركات الاسيوية ، ضمن تخطيط بعيد المدى ، توليفة أساليب رمت جميعها الى تأمين درجة غالية من الانتاجية والنمو الاقتصادي ..

ومن بين هذه السبل المهمة ، دور القيادة الادارية في التخطيط والتوجيه والمتابعة لجهد الفرد العامل ، كماً ونوعاً . ويؤكد أحد الآراء أن من بين المتغيرات الاساسية التي تدعم المركز الاقتصادي لسنغافورة ، مثلاً ، الدور الاداري المتميز لرئيس وزارتها . فهذا الدور يستوي و « النموذج الذي سيكون لازماً للمجتمعات التي (تتطلع الى) ايجاد موقع متميز لها تحت الشمس وفي ظل ظروف (دولية) تنافسية قاسية بل طاحنة»[٣٨] .

٢ ـ ٣ الواقعية السياسية الخارجية :

تعد الواقعية توجهاً عاماً اقترنت به ، عبر الزمان والمكان ، العديد من السياسات الخارجية ، قوامه باختصار التعامل مع معطيات الحياة عموماً في ضوء قوانينها الموضوعية لاغير .

ويؤشر تاريخ السياسات الخارجية للدول الاسيوية أنها عمدت الى توظيف هذا الاتجاه سبيلاً لاعادة ترتيب البيت الداخلي لكل منها وتوطيد دعائمه تأميناً لانطلاقة خارجية فاعلة لاحقاً . والتجربتان اليابانية والصينية تقدمان مثالاً .

فأما عن اليابان ، فانها عمدت الى تجنب الانغماس السياسي الخارجي المكثف ، وذلك في خلال فترة ماقبل عقد السبعينات . وقد ساعد على ذلك تأثير متغيرات خارجية قوامها مثلاً التبعية الامنية الى الولايات المتحدة ، والسعي نحو اعادة بناء الثقة مع دول جنوب شرق آسيا وغيرها ، ومتغيرات داخلية مفادها الكوابح الدستورية[٣٩] وايلاء الاعتبارات الاقتصادية والتجارية أولوية على سواها .

وتؤكد محصلة هذه التجربة انها كانت في صالح الارتقاء الاقتصادي الياباني . فتجنب الانغماس المكثف في السياسة الدولية ، وما يتطوي عليه من اتفاق باهظ ، آمن لها فرصة سانحة لتركيز كامل الجهد الداخلي على الانتاج والتطوير . لذا كانت المفاجآت المتتالية هي سمة الزمن الياباني بعد خراب الحرب .

ولهذا عندما بدأت السياسة الدولية ، بعد عقد السبعينيات صعوداً ، تنعم بالوفاق الامريكي ـ السوفيتي ، كانت اليابان دولة ناهضة ذات وضع داخلي متين . وهذا الوضع لم يؤهلها لاعادة هيكلة حركتها الخارجية على نحو يحقق في آن توظيف الاقتصاد والسياسة الخارجية سبيلاً لتأمين المصالح القومية العليا ، بعد أن كان الاقتصاد هو الغاية والاداة حسب ، وانما ساعدها كذلك على مشاركة الغرب ومنافسته في كل شيء تقريباً والتفوق عليه أيضاً .

والسياسي والمؤسسي الذي يرعاها ويأخذ بها • ولاختلاف نوعية هذا الوعاء من دولة الى أخرى ، تتنوع بالتالي نماذج التنمية والنهوض في العالم وتتعدد • ومن بينها النموذج الاسيوي •

على أن رؤية النموذج الاسيوي كأحد النماذج التنموية لاغير ، لايفيد انه لايستحق التأمل والدراسة لأغراض الاستفادة العملية من بعض عناصر نجاحه في الأقل • فالنجاح أو الاخفاق ينطويان في عالم اليوم على امتدادات تتجاوز أطارهما الجغرافي ، فضلا عن مسألة أخرى مهمة قوامها أن النموذج الاسيوي يطرح تساؤلات عن العلاقة الموجبة أو السالبة بين التنمية والديمقراطية ، أو بينهما وبين الشمولية ، أو التراكم الرأسمالي ، أو السياسات التدخلية في توجيه السوق ، أو الدعم الخارجي ، وغير ذلك • وغني عن البيان أن الاجابة الموضوعية عن هذه الاسئلة تنطوي على فائدة •

ثالثا : القواسم المشتركة بين العراق والدول الاسيوية

تتعدد هذه القواسم وتتنوع ، وابرزها يكمن في الآتي :

٣ـ١ الحاجة المتبادلة

تُعد السياسات التي تنطلق منها دول المركز الغربي حيال عالم الجنوب امتداداً لسياساتها التقليدية في تكريس تبعيته اليها ، وتوظيف محصلتها سبيلاً لديمومة رفاهيتها الاقتصادية والاجتماعية ودعم مركزها الدولي • وسياسة هذه الدول حيال الوطن العربي خير مثال •

على أن هذه السياسة لم تحل دون مقاومتها من قبل أعداداً من دول الجنوب • والصراع الممتد بين الشمال والجنوب يُعد ، في بعض جوانبه ، تعبيراً عن سياستين متناقضتين : فرض التبعية ومقاومة التبعية •

وتقدم الدول الاسيوية ، ولاسيما الكبرى ، فرصة داعمة لعموم دول الجنوب في مقاومتها لسياسة استلابها الحضاري • ومما يساعد على ذلك امكانية توظيف حاجتها الاقتصادية المستمرة ، والسياسية النامية •

فأما عن الحاجة الاقتصادية فهي تكمن في ديمومة اعتماد الدول الاسيوية على استيراد الموارد الاولية التي يوفرها عالم الجنوب • وفي مقدمتها النفط والمعادن غير الوقودية • صحيح أن بعض هذه الدول ، ومثالها اليابان عمدت الى تبني سياسة الاحلال، عبر التصنيع المحلي لبعض هذه المواد ، بيد أن هذه السياسة لم تؤد الى النتيجة المتوخاة كاملة •

واضافة الى ذلك يُعد التصدير الواسع حاجة أساسية ، سيما وان الدول الاسيوية استمرت تربط ربطاً جدلياً بين الارتقاء بنهوضها واستمرار تدفق صادراتها الى العالم ، الذي أضحى بمثابة مجالها الاقتصادي الحيوي[٤٧] • ويضاف الى هذه الحاجة نزوعها الاستثماري •

وأما عن الحاجة السياسية ، فلقد أدت حاجتها الاقتصادية ، متنوعة المضامين ، الى أن تكون غير قادرة على تجنب التفاعل مع احداث تلك المناطق الاقليمية التي امتدت مصالح أمنها القومي اليها ، لاسيما وان هذه المناطق أضحت ، ومنذ فترة سابقة على الانهيار السوفيتي ، بؤراً للتنافس والصراع الدولي عليها وبالنيابة فيها • فحرب الموارد تزامنت ، في خلال الحرب الباردة ، مع حرب المشاريع المتناقضة[٤٨] •

وتتقابل هذه الحاجات الاسيوية مع حاجات اقتصادية وتقنية جنوبية ، وان كانت من نوع آخر مختلف • والشيء ذاته ينسحب على الامكانات • فكما ان الدول الاسيوية تملك التقنية والمعرفة العلمية والبضاعة ، كذلك تتوافر بعض دول الجنوب على موارد اولية اساسية ، وأسواق واسعة ، وفرص استثمار مهمة •

ومن هنا تُعد مقايضة الامكانات سبيلاً لاشباع الحاجات ، سياسة تنطوي على فائدة متبادلة لأطرافها •

والعراق يتوافر على قدرة تغطية عالية وأسواق تستجيب للبضاعة الاسيوية يمكن توظيفها لاشباع بعض حاجات الدول الاسيوية استيراداً للنفط وتصديراً للتقنية ومنتجاتها مقابل اشباع حاجاته التنموية ، أو بعضها في الأقل •

وتنطوي تجربة العراق مع هذه الدول على مايفيد أن الادراك المتبادل بالحاجة الى بعض كان وراء نمو نسب الاستيراد والتصدير من والى بعض قبل التسعينيات • صحيح أن الحصار قد أدى الى تراجع العلاقة المتبادلة الى خط الشروع ، بيد أن هذه التجربة يمكن أن تؤسس الارضية لعلاقة قد تكون مزدهرة مرة أخرى •

وتؤشر التجربة الدولية ان العلاقة المتبادلة عندما تكون مزدهرة فانها تفرز اعتماداً متبادلاً قد يصبح وطيداً • فما أنجز ، مثلاً ، حتى الآن على صعيد التعاون الاقتصادي الاوربي ، يجعل انسحاب الدول الاوربية منه في غاية الصعوبة ، لاسيما وان أكلاف ذلك تكون باهظة[٤٩] •

ويفرز هذا الاعتماد مخرجات لاتقتصر على اشباع الحاجات الاقتصادية وانما تتعداها الى اشباع حاجات سياسية تتمثل في الدعم السياسي المتبادل لأطرافه • وفائدته ، هي الاخرى ، لاتنكر • نفي عالم يتحول لم تعد الدولة ، اي دولة ، قادرة على تحقيق مصالحها بمعزل عن الدعم الخارجي لها • فهذا استمر بشكل أحد مصادر قدرة كل دولة على الفعل الهدف • ولا يلغي الاعتماد على الذات ، وهو أساس ، جدوى هذا الدعم •

٣-٢ حداثة العلاقة المتبادلة

يتأثر حاضر العلاقة بين دولتين ومستقبلها بمتغيرات ويكون الماضي ، أو المتغير التاريخي احداها • هذا لدوره الكامن في دفع الدول ، عبر صناع قراراتها ، نحو ادراك محدد لدالة تجاربها التاريخية مع غيرها ، وبالتالي الى سلوك يتأثر به على نحو معين ، هذا حتى عندما يكون التعامل الدولي تعاملاً واقعياً •

ويقترن الجذر التاريخي لعموم العلاقة العربية مع الدول الاسيوية بخاصية تجعل تأثيره مختلفاً عن سواه • فعلى العكس مثلا من التاريخ الطويل للصراع بين عموم العرب والغرب ، والذي أفرز ميراثاً مريراً جراء تكرار

محاولاته تعطيل عملية النهوض العربي عبر كسر النواة التي تأسس عليها ؛ عبر الزمن ، تتميز العلاقة مع الدول الاسيوية بخاصية شاخصة قوامها غياب نزوعها نحو السيطرة الاستعمارية ، بشكلها التقليدي أو الجديد . فبعض هذه الدول كانت داعمة ، سياسياً وتنموياً وعسكرياً كالصين . اما بعضها الآخر ، كاليابان ، فلم يبدأ العلاقة الجديدة مع عموم العرب الا بعد ازدهاره الاقتصادي ، وتبلور حاجته لمواردهم .

ولا يكمن السبب في تجنب الدول الاسيوية أن تكون طرفاً في الصراع الدولي على الوطن العربي حسب ، وانما كذلك في حداثة العلاقة المتبادلة . فهي لم تبدأ عمليا الا بعد عام ١٩٧٣ . والصين تُعد استثناءً . فعلاقتها مع بعض العرب تعود الى العقد الخامس .

بيد أن عدم اقتران العلاقة مع الدول الاسيوية بخلفية استعمارية ، وان جعلها تخلو من الكوابح النفسية التي تحد من تطورها ، الا ان هذا المتغير النفسي ، مع أهميته ، لايعد كافياً لتأسيس علاقة متبادلة ، واقعية ومتطورة . فهذه تتطلب توافر شروط مسبقة ، ومن بينها ، مثلاً ، الاستعداد الذاتي المشترك .

وهذا الاستعداد قد يكون متفاوتاً ؛ ولاسيما في حالة العلاقة بين دولتين مختلفتين في مستوى تطورهما الاقتصادي والتقني ونوعية حاجتهما الى بعض . ومن هنا يكون العبء الذي يقع على الدولة الأقل تطوراً وبالتالي الأكثر حاجة لغيرها ، يكون اعلى في متطلباته .

ومن بينها ، مثلاً ، قيام هذه الدولة بأفعال ذات مضامين ترغيبية ترمي الى الارتقاء باستعداد الدولة الثانية الى مستوى حاجة الدولة الاولى في التعاون . والعراق قادر على ذلك . وسبيله ، ضمن اطار ثوابت سياسته الخارجية ، الى ذلك توظيف ثرواته وتطلعاته التنموية لاغراء الدول الاسيوية نحو تصعيد تعاونها معه ، على الرغم من الكوابح الدولية التي قد تعترض ذلك .

٣-٣ النزوع الاستقلالي

لم تعد الاستقلالية ، في عالم اليوم ، تفهم بدالة تمتع الدولة بحرية حركة سياسية خارجية مطلقة . فثمة متغيرات ، لسنا بصددها ، جعلت هذا المعنى السابق يتراجع لصالح رؤية أخرى مختلفة قوامها رفض الاملاء الخارجي لقرارات وسياسات ذات مساس سلبي في المصالح ، ولاسيما التي تشكل أساس وجود الدولة ، دونما انغلاق أو انعزال عن العالم .

ويلتقي العراق هو وعدد من الدول الاسيوية في الحرص على استقلالية السياسة بالمعنى أعلاه . ولا يغير من ذلك ان تعبيراته العملية تختلف في الزمان والمكان ، ومن دولة الى أخرى ، وذلك تبعاً لطبيعة الواقع الدولي السائد والعلاقة التي تربط بين هذه الدول والقوى العالمية .

فكما أن الصراع الأمريكي ـ السوفييتي كان في وقته مؤثراً ، بنسب ودرجات متباينة ، في السياسات الخارجية كافة ، كذلك تنطوي القطبية الواحدة الراهنة على كابح دولي لايمكن نكرانه موضوعياً .

على أن كوابح الواقع الدولي لم تستطع الغاء التوجه الاستقلالي للعديد من الدول ، بل كانت سبباً داعماً مضافاً له . فتعرض العراق لسياسات خارجية رمت ، عبر أساليب متعددة ، الى احتواء حركته ، لم يدفع به الى التكيف الاذعاني مع أهدافها ، وبالتالي التخلي عن استقلاليته .

كما أن انفتاح الصين الواسع على العالم ، سبيلاً لتأمين مستلزمات التحديث الداخلي ،لم يرتب استجابتها لمطالب تغيير نظامها السياسي وتوجهاته، وتقدم اليابان مثالاً مضافاً . فتأثرها بالسياسة الخارجية الامريكية حالياً لم يفرز انسياقاً مطلقاً وراء أهداف هذه السياسة ، بل أن نظرتها بازدراء الى الولايات المتحدة ، كما يقول الكتاب المشهور : اليابان التي يمكن أن تقول لا[٥٠] ، كانت عاملاً مضافاً شجع اليابان على ايلاء مصالحها القومية العليا أولوية على المصالح الأمريكية ، وخصوصاً عندما يتناقضان .

ويفيد التقاء العراق ومعظم الدول الاسيوية ، الكبرى أو المتوسطة ، في الحرص المشترك على الاستقلالية ، على الرغم من اختلافها في صيغ التعبير عنها ، انها تقف جميعاً من التغيير السياسي الدولي ، وبضمنه دمقرطة العلاقات الدولية ، موقفاً ايجابياً • ويُعد هذا الموقف أحد المداخل المهمة للارتقاء بالعلاقة الثنائية الى آفاق أرحب •

وعليه ينطوي تشجيع الدول الاسيوية الكبرى على اداء أدوار سياسية تستوي وقدراتها الذاتية ، والارتقاء به الى مستوى أكثر تأثيراً ، ينطوي على فائدة مهمة • فالتجربة التاريخية تؤكد ان الهيكل الدولي ، عندما يكون متعدد الاقطاب ، فان خصائصه تتيح للدول الاخرى فرصاً سانحة لتوظيف صراعات هذه القوى لصالحها • وتقدم تجربتا مصر والهند في عهدي عبدالناصر ونهرو الدليل على جدوى مثل هذه السياسة • اذ دعمت حركتهما السياسية الخارجية وفاعليتها بعنصر مضاف •

* * *

الخاتمة

لقد بدا ، من خلال البحث ، واضحاً ان الدول الاسيوية الجديدة ، وفي مقدمتها اليابان والصين ، أضحت تتمتع بتأثير دولي أخذ بالنمو التدريجي تبعاً لتسارع نمو اقتصادياتهما ، واتساع نطاق حرية حركتهما الخارجية وفاعليتها •

ويؤشر ماتقدم ان هاتين الدولتين ، مدعومة باحتمالية تسارع نحو علاقات التعاون فيما بينهما ، تتجهان الى بلورة مركز آسيوي للقوة الدولية يتقابل مع المراكز الامريكية والاوربية التي هي في طور التكوين ايضاً •

وتنطوي سياسة مد الجسور وتطويرها مع المركز الاسيوي على فوائد قوام محصلتها رفد الاستعداد الذاتي للتعامل مع القرن القادم وتحدياته بعنصر داعم فاعل مضاف لاسيما وان هذه السياسة تتأسس على قواسم

مشتركة تربط بين أقطابه وبعض دول عالم الجنوب . ومن بينها العراق بالضرورة .

والعراق ، كدولة مشروع حضاري نهضوي ، لايستطيع ان يكون بمعزل عن عملية تغيير العالم واعادة هيكلته على نحو جديد . فمتطلبات نجاح مشروعه الحضاري تقتضي تفاعله الايجابي .

ومن بين السبل لذلك دفع القوى الدولية ، التي يلتقي العراق واياها على قاعدة التقاء المصالح وتعزيزها دعماً للذات ، الى التعاون الوطيد تدريجياً . والحصار الدولي للعراق قد يحول دون ذلك الآن . بيد انه لايكون سوى مرحلة عابرة بالضرورة .

وقد يتساءل المرء ، ولكن كيف تستطيع دولة صغرى ، بالمقاييس العالمية ، كالعراق أن تدفع دولاً كبرى ، كالاسيوية ، الى مثل هذا التعاون ؟

تفيد التجربة التاريخية ان التقليل من شأن تلك الدول التي تكون صغرى وأدوارها في التفاعلات الاقليمية والدولية تُعد انعكاساً لرؤية ضيقة لاتدرك ان مفهوم القوة استمر ، وعلى مر الزمن نسبياً . فضعف القوة يقابل مع قوة الضعف[٥١] .

ومن بين المتغيرات المهمة التي تؤسس لقوة الضعف القدرة على توظيف الاستعداد والتدبر سبيلاً لتطويع الزمن تطويعاً كفوءاً ومتجدداً . فالزمن عنصر محايد . وهو لايتحول الى أداة للنهوض الحضاري الا عندما يصار الى استثماره ، بذكاء وابداع وبُعد نظر ، عبر سياسات تدرك ، وبشمولية ، كيفية تسخير الخارج من أجل بناء (او اعادة بناء) الداخل خدمة لنهوضه اللاحق . وبضمنه توظيف ماهو ايجابي (أو يحتمل أن يكون) في البيئة الدولية واحتواء تأثير ما هو سلبي منها (أو يحتمل أن يكون) .

ويكمن السبيل الى ذلك في الحركة المبدئية والواقعية المتوازنة . فهذه تنطوي على قدرة اكتشاف مجال حريتها وفاعليتها واصالتها وبالتالي

تطويع الحاضر خدمة للمستقبل الآتي . والسياسة الخارجية العراقية هي السياسة التي تقترن بمثل هذه الحركة[٥٢] .

ولهذا يخطيء من يدرك أن الحركة المبدئية تفرض تجاهل الواقع أو القفز عليه ، او أن الحركة الواقعية تتطلب التغاضي عن المستقبل . فمثل هذا الادراك يؤسس أرضية القبول بالاخفاق اختياراً .

* * *

الخاتمة

(١) الفن توفلر ، تحول السلطة ، تعريب ومراجعة د. فتحي بن شتوان ونبيل عثمان ، طرابلس : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، ١٩٩٢ ، ص ٥٩٩ ، هنا وهناك .

(٢) انظر مثلا بحثنا ، التغيير في النظام الدولي والسياسة الخارجية ، مجلة العلوم السياسية ، بغداد ، العدد (١٠) ، ١٩٩٣ .

(٣) بالتفصيل انظر ، د. مصطفى كامل السيد ، الدول الصناعية الجديدة والنظام الدولي ، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي ، بيروت ، العدد (٣٦) ، ١٩٩١ ، ص ١٧ ، هنا وهناك .

(٤) د. عبدالخالق عبدالله ، النظام العالمي الجديد .. الحقائق والاوهام ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد (١٢١) ، ١٩٩٥ ، ص ٥٢ .

(٥) لستر ثرو ، المتناطحون . المعركة الاقتصادية القادمة بين اليابان واوربا وامريكا ، ترجمة د. محمد فريد ، ابو ظبي : مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ١٩٥٥ ، ص ١٥٠ .

(٦) ومثالها مجالات الصحة والتعليم والتنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية والبنى التحتية ومعدل عمر الفرد .

(٧) ويعترف بهذا الواقع العديد من الكتاب والسياسيين الامريكيين انفسهم انظر على سبيل المثال :

بول كنيدي : الاستعداد للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة محمد عبدالقادر وغازي مسعود ، بيروت : دار الشروق للنشروالتوزيع ، ١٩٩٣، ص‌ص ٣٦١-٣٩٩ ، وكذلك لستر ثرو ، مصدر سبق ذكره ، ص‌ص ١٤١-١٨٧ ، الذي ينتهي الى القول (ص١٨٧) ان امريكا ستدخل القرن الحادي والعشرين وهي فاقدة للريادة الهائلة التي كانت لها في

النصف الاخير من القرن العشرين ، وكذلك د. وليد عبدالحي ، مستقبل امريكا على سلم القوى الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٢٦) اكتوبر ١٩٩٦ ، ص ص ٨-٢٥ .

وانظر كذلك

Zbigniew Brzezinski, Out of Control, New York: A Robert Stewart Book, 1993, p. 103.

وبسبب من ان الولايات المتحدة دخلت مرحلة ما بعد الحرب الباردة وهي في أسوأ حالاتها ، يقول د. محمد ربيع «ان الولايات المتحدة هي التي يمكنها ان تهزم نفسها . » ، نقلا عن مجلة شؤون عربية ، بيروت ، العدد (٧٣) ، ١٩٩٣ ، ص ١٧٥ .

(٨) وبها يقصد متغيريان يتحركان في ذات الاتجاه : اذا زاد احدهما زاد الآخر . واذا نقص احدهما نقص الآخر

(٩) انظر :

Ernst-Otto Czempiel, Weltpolitik in Umbruch, Muenchen: Verlag C. H. H. Beck, 1993, pp. 77—83.

(١٠) د. انور عبدالملك ، الدول الكبرى الجديدة في مرحلة تغيير العالم وصياغة العالم الجديد ، بحث مقدم الى المؤتمر الثاني للبحوث السياسية ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، ١٩٨٨ ، ص ٢٣ .

(١١) انظر مثلا :

John Spaner, Games Nations Play, 6th ed., Washington D. C.: CQ Press, 1987, pp. 62—67.

(١٢) انظر مثلا د. وليد عبدالحي ، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية ، الجزائر : شركة الشهاب ، ١٩٩١ ، ص ١٥١ .

(١٣) لستر ثرو ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٠ .

(١٤) وتشمل هذه الدول مايسمى بالنمور الاسيوية الاربعة (هونك كونك ، وكوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة) اضافة الى الدول الاعضاء في مجموعة دول جنوب شرق اسيا (اسيان) وهي بروناي واندونوسيا وماليزيا والفلبين وتايلند وسنغافورة) .

ويتم تقسيم جميع الدول الآسيوية الى اربع مجموعات اساسية على سلم من الافضلية المقارنة .

اليابان كقوة اقتصادية عظمى ، وهي اكثر دول الاقليم الاسيوي ولاسيما في الصناعات المتقدمة والمعقدة تقنيا .

والصين التي تعد قوة اقتصادية متقدمة بسبب حجم اقتصادها وتنوعه وشموله لصناعا تامتطورة ، كصناعة الفضاء .

وفي المجموعة الثالثة تأتي النمور الاسيوية الاربعة . اما المجموعة الرابعة فتتكون من دول اسيان التي تتوزع بدورها على دول ذات دخول متوسطة، كتايلند وماليزيا ودول ذات دخول منخفضة كاندنوسيا والفلبين .

وجميع دول المجموعتين الثالثة والرابعة تعتمد حاليا على اليابان ، كمركز قائد . اما الصين فيصـار الى تشبيهها كالطائـر العملاق الذي يطير الى جانب اليابان والدول الاسيوية الاخرى .

قارن مـع. خلدون النقيب ومبارك العدوانـي ، اليابـان وتنينات آسيا الجديدة ، صحيفة القبس ، العدد ٦٤٤٩ في ١٩٩٠/٤/٢١ ، ص ١٠.

(١٥) بالتفصيل انظـر ، كيشـور ماهيوبانـي ، الطريـق الباسفيكي ، مجلة السياسة الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٨ .

(١٦) انظر المصـدر ذاته .

(١٧) أنظر مثـلا :

Wilfried Von Bredow, Thomas Jaeger (Hrsq.) Japan, Europa, USA, Opladen: Leske+ Budrich, 1994, pp. 234—236.

(١٨) ومما يساعد على ذلك ، قدر تعلق الامر باليابان مثلا ، ادراكهـا ان الولايات المتحدة ، على الرغم من واقعها الداخلي المتآكل ، ستبقى احد أضلاع مثلث القوة في القرن القادم ، اضافة الى نوعية علاقاتها الواسعة والمتشابكة معها . وعليه لا يعد محتملا ان تعلن تمردها على الـولايات المتحدة الا عندما يتبلور الوضع الدولي على نمو اوضح لصالحها والقوى الجديدة الاخرى والمنافسة للولايات المتحدة .

في هذا الراي الذي تقول به العديد من الكتابات ، انظر مثـلا الصـافي سعيد ، سنوات المتاهة ، تونس : نقوش عربية وسينصاد ، ١٩٩٤ ، ص ٣٤٧ .

(١٩) انظـر :

Jochen Hippler, Die Neue Weltcrdnung, Hamburg: Konkret Literatur Verlag 1991, p. 115—117.

وكذلك آلان ليبباتز، برلين، بغداد، ريو: مدخل الى القرن الواحد والعشرين، ترجمة د. هاشم الحسيني ، بيروت : المسار ١٩٩٤ ، ص ٨٣، هنا وهناك.

(٢٠) انظر بحثنا ، البيئة الدولية والحرب ضد العراق ، مجلة آفاق عربية، العددان (١–٢) كانون الثاني – شباط ، ١٩٩٤ .

(٢١) ومثالها التنافس الاقتصادي والتجاري والمالي والخدماتي .. الخ .

(٢٢) وقد لايكون هذا الادراك بمعزل عن رؤية استراتيجية منتشرة داخليا قوامهما أن تكون مهمة اليابان دولية الطابع ، اي غير قاصرة على اقليم معين . انظر الفن توفلر ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٦١ .

(٢٣) لقد خصصت اليابان (٥٠) مليار دولار لهذا الفرض . انظر محمد علي المداح ، اليابان ومرحلة جديدة بعد هيروهيتو ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (٩٦) ، ١٩٨٩ ، ص ١٩٦ .

(٢٤) ولا سيما تلك التي لها علاقة بكيفية ادارتها لسياستهما الداخلية والخارجية . انظر مثلا ، معتز محمد سلامة ، الصين والولايات المتحدة: جوهر الخلاف ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٢٦) ، ٢٩٩٦ ، ص ص ١٧٦-١٨٠ .

(٢٥) في بعض التفاصيل المهمة ، انظر مثلا اسامة العشيري ، دور اليابان في النظا مالعالمي الجديد ، مجلة السياسة الدولية ، المصدر ذاته، ص ص ٤٦-٥١ .

(٢٦) بول كنيدي ، نشوء وسقوط الدول العظمى ، ترجمة مالك البديري، عمان : الاهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤ ، ص ٣٢١.

(٢٧) الصافي سعيد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤٧ .

(٢٨) والذين يرغبون في الانتقام هم من الصناعيين واشقاءهم العسكريين . نفس المصدر .

(٢٩) انظر مثلا طارق حجي ، التحول المصيري ، القاهرة : الدار المصرية ـ اللبنانية ، ١٩٩٣ ، صص ١٠٧-١٠٨ .

(٣٠) نقلا عن الصافي سعيد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥٠ .

(٣١) هذا بعد الاقتصاد الامريكي .

(٣٢) نقلا عن د. عبدالخالق عبدالله ، مصدر سبقذكره ، ص ٤٦ . وانظر كذلك ليستر ثرو ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٥ .

(٣٣) انظر مثلا ، الصافي سعيد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧٧ . وبهذا الصدد قال شون لاي الى نيكسون بما يفيد ان الصين تطمح الى العيش في عالم مثلث الاقتصاد ، تكون الصين احد اضلاعه ، نقلا عن المصدر ذاته ، ص٤٦٣ .

(٣٤) في هذا التباين بين النظم الراسمالية ، انظر مثلا ليستر ثرو ، المصدر ذاته ، صص ٢٩-٣٦ .

(٣٥) انظر مثلا :
Wilfried von Bredow, Thomas Jager (Hrsg.), op. cit., p. 88.

(٣٦) طارق حجي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥.

(٣٧) انظر عرض كتاب : التنمية بقوى السوق ا مبقيادة الدولة للسوق، في مجلة بحوث اقتصادية عربية ، العدد خريف ١٩٩٣ ، صص١٥٣– ١٦٩ ، الذي يركز اهتمامه على تجربة تايوان .

(٣٨) انظر طارق حجي ،مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥ .

(٣٩) يحدد الدستور الياباني نسبة الانفاق العسكري بنسبة ١٪ من مجمل الناتج القومي . ومع ذلك تعد اليابان ثالث دولة من حيث الميزانية العسكرية . انظر ، الفن توفلر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥٣.

(٤٠) وقد كانت تساوي ٦٠٪ من مجمل وارداتها النفطية . انظر ، ادوين رايشاور ، اليابانيون ، ترجمة ليلى الجبالي ، الكويت : عالم المعرفة ، العدد (١٣٦) ، ١٩٨٩ ، ص ٣٨٣ .

(٤١) انظر مثلا المصدر ذاته ، صص ٣٨١–٣٩١ .

(٤٢) انظر بحثنا ، السياسة الخارجية الصينية في عالم متغير ، مجلة شؤون سياسية ، العدد (٤) ، ١٩٩٥ .

(٤٣) انظر بالتفصيل :

Thomas J. Christensen, Chinese Realpolitik, Foreign Affairs Sept. - Oct., 1996.

(٤٤) انظر مثلا : د. عبدالخالق عبدالله ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧،وكذلك
Daniel S. Papp, Contemporary International Relations, 2nd ed., New York: Mackillan Publishing Company, 1988, pp. 320—324.

(٤٥) انظر مثلا سوسن حسين ، الصين .. هل تصبح القوة العظمى الاولى في القرن الحادي والعشرين ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١١٥) ، ١٩٩٤ ، ص ٢٢٥ .

(٤٦) يقول دينج شياوبنج «لايهم اذا كان القط اسودا أم رماديا .. المهم أن يلتهم الفيران» نقلا عن د. حميد الجميلي ، الصين والعهد الاقتصادي الجديد ، مجلة شؤون سياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٤ .

(٤٧) انظر مثلا :

Noam Chomsky, Writschaft, und Grewalt, Luenberg; Dietrich Zu Klampen Verlag GbR, 1993, pp. 69—17.

(٤٨) انظر بحثنا ، الموارد الاولية والصراع الدولي ، مجلة المنار ، باريس ، العدد (٧) ، ١٩٨٥ .

(٤٩) وينطبق هذا على المملكة المتحدة على سبيل المثال ، انظر لستر ثرو، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ .

(٥٠) انظر ، شنتارو ايشهارا ، اليابان التي يمكن أن تقول لا : صراع المستقبل بين الكبار ، ترجمة هلالة العوري ، القاهرة : يافا للدراسات والابحاث، ١٩٩١ ، ص ١٧ .

(٥١) ومعناه ان القـوي يمكن ان يكـون ضعيفـا ، وان الضعيف يمكـن ان يكـون قـويا .

(٥٢) انظر مثلا مؤلفنا : في السياسة الخارجية للعراق ١٩٦٨ـ١٩٩٠ ،بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٤ .

* * *

« الاستقـراء » ومناهـج البحـث العلمـي

الدكتـور محمـود حياوي حمـاش
(عميد كلية صدام الطبية ـ جامعة صدام)
عضـو المجمـع العلمـي

١ ـ المقدمـــة

١ ـ ١ اهميـة الموضـوع :

تتميز المعرفة العلمية بمناهجها التي تعد الأساس في دقة ما تعبـر عنـه والتي توصف بأنها معرفة دقيقة وصادقة . ويستند المنهج العلمي على :

(١) الاستنباط ، وخاصة النظام الرياضي ـ المنطقي للاستدلال .

(٢) الاستقراء ، في التوصل الى القواعد العامة والقوانين من رصد الملاحظات ونتائج التجارب ، (١) أي الانتقال من الخاص الى العام .

واذا كان الاستنباط ونظامه الرياضي ـ المنطقي يستخدم بصورة عامة في البحوث الرياضية والنظرية والفيزيائية ، فان العلوم الوضعية والتجريبيـة تعتمـد على الاستقراء بشكـل واسع .

وبما أن الاستقراء يتضمن التعميم من الملاحظات المحـدودة الى استنتاج صيغ عامة تشمل حالات لم تتم ملاحظاتها فعلا ، فان العديد من الفـلاسفة والتحليليين المنطقيين قد قالوا بأن الاستقراء يفتقد الى الأساس المنطقي السليم، حيث لايوجد أي أساس يبرر القول بصحة عبارات لاتخضع للملاحظة . لـذا فهناك العديد من الفلاسفة المحدثين من المعنيين بفلسفة العلم قـد دعوا الى التخلي عن الاستقراء وأعلنوا عدم اعترافهم به كطريقة الى المعرفة العلمية ، ومنهم بوبر (٢) وكون (٣) ، وناجل (٤) .. الخ .

ولذلك ، سنحاول في هذا البحث مناقشة منهجية البحث العلمي « التجريبي » والجوانب المختلفة للاستقراء في العلوم في ضوء النظرة الفلسفية والمنطقية للمعرفة .

٢ ــ في منهجية البحث العلمي التجريبي :

ان البحث العلمي قد يشترك في الفعالية اليومية للناس عموما في التعرف على الأشياء والأحداث والظواهر والحكم على الكثير منها ، ولكنه يتميز عن ذلك بجوانب وشروط مهمة ، وأولها الشروط التي يجب أن تتوفر لدى الباحث والتي لايمكن بدونها اجراءه بصورة سليمة ومنها :

١ ــ أن تتوفر لديه خلفية معرفية كافية ، ومنها المعرفة بالمعلومات المتوفرة سابقا عن الموضوع الذي يراد البحث فيه ، وهذه المعلومات تمثل في معظمها خلاصات أبحاث انجزها غيره ليس فقط بالمجال الضيق للموضوع وانما أن تتوفر لديه معلومات عامة بمستوى مقبول (أي معلومات ذات شمولية في حقول المعرفة القريبة من موضوع البحث) والتي يمكن توظيفها في دراسة الظاهرة موضوع البحث .

٢ ــ ان لديه اعدادا وتدريبا سابقا على وسائل وأساليب البحث العلمي في المجال المعين .

٣ ــ ان تتوفر المواصفات الشخصية من حيث المقدرة (سواء الجسمانية أو العقلية) ومواصفات الأمانة والموضوعية والتجرد .

٤ ــ أن تتوفر لديه أو تحت تصرفه الامكانيات والتجهيزات والمستلزمات التي يتطلبها اجراء البحث .

ان حال الباحث يختلف عن المرء الاعتيادي الذي قد يقوم نفسه بملاحظات جديدة تضيف الى معرفته والى خبرته بصورة مستمرة . فالباحث معد اعدادا خاصا يؤهله للالمام بجسم كبير من المعلومات القائمة التي

هي بالأساس « معرفة الآخرين » أي تتاج بحوث آخرين أو سابقين ومعاصرين ومن دون أن تتاح للباحث نفسه فرصة للتحقق الفعلي من هذه الحقائق • ولكن يلاحظ اتساقها وانسجامها مع المعرفة السائدة ، كما أنه من خلال ذلك يكتسب معرفة ما عن كيفية الحصول على هذه المعلومات ، رغم أن التمعن بانتاج الباحثين قد يكشف عن اختلافات شخصية مهمة •

وعند التهيؤ للولوج في بحث قضية معينة فان على الباحث أن يقوم بمراجعة المعلومات المتوفرة لديه حول كل ما يتعلق بهذه القضية بصورة معمقة، وتعد هذه المراجعة من الأمور المهمة حيث أن قيمة البحث تحدد نسبة الى بحوث الآخرين • فتكرار بحوث سبق أن تم انجازها أو القيام ببحوث بدون مبررات كافية كل ذلك يجعل البحث محدود الفائدة ، (رغم أن بعض البحوث المعادة قد يكون لها دور في تعزيز النتائج السابقة وتدعيمها أو نفيها) •

ان التعمق بالمعرفة المتوفرة حول قضية معينة يعني العودة الى بحوث الآخرين في هذا المجال والتعرف على الطرق التي استخدمها الباحثون للوصول الى النتائج المثبتة ، وذلك قد يبين في الأرجح بعض الاختلافات أو المشاكل التي لازالت غير محلولة ويبرز القضايا التي يتوجه اليها البحث •

ان توفر المعرفة والخبرة مسألة في غاية الأهمية ، سيما اذا لم يتم رؤيتها عبر نظرة سطحية سريعة • فما يراه المختص أو يتمكن من اداءه ،خلال التجربة أو استخلاص المعلومات يختلف من حيث الدقة والتفاصيل والعمق مما يتوصل اليه مواطن عادي غيرمختص ، وهذه احدى نتائج التخصص في العلوم والمعارف ، فذلك بالتأكيد مصدر لتطوير المعلومات وتعميقها بشكل يتجاوز كثيرا الحالة الاعتيادية •

هناك جانب آخر لهذا التخصص ، فبعض المفكرين (توماس ، كون) يرون أن خلفية المعلومات التي يشترك فيها الاختصاصيون تشكل اطارا

عاما لحقل الاختصاص • وقد يكون لهذا الاطار تأثير قوي في تحديد توجهات الباحثين وطبيعة التجارب أو طبيعة الأسئلة أو المشاكل التي يتعرضون لها في محاولة الاجابة أو توقع نوع الاجابة على الأسئلة المطروحة •

غير أنه مما لاشك فيه أ نالتدريب والاعداد المتخصص يعزز جانب الدقة والموضوعية في عملية البحث العلمي وعلى نحو يجعل الباحث أكثر تمرسا وأقل تأثرا بالعوامل الاجتماعية والعاطفية ، ولو أن ذلك ليس مطلقا•

ان المرحلة التالية في سياق البحث العلمي هي تمحيص طرق ووسائل البحث ومادته المتوفرة ، وأهم ما يتعلق بالجانب المنطقي في البحث العلمي هو تطابق الوسائل والطرق مع الغايات أو مع نوع الاجابة المتوقعة للاسئلة المطروحة • والوسائل مهمة في التحكم بطبيعة التجربة أو القياس وتطور الوسائل والتقنيات البحثية ودقة القدرة على القياس هو أحد الأساليب المهمة جدا في تطور البحث العلمي وفي توسيع وتعميق (دقة) الاجابة على التساؤل المطروح من قبل الباحث ، وهذا ينطبق أيضا ليس فقط على الأجهزة والطرق المختبرية وانما على الأساليب الأخرى كالاستبيان والتحري عن تاريخ ظاهرة ما وغير ذلك•

ولابد من الاشارة الى أن تحديد المشكلة التي يتصدى لها الباحث هي من المسائل المهمة جدا • فكلما كان التحديد دقيقا ، تكون الاجابة المرجوة من البحث أكثر دقة ومباشرة ، أما اذا كانت المشكلة واسعة أو متشعبة أو غامضة فالاجابات لايمكن أن تكون دقيقة وانما عمومية ويصعب مطابقتها ، بسبب ما تنطوي عليه من احتمالات غير محددة بوضوح •

ومن المعالم المهمة فيالخطوة التالية، ، هي وضع فرضية أو فرضيات بشأن المسألة موضوع البحث (٥) ، ووضع الفروض من الخطوات المهمة جدا في البحثالعلمي • ونعتقد بأن تحقيق « مبدأ » الاستقراء يبدأ من هذه الخطوة ، فالفرضية السليمة تستند الى توفر معلومات كافية وخبرة

معينة ، وبدون هذه المعلومات تكون الفروض سطحيـة وقد تـؤدي الـى متاهـات ، أي قد تكـون مضرة وتســد الطريق الـى الفرضيـة الصحيحة أو المقاربة للتوصل الى الفرضية الأدق •

قد تتطلب الفرضية تجميع أدلة أولية من خلال سير البحــث حول الموضوع • ويتوضح « الاستقراء » هنا من كـون الفرض هـو أحـدى الاحتمالات التي يمكن ربطها الى المعلومات الأولية المتوفرة • ولكون الأدلة غير حاسمة أو غير كاملة فقد يكون هناك أكثر من احتمال واحد مما يمكن أن يؤدي الى عدة فرضيات ، ولكن هذه ليست حالة مطلقة ، فهنـاك بحـوث لاتتطلب وضع فروض واختبارها ،ومثال ذلك البحوث الاستطلاعيـة أو الكشفية •

يمكن تصنيف البحوث من حيث طريقتها وأهدافها الى أشكـــال أو أنواع رئيسيـة كمـا يلي :

اولا : ـ البحث الوصفي :

وهو البحث الموجه للتعرف على واقع حالة (أو حالات) معينـة عـن طريق وصفها كما هي دو نالتدخل في الوقائع •

ويستند هذا البحث بالأساس على الملاحظة المباشرة أو غير المباشرة (أي باستخدام الآلات والأجهزة) والقياسات ، في محاولة التوصـل الـى أدق التفاصيل الكيفية والكمية ولايتضمن ذلك ممارسة لوضع الفروض العلمية ، وضمن هذا النوع تندرج أيضا الدراسات المسحية والاستبيانات وغير ذلك • والبحث الوصفي قد ينتهي بنتائج ليست وصفية محضة كاستنتاج عـلاقات معينة بين الظواهر (الداخلية والخارجية) أو ابراز الصلة بمتغـير معـين ، كما أنهـا وسيلة الى تصنيف الظواهر •

وهذه النتائج تنقل البحث العلمي الوصفي الى مستوى آخر ، هو مستوى افتراض العلاقات والأسباب وربط الظواهر ضمن صيغة علاقة تتجاوز الوصف المحض .

ثانيا : البحث التجريبي :

يتميز البحث التجريبي ، بتحديد ظروف التجربة من قبل الباحث ،وتحقيق السيطرة النسبية على هذه الظروف والمتغيرات الداخلة فيها . قد يكون جانب من البحث هو الوصف الدقيق لما يحصل في التجربة ولكن الأساس هو السيطرة على الظروف والتحكم في المتغيرات المؤثرة وفق الهدف أو الفرض من التجربة ، التي تجري وفق تخطيط وفكرة مسبقة ، فالبحث التجريبي يستند أساسا الى معلومات وبحوث وصفية أو تجريبية مسبقة مما يقود الى تساؤلات تهدف الى الاجابة عليها ، غالبا مايكون هدف البحث التجريبي هو الكشف عن العلاقات بين الظواهر أو المتغيرات المسببة أو النتائج أو تحديد تأثير عامل منفرد على ظاهرة ما أو في تحديد النتائج المتعلقة بأثره سواء بطريقة التلازم في الوقوع أو التخلف في الوقوع أو طريقة التفسير النسبي أو بالصيغة الاحصائية التي يمكن التوصل من خلالها الى علاقات دقيقة ، وهذا يساعد البحث العلمي على النظر الى العلل والعلاقات ، وبه يمكن اختبار الفروض السابقة المستنتجة من معلومات سابقة أو أولية . فضلا عن الانتقال بالمعرفة من الوصف المحض الى اعادة تشكيل ظروف التجربة أو اختبار تراكيب وصيغ نظرية أو تقنية معينة . ويساهم في تعميق قدرة المعرفة على التفسير الذي هو أحد أهداف البحث العلمي .

ثالثا : ـ البحوث النظرية :

وهي البحوث التي لاتتناول دراسة وقائع وأحداث محددة وانما تتناول معاملة معلومات أو مفاهيم أو اجراء مناقشة لفرضيات على ضوء المعلومات المتوفرة أو تحليل النظريات والفرضيات واستنتاج فرضيات أخرى بطرق

رياضية أو منطقيـة ، ويشمل ذلك بحوث الرياضيات أو الفيزياء أو المنطق أو البحوث النظرية للعلوم المختلفة .

رابعا : ــ البحـوث (غـير المباشـرة) :

ونقصد بذلك البحوث التي تهدف الى دراسة حالة أو حقيقة لاتتوفـر من ظواهرها الا النزر القليل . وخير مثال على ذلك البحوث التأريخية ، ليس بمعنى التدوين التأريخي للوقائع الحاضرة بل البحث للوصول الى حقائق أو أحداث حصلت في الماضي ولايتوفر للباحث الاطلاع المباشر على الحالة وانما يحاول استنتاجها من خلال الآثار والمخلفات ، ليركـب من ذلـك صـورة مقاربـة لما حصـل في الماضـي .

ويمكن ادراج بعض البحوث في مجال (علم النفس) ضمن هذا الصنف رغم أنه تجري حاليا بحوث كثيرة تنطبق عليها مواصفات البحـث الوصفي أو التجريبي الا أن هناك الكثير من المعلومات تعتمد على الاستـدلال غـير المباشـر لتحـديد الحالة .

والبحث للانواع المذكورة يتطلب تصميم التجربة أو خطة البحث الملائمة وفق القواعد التفصيلية لطرق البحـث في الاختصاصات المختلفة .

٣ ــ شـروط التجربـة العلميـة :

ولابد هنا من الاشارة الى بعض الشروط المهمة في التجربة العلمية :

١ ــ تطابق الطرق والوسائل المتبعة مع غايات التجربة ، وأهميـة اتقان أساليب البحـث .

٢ ــ أهمية مجموعات السيطرة التي يتطلبها البحث التجريبي ، أو تـوفر مجموعة سيطرة طبيعية تمثل الحالة السائدة غير المتأثرة بتغيرات العوامل قيد الدراسة ، وتكون تحت نفس شروط وظروف مجموعات التجربة التي يجري عليها اختبار عامل منفرد (أو مجموعة محدودة من العوامل) .

وهذه النتائج تنقل البحث العلمي الوصفي الى مستوى آخر ، هو مستوى افتراض العلاقات والأسباب وربط الظواهر ضمن صيغة علاقة تتجاوز الوصف المحض .

ثانيا : البحث التجريبي :

يتميز البحث التجريبي ، بتحديد ظروف التجربة من قبل الباحث ،وتحقيق السيطرة النسبية على هذه الظروف والمتغيرات الداخلة فيها . قد يكون جانب من البحث هو الوصف الدقيق لما يحصل في التجربة ولكن الأساس هو السيطرة على الظروف والتحكم في المتغيرات المؤثرة وفق الهدف أو الفرض من التجربة ، التي تجري وفق تخطيط وفكرة مسبقة ، فالبحث التجريبي يستند أساسا الى معلومات وبحوث وصفية أو تجريبية مسبقة مما يقود الى تساؤلات تهدف الى الاجابة عليها ، غالبا مايكون هدف البحث التجريبي هو الكشف عن العلاقات بين الظواهر أو المتغيرات المسببة أو النتائج أو تحديد تأثير عامل منفرد على ظاهرة ما أو في تحديد النتائج المتعلقة بأثره سواء بطريقة التلازم في الوقوع أو التخلف في الوقوع أو طريقة التفسير النسبي أو بالصيغة الاحصائية التي يمكن التوصل من خلالها الى علاقات دقيقة ، وهذا يساعد البحث العلمي على النظر الى العلل والعلاقات ، وبه يمكن اختبار الفروض السابقة المستنتجة من معلومات سابقة أو أولية . فضلا عن الانتقال بالمعرفة من الوصف المحض الى اعادة تشكيل ظروف التجربة أو اختبار تراكيب وصيغ نظرية أو تقنية معينة . ويساهم في تعميق قدرة المعرفة على التفسير الذي هو أحد أهداف البحث العلمي .

ثالثا : ـ البحوث النظرية :

وهي البحوث التي لاتتناول دراسة وقائع وأحداث محددة وانما تتناول معاملة معلومات أو مفاهيم أو اجراء مناقشة لفرضيات على ضوء المعلومات المتوفرة أو تحليل النظريات والفرضيات واستنتاج فرضيات أخرى بطرق

رياضية أو منطقيـة ، ويشمل ذلك بحوث الرياضيات أو الفيزياء أو المنطق أو البحوث النظرية للعلوم المختلفة .

رابعا : ـ البحـوث (غـير المباشـرة) :

ونقصد بذلك البحوث التي تهدف الى دراسة حالة أو حقيقة لاتتوفـر من ظواهرها الا النزر القليل . وخير مثال على ذلك البحوث التأريخية ، ليس بمعنى التدوين التأريخي للوقائع الحاضرة بل البحث للوصول الى حقائق أو أحداث حصلت في الماضي ولايتوفر للباحث الاطلاع المباشر على الحالة وانما يحاول استنتاجها من خلال الآثار والمخلفات ، ليركـب من ذلـك صـورة مقاربـة لما حصـل في الماضـي .

ويمكن ادراج بعض البحوث في مجال (علم النفس) ضمن هذا الصنف رغم أنه تجري حاليا بحوث كثيرة تنطبق عليها مواصفات البحـث الوصفي أو التجريبي الا أن هناك الكثير من المعلومات تعتمد على الاستـدلال غـير المباشـر لتحـديد الحالة .

والبحث للانواع المذكورة يتطلب تصميم التجربة أو خطة البحث الملائمة وفق القواعد التفصيلية لطرق البحـث في الاختصاصات المختلفة .

٣ ـ شـروط التجربـة العلميـة :

ولابد هنا من الاشارة الى بعض الشروط المهمة في التجربة العلمية :

١ ـ تطابق الطرق والوسائل المتبعة مع غايات التجربة ، وأهميـة اتقان أساليب البحـث .

٢ ـ أهمية مجموعات السيطرة التي يتطلبها البحث التجريبي ، أو تـوفر مجموعة سيطرة طبيعية تمثل الحالة السائدة غير المتأثرة بمتغيرات العوامل قيد الدراسة ، وتكون تحت نفس شروط وظروف مجموعات التجربة التي يجري عليها اختبار عامل منفرد (أو مجموعة محدودة من العوامل) .

٣ ـ أهمية التدوين الدقيق والموضوعي لمسار التجربة ونتائجها وبكل تجرد وكما هي من دون اضافات تفسيرية ومن دون تدخل لآراء الباحث او عواطفه أو رغباته في وصف النتائج .

٤ ـ مناقشة النتائج ومقارنتها مع النتائج التي حصل عليها باحثون آخرون وكذلك تحليلها بالتناسق مع بعضها (ككل) للتوصل الى استنتاجات أعم وأشمل بما يفيد في التقدم العلمي وفي تكوين المفاهيم أو طرح فروض جديدة للقضايا التي لازالت تحتاج الى استمرار البحث فيها ، كما ستكون النتائج مقدمات يمكن معاملتها رياضيا أو منطقيا وفق نظام الاستدلال الاستنباطي الرياضي المنطقي .

٥ ـ ان مقياس موضوعية اجراء البحث هو امكانية تكرار التجربة ، أي أن يضمن الباحث ادعاءه بأنه عند تكرار التجربة بنفس الظروف الموصوفة سيحصل على نفس النتائج (أو نتائج مقاربة) ، وهذا يعتبر شرطا أو صفة أساسية من صفات البحث العلمي .

وفي ضوء ذلك فان البحوث الرياضية والمنطقية في معظمها لا تتضمن « الاستقراء » وكذلك جانب من البحوث الوصفية ، غير أن الاستنتاجات قد تتضمن عبارات وأحكام ليست متضمنة مباشرة في الملاحظة العابرة أو التجريبية ، وانما هي استنتاج أو استدلال غير مباشر .

وفي رأي بعض الفلاسفة والمناطقة أن العلم المحض يجب أن يكتفي بالوصف أو بما تتضمنه طريقة الاستدلال الرياضي المنطقي أما الاستنتاج مما هو غير متضمن بالوثائق أو الملاحظات ذلك مدعاة الى عدم الدقة ولا يمكن الثقة بمصداقيته او يقينيته .

ومن هنا جاء الاعتراض على « الاستقراء » لأنه يتضمن تجاوزا لحالات الملاحظة (٦) .

والاستقراء ــ بصيغته الكاملة ــ يتضمن مراحل مواكبة لمسار البحث العلمي : يبدأ من وضع الفروض ثم تحسين الفروض واختصارها ، ثم تعزيز الفرض الأقوى بواسطة الأدلة والقرائن وأخيراالتحقق من الفرض أو الفروض.

٤ ــ ضرورة الاستقراء :

هل أن المعرفة التي نحصل عليها بواسطة الاستقراء صادقة ؟

بدون الاستقراء تبقى معرفتنا جزئية مبعثرة لايمكن ربط أجزاءها ولا التعرف على علاقاتها أو مسببات الظواهر فيها ، وينعدم الأساس لمعظم القوانين والنظريات ، وحتى التصنيف يصبح غير قائما ، ويصعب التفسير وتضيع أهداف العلم .

بدون الاستقراء لايمكن التصميم والتنبوء ويتضاءل العلم الى أدنى حد. والاستقراء ليس شكلاً دخيلاً على العلم والمعرفة بل هو متضمن في فهمنا لأي ظاهرة لان عملية التعلم بضمن ذلك (اللغة) لدى الانسان عموما مبنية على التعرف على التماثلات وتصنيف الاشياء ولاحداث وصياغة العلاقات على ضوء ذلك .

والأسس التي يرتكز عليها الاستقراء هي :

أولا :ــ تشابه الأشياء «والظواهر» المتماثلة ، ولايعني ذلك فقط التشابه الشكلي الظاهري .

وهذا هو الأساس ذاته لتصنيف الأشياء ، ويكون في صيغته المتقدمة مبني على معرفة تركيب أو مكونات الأشياء والظواهر .

ثانيا :ــ وجود صلات وعلاقات بين الأشياء والظواهر والاحداث ،يعبر عنها بصيغ معينة كالصيغ الرياضية والقانونية والمنطقية ، هي علاقات تتسم بالثبات .

ثالثا :ـ لكل ظاهرة أو حدث مسبباته ، أي العوامل التي تسبق الظاهـرة أو الحدث وتعتبر ضرورية وكافية لحصول الحدث والظاهرة وكذلك فان لوحدات الأشياء (الفيزيائية خاصة) مكوناتها (من وحـدات أساسية وبعلاقات معينة) • ولكل ما يصنف بأنه يعود لنفس الصنف له نفس المواصفـات المكونـة •

رابعا : في الحالات المحددة تحديدا واضحا يمكن صياغة عبارات أو قضـايا يمكن الحكم بشأنها بأنها صادقة أو كاذبة • ولكن في حالات متشابكة تتداخل فيها عوامل كثيرة يصعب حصرها أو تحديدها بشكل كامـل، وبالتالي يتعذر صياغة عبارات يقينية بشأنها ، وانما يمكن التوصل الى صيغة احتمالية تتمتع بدرجة ما من الرجحان ، ويمكن تدعيم الرجحان أو الاحتمالية بزيادة أو بتعزيز العوامل الساندة او المدعمة ، ويمثل ذلك الرياضيات الاحصائية ، التي تمكن من احتساب درجة الاحتماليـة، فهذه الصيغة معتمدة ومستندة الى رياضيات مقبولة (٧) •

ويلعب الاستقراء دورا هاما في العلم والمعرفة عموما ، وقد أوضـح دوره الأساسي هذا العديد من الفلاسفة والمفكرين (٨) • وقد طور طرقـه وأساليبه العديد من المعنيين في المنهج العلمي منذ بيكون وجورج ستيوارت مل وجون ديوي حتى رسل ورايشنباخ وغيرهم كثـيرون • ولكن بعـض المناطقـة يبدون قلقهم ازاء ناحيتين : الاولى ، هي بحكم أن الاستقراء ينتقل من الحالات المحـدودة الى التعميم لحالات لم يجـر احصاءها ، فانه معرض الى المخاطرة بتقديم معرفة غير يقينية ، أما الناحية الثانية ، فان الانتقال مـن الوقائع الملاحظة الى الحالات غير المعروفة يصعب وضع حدود له • اذ يمكن أن يطلق العنان للخيـال ليبتعد كثيرا عن الوقائـع ، أي عدم وضوح الضوابط التي تمنع ان تكون الاستنتاجات خيالية غير واقعية (ميتافيزيقية) وقد تكون أوهاما كاذبة • رغم ذلك فان البديل للاستقراء هو بعثرة المعرفة واختصارها

الى نـوع من اللاأدرية أو نصف ـ اللاأدريـة • وسنناقش فيما يلـي بعض جوانب الاعتراضات والآراء التي تدعو الى التخلي عن المنهج الاستقرائي •

لقد قلنا بان الاستقراء يبدأ بالفروض وينتهي بالتحقق ، حيث « للفرض العلمي » دور مهم ، كمرحلة لتنظيم المعلومات بالتركيز على ماهو جوهري بما يربط العناصر الأساسية في نطاق اطار أكثر عمومية وقابلية للتطبيق على حالات عديدة • ويمكن الافادة منه في تقديم التفسير أو التنبوء المستقبلي •

ودورا لفرض يختلف بالنسبة لكل نوع من نماذج البحث العلمي ، فهو في مستوى أقل بالنسبة للبحث الوصفي ، بينما يحتل مكانا كبيرا في البحوث غير المباشرة أو في تركيب نتائج البحوث التجريبية لافتراض نظريات اكثـر شمولية • ويمر التعامل مع الفرض بمراحل ثلاث : في المرحلة الاولى قـد يكون الفرض هو صيغة أولية مبنية على المعرفة السابقة للبحث ، وفي المرحلة الثانية هي تعديله «او حتى وضعه مجددا» أثناء سير البحث على ضوء بعـض المعطيات ، والتعديل قد يتضمن صياغة أكثر تحديدا ودقة • والمرحلة الثالثة هي ما يطلق عليه مرحلة اختبار الفرض والتحقق من صحته •

والاختبار قد يكون بمراحل وليس باختبار واحد يعطي نتيجة حاسمة ، وكل مانحصل عليه في المرحلـة الأولى من الاختبار هو التعزيزات الكافية لبقاء الفرض وبأن المعلومات المتوفـرة تؤيـده ، وقد تـزداد الأدلـة السائدة له وبالعكس قد يظهر خطأه وعليه يتم التخلي عنه ، وعلى العموم فان المرحلتـين الأوليتين هما مرحلة مطابقة الوقائع والمعلومات مع صيغة الفرض المقترحة ، وهذه المطابقة هي نوع من الاستقراء الأولي •

• ــ سبل التوصـل الـى الفروض :

ان وضع الفروض ليس عملية آلية ، بل أنه نشاط ذهني وعمل عقلي فيه نوع من الابداع ويتطلب خبرة وتفتحا ذهنيا ومحاكمة عقلية •

وقد تكون هناك فروض اعتباطية ليست مرتبطة بالواقع ، ولكن الفروض العلمية يجب أن تستند الى الوقائع والى معرفة وخبرة وما يجعل الفرض جزءا من الاستقراء العلمي ، ان هذه الفروض تستند الى معطيات الواقع ممزوجة مع المعلومات المتراكمة لدى الباحث التي تلعب دورا في « الايحاء » اليه بفروض أو فرض معين • ويتم تعديل هذه الفروض على ضوء المحاكمة العقلية في عملية المطابقة مع الوقائع والمعلومات • وذلك قد يؤدي الى تحديد الفروض الممكنة ، وتحسين الصياغات أو جعلها بصيغ رياضية أو احصائية ، مما يقربها من الفهم ويسهل فحصها واختبارها •

اذن في الفرض العلمي تتوفر سمتان : سمة كونه فعالية عقلية وليس وصفا محضا للوقائع او الاحساسات ، فهو يتجاوز الوقائع الى صيغ ومفاهيم أعم وأشمل كاقتراح صيغة قانون رياضي •• ومن ناحية ثانية فان الفرض العلمي مبني ومستند الى الوقائع والمعطيات الحسية بصورة مباشرة أو غير مباشرة •

ان طريقةصياغة الفروض ، وعلاقة ذلك بالوقائع وبامكانية اختبار هذه الفروض تشكل أهمية كبيرة في التفريق بين « العبارات او القضايا العلمية »و«القضايا غير العلمية» • فعلينا أولا التفريق بين الاقتراحات أو الافكار التأملية الصرفة غير المستندة على الوقائع ، ولنطلق عليها « الافتراضات » الاعتباطية وبين الفروض العلمية التي تستند الى وقائع محددة وبصيغة يمكن اختبارها أو يمكن استنتاج نتائج منها لها ما يقابلها في الواقع أو يمكن فحصه (أي مايطلق عليه ذات محتوى تجريبي) • وقد جرت العادة على استعمال (مثلا) تصنيف العبارات الى (١) مقولات الملاحظة المباشرة • وهذه عادة عبارات وصفية و (٢) مقولات نظرية ، وهذه ليست على علاقة مباشرة بالملاحظة ولكنها تتناول استنتاج صيغ نظرية كالقوانين والنظريات (٩) •

ولكن هناك اعتراضات جوهرية على هذا التقسيم ، فحتى عبارات الملاحظة تتضمن الكثير من المفاهيم النظرية المستخلصة من التجربة أو من مجموعة كبيرة من الملاحظات بواسطة التعميم ، وعليه يصعب وضع حد ناصل بين ماهو عبارة ملاحظة أو عبارة نظرية (١٠) .

وفي الاستقراء العلمي ، يكون الفرض مرحلة أولية مهمة ولكنها مجرد خطوة أولى وليست خطوة نهائية في عملية التوصل الى معرفة علمية دقيقة. وهذه الخطوة ليست آلية وانما تتضمن ابداعا وخيالا عقليا ، وبرغم ذلك يشترط في الفرض العلمي :

(١) أن يتضمن تحديدا واضحا للمتغيرات ولطبيعة واتجاه العلاقة بين المتغيرات .

(٢) مطابقته مع الوقائع أو استناده الى هذه الوقائع (ذات الصلة) والمعلومات الموثقة .

(٣) أن يكون متسقا مع الحقائق وغير متناقض .

(٤) أن تكون صياغته بعبارات واضحة ذات دلالات محددة وتتسم بالدقة وفي الحالات « المثالية » يمكن استعمال لغة الرياضيات في تلك الصياغة.

(٥) أن يتضمن قابلية التحقق والاختبار ، سواء من الصيغة ذاتها أو مما يستنتج منها بطريقة المنطق الاستدلالي أو الرياضي .

وهذه المواصفات هي أيضا أسس التفريق بين العبارات أو المقولات العلمية واللا علمية . غير أنه في الصياغات النظرية ذات المستوى الأعلى قد لاتتحقق هذه الشروط كلها بصورة مباشرة ، ولكن تبقى ضرورة تضمين أية صيغة نظرية علمية على امكانية استخلاص نتائج يمكن مطابقتها مع الوقائع .

إن التأكيد على كون الفرض مرحلة أو خطوة أولى .. ليست نهائيــة يعتبر من ميزات المنهج العلمي ، وكل منهج يعتبــر الفرض بمثابة حقيقة نهائية قبل التثبت من الأدلة والأسانيد وقبل التحقق ، قد يؤدي الى اعتقادات غــير علمية . كما أن اعتبار أن « عملية الاستقراء » تنتهي بوضع الفرض يجعلــه قاصرا عن التوصل الى معرفة موثوقــة .

والمرحلة التالية ، هي مرحلة الاختبار والتحقق ، وللتحقق أشكال وأوجه عديدة ، فقد يتم ذلك من خــلال الأدلة المسحية والوصفية أو بواسطة التحليل الرياضي الذي يؤيد الفرض أو يبرهن عليه ، أو قد يكون ذلك من خــلال التجربة المختبرية المصممة لفحص الفرض بصورة مباشرة أو غير مباشرة (أي من خلال الاستدلال بواسطة الاستنباط الى نتائج يمكن التحقق منها فعليا).

وغني عن القول ان التحقق من كافة الفروض و (النظريات) ليس ممكنا، كما أن نتائج التجارب والقرائن قد لاتكون حاسمة في فحص الفرض أو في تأييد فرضية معينة دون منافستها .

لقد أكدت فلسفة الوضعية المنطقية (التجريبية) على أهمية « التحقيق » واعتبرت ذلك شرطا ضروريا للمعرفة العلمية (١١) . فلقد حاولت (جماعــة فينا) وضع شروط ومواصفات المعرفة العلمية في مقابل المعرفة التى لاتتصف بذلك ، في أن تتوفر في المقولة العلمية ما يلي :

(١) صياغة المقولة لغويا بصورة دقيقة بحيث يكون معنى العبارات واضحا ومحددا وله دلالات في الواقع الحسي .

(٢) استبعاد الميتافيزيقيا — وهي العبارات الخاليــة من المعنى التــي ليس لهــا ما يقابلهــا في الواقع الحسي.

(٣) قابليتهــا للتحقــق .

وهذه شروط مهمة فعلا ، ولكن هناك غموض بشأن تعبير « الميتافيزيقيا» وذلك لتباين المفاهيم التي يستعمل فيها هذا التعبير ، فاذا كان المقصود هــو

المفاهيم الخيالية أو التعابير الشعرية أو المفاهيم اللاهوتية التي لاتتعلق بالواقع الذي يدرسه العلم ، فذلك مفهوم واضح ولكن أيضا قد يعني أي جهد عقلي أو اضافة عقلية غير متضمنة في المعطيات الحسية المباشرة ،كالتعميم ، وهذا يحصر المعرفة بمفردات حسية متفرقة ، أما الناحية الأخرى فقد لاتتوفر وسائل كافية للتحقق من المقولات •

وقد استبدل «بوبر» فكرة «التحقق» بفكرة قابلية الدحض (١٦) ، أو مبدأ التكذيب الذي يراه ضروريا لحل المشكلة التي يخلقها الاستقراء •

و «بوبر» من أبرز الفلاسفة المعاصرين المعنيين بفلسفة العلم الذين ينادون برفض مبدأ الاستقراء ، مستندا الى آراء « هيوم »[١٢] و « بورن » ليخلص الى أن هناك مشكلة منطقية تتمثل في : اكتشاف هيوم بأنه لايمكن تبرير القوانين عن طريق الملاحظة والتجربة لكونها تتجاوز الخبرة •

في حين ان الملاحظة والتجربة هي التي تقرر قبول أو رفض المقولات والفروض والنظريات العلمية • فبرأيه لايوجد أي أساس منطقي للانتقال من الخاص الى العام أو الى الاستدلال غير المباشر

وبكون القوانين والتعميمات تتجاوز ماهو متضمن في الخبرة أو في الواقعة ذاتها ، فليس هناك من سند منطقي (بالمعنى الصوري الصرف) لاستنتاج صيغة عامة من ملاحظات منفردة • وعليه يرى «بوبر» ضرورة التخلص من الاستقراء وتبعا لذلك ينفي مثلا وجود قاعدة منطقية للقول : ان الشمس ستشرق غدا استنادا الى أنها في الماضي أشرقت كل يوم ولمئات الملايين من السنين (١) •

فأحداث الماضي لاتكفي في رأي هيوم وبوبر للجزم بما سيحدث في المستقبل ، وخواص الأشياء كما لاحظناها في الماضي (من الناحية المنطقية الصرف) ليست كافية للقول بأنها ستستمر كذلك ، ولكن هيوم يقول بأننا نحتاج الى الاستقراء رغم عدم وجود أساس منطقي كاف له وكذا بالنسبة للفيلسوف برتراندرسل • في حين أن بوبر وآخرون (مثل ناجل ، وكون ، غيرهم)

يرون أن الاستقراء غير ضروري ، فبوبر يقول أن كل المعرفة ــ قبل اختبارها تجريبيا ــ هي معرفة افتراضية غير موثوقة ، والطريقة المنطقية للتحقق من هذه المعرفة هو تعريضها للفحص ومحاولة التكذيب مما يؤدي الى حذف الافتراضات التي كذبتها التجربة ، وبالتالي ما يتبقى من الفرضيات غير المكذبة من خلال الاختبارات هي الأفضل • وبواسطة مبدأ التكذيب والغاء كل شيء آخر ، يرى أنه يحل المشكلة المنطقية للاستقراء • ولكن بوبر يقول في مكان آخر هناك افتراضات أفضل من أخرى ، في اشارة الى تفضيل بعض الافتراضات التي تحتوي على ما يطلق عليه كمية معرفية كبيرة •

٦ ــ نقد منهج بوبر :

وتعليقا على موقف «بوبر» نشير الى الملاحظات التالية :

(١) ان المنهج الذي يعرضه بوبر ليس هو ذات المنهج أو الخطوات التي يتبعها الباحث العلمي في تجميع معلوماته وبناء فرضياته والتحقق منها•

(٢) ان طريقة بوبر لاتقدم أية توضيحات أو قواعد لكيفية التوصل الى أفضل الفروض سوى شرط واحد هو قابليتها للدحض أو التكذيب (أي أن تصاغ وفق هذا الشرط) •

(٣) ان هناك خلط بين الاختبار والتكذيب : فهناك أدلة معززة وليس دائما عدم التكذيب • ورغم أنه بالمفهوم المنطقي لاتعتبر أدلة التأييد مهما تكن قوية عاصمة لأية مقولة من أن تكون خاطئة وأن للادلة المضادة قوة كبيرة في تكذيب الفرض • غير أن تكذيب فرضيات معينة لا يعني تأييد فرضية أخرى بعينها •

(٤) ان الاختبار أو التحقيق (سواء عن طريق تأييد التنبوءات المستنبطة من الفرض من خلال عدم التكذيب) هو جزء مهم وأساسي في عملية الاستقراء ذاتها ، التي يجب أن تؤخذ كخطوات مكملة بعضها البعض • وأن القول بمبدأ التحقق أو مبدأ الدحض فقط هو تجزئة لعملية واحدة متكاملة •

(٥) في الواقع الفعلي ليس من الممكن دائما تكذيب أو اثبات فرض معين فالكثير من الفروض والنظريات يصعب تكذيبها •

(٦) رغم أن بوبر يهمل كيفية التوصل الى الفرض ، وأهمية الأدلة والأسانيد التي يتضمنها الاستقراء ، غير أنه يعود الى فكرة أن بعض الفروض أفضل من غيرها ، لاحتوائها على « كمية معرفة » أكبر ، وهذا يناقض مبدأه الأساسي (١٢) •

٧ ـ نقد آراء هيوم :

اذا كان ما جاء به «بوبر» لايبرر التخلي عن الاستقراء في البحث العلمي فماذا بشأن المشكلة المنطقية التي أطلقها «هيوم» ؟

أولا : ان تجريبية «هيوم» تعبر عن موقف فلسفي معين ، ينفي قدرة العقل على التأويل ، والتركيب من المعطيات المحدودة • ونحن اذا دققنا هذا الاتجاه فان ذلك سيقودنا شيئا فشيئا الى الذرية الحسية ، وبمعنى عدم استطاعتنا منطقيا تجاوز الاحساسات الأولية • فأنكار التعميمات يمكن أن يطال الادراك وتكوين المفاهيم أو امتلاك القدرة التفسيرية للواقع، وهذا يقودنا الى انكار المعرفة ، وبالتالي لايمكننا اعتبار موقف هيوم مجديا في البحث العلمي ، من الجانب الآخر يجب أن نقر بأن الانسان كائن بايولوجي يمتلك قدرة عقلية تمكنه من تركيب الصورة من مكوناتها • وذلك هو أساس التعلم والمعرفة عند الانسان •

ثانيا :ـ قد يكون هناك مشكلة من منظور المنطق الصوري أو الشكلي ، الذي يقسم القضايا الى أما قضايا صادقة (يقينية) ، أو قضايا كاذبة، ويهتم بالطرق والأساليب التي تضمن معرفة يقينية أو صادقة بشكل خالص من الوجهة المنطقية • ووفق هذا المنطق فان أية قضية أو عبارة لكي تكون صحيحة (او صادقة) يجب أن تكون مشتقة اما من عبارة أو قضية معينة ، أو أن القضية الجديدة متضمنة في الأولى بحيث يمكن،

من خلال تحويل الشكل اللفظي للعبارة بطرق التحويل المنطقية (الاستدلال المباشر) الى صيغة جديدة • كما يمكن بطرق القياس المنطقي التوصل الى عبارة من مقدمات تمثل أكثر من عبارة واحدة، وعدا ذلك هناك الاستنباط بالمنهج الاستدلالي المباشر أو الرياضيات أو المنطق الرمزي •

والصدق في هذا المنظور هو صدق منطقي ، والصح والخطأ يتوقف على صحة المقدمات •

والمنطق هنا يتناول تطبيق قواعد الاستنتاج ويكون بالتالي غير معني بمدى مطابقة هذه القضايا مع الحقائق •

ولكن الحال في العلوم التجريبية مختلف ، فنحن ازاء دراسة وقائع وأحداث بهدف وصفها والتوصل الى الكشف عن مسبباتها وعلاقتها •

وقد عبر كانت (١٣) عن الاختلاف بين هذه الحالات بتصنيفه للقضايا الى:

(١) قضايا تحليلية : وهي القضايا التي تحدد معناها ضمن حد موضوعها، أي معنى حد الموضوع يتضمن حد المحمول • (مثل القول « كل الخيول هي حيوانات لبونة ») •

(٢) القضايا التركيبية : التي لايتضمن حد الموضوع فيها حد المحمول ، وانما يكون الأخير اضافة من الوقائع والأحداث •

ولاستخلاص المحمول من الوقائع ، قد لاتكفي «ملاحظة» مباشرة ، وانما قد يكون ذلك استنتاجا من ملاحظات عديدة •

واذا كان بالامكان ، منطقيا ، الحكم بصحة أو بصدق قضية ما من النوع الأول من خلال تحليلها منطقيا ،فان الحال في القضايا الثانية يختلف بعض الشيء ، فنحن أمام مستويات مختلفة مما يستخلص من الوقائع والتجربة وامكانية الحكم بيقينية القضية • فالقضايا التي تتضمن الملاحظة المباشرة

المتطابقة مع الوقائع وحقائق التجربة (سواء في الحياة اليومية أو الملاحظة المختبرية) يمكن أن تعتبر حقائق مقبولة أو حقيقية ، على الرغم من أن ظروف الملاحظة قد تؤثر على النتائج بما تمثله من احتمالات الخطأ في الحواس والأجهزة وغير ذلك •

أما القضايا والمقولات التي تدخل عناصر افتراضية أو مفاهيم نظرية فانها أقل يقينية •

وهكذا فان التجريد والتعميم أو اكمال الصورة المستنتجة من معلومات أولية أو معطيات حسية محدودة يجري تركيبها للتوصل الى صورة مقبولة للظاهرة ، يتضمن اضافات يقدمها الذهن أو العقل لغرض التعرف على مايكوّن الظاهرة • هذا النوع من المعرفة لايقدم معرفة صادقة بشكل مضمون مئة بالمئة • ولكن المعرفة الأكثر احتمالا أو الصورة الأقرب الى الحقيقة •

ان معظم المعرفة النامية المكتسبة تتجاوز المعطيات الحسية الصرفة وتضم عددا كبيرا من المفاهيم والصيغ النظرية التي لاتمثل الأحداث والوقائع الاجزء منها • ولكنها تبقى على الارتباط مع الواقع الذي تستند اليه ، وهي بنفس الوقت ، من خلال التعميم والتنسيق والتحليل ، تؤدي الى تركيبات نظرية أكثر شمولية •

والمعرفة العلمية على ضوء الشمولية التفصيلية لكل ما تمثل ، ولكونها تتضمن عناصر تخيلية (عقلية) لاكمال الصورة التي تقدمها المعطيات الحسية المحضة ، ولأن الانتقال في التعميم من جزئيات محدودة الى مايتسع لمجموع كبير من المكونات والظواهر • هذه المعرفة لاتجسد الحقيقة الكاملة أو المطلقة، وانما « حقيقة » مقربة بدرجات متفاوتة •

فما يهدف اليه البحث العلمي اذن هو حقيقة تقريبية وليست حقيقية (منطقية) مطلقة • بهذا فان الأقوال التي مؤداها ان الاستقراء لايقدم معرفة مضمونة أو يقينية لاتعد كافية للقول برفضه ، لأن المعرفة العلمية لاتكون

نهائية ، ومع ذلك لابد من القول انه كلما كان الاستنتاج عن طريق الاستقراء مقربا الى الحقائق فانه لايمثل تجاوزا كبيرا ،أو قفزة نظرية واسعة ، وذلك يزيد من الثقة بصدق الاستنتاج .وهذا مما يدعى بالمحتوى التجريبي للعبارة أو القضية ، فكلما كثرت الوقائع والأحداث والملاحظات التي يستند عليها التعميم أو التجربة أو الاستنتاج كلما كان أكثر ثقة ودقة .

أما اذا كانت العبارة أو المقولة تبتعد عن الوقائع ولاترتبط بها الا عبر مفاهيم وسطية محدودة فان ذلك يجعلها أكثر عرضة لعدم الدقة في عرض الحقيقة وخاصة انها ستحتوي على اضافات كثيرة غير مستمدة من الأدلة الواقعية ولكن من الخيال .

٨ ـ خلاصة البحث :

ان الاستقراء كشكل من أشكال الاستدلال غير المباشر ويتضمن الانتقال من الوقائع الى النظريات والقوانين والتعميمات ، جزء مهم في منهج البحث العلمي ورغم أنه قد يتضمن «قفزة منطقية» ، الا أنه طريق الوصول الى الفروض العلمية التي تشكل نقطة التحول في البحث للمعرفة المضافة . وهذه المعرفة ليست نهائية ، فالعلم لايعرف اليقين النهائي لمفردة واحدة فكل شيء في العلم معرض للمراجعة في أي وقت . وهكذا فان الفلسفة التي تتفق مع مسار حركة العلم اضافة الى كونها واقعية ومنطقية لابد أن تكون منفتحة وغير نهائية .

* * *

المراجـــــع :ـ

١ ـ كيمني : (الفيلسوف والعلم) ١٩٥٩ ، ترجمة الدكتور امين شـريف ـ مؤسســـة فرانكلـين ـ بـيروت ١٩٦٥ .

٢ ـ بوبر ، كـارل : (الافتراضـات والدحـض) ١٩٦٣
(Conjecturesand refutations)

٣ ـ توماس كوهن : (الصراع الجوهـري) ترجمة المهندس فؤاد الكاظمـي والمهندس صلاح سعدالله (دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد)١٩٨٩ .

٤ ـ ناجـــل :
E. Nagle: "Logic without metaphysics" 1954.

٥ ـ همل ، كارل ، جي : (فلسفة العلوم الطبيعية) ترجمة سامر عبدالجبـار المطلبي ـ (دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد) ١٩٨٣ .

٦ ـ قنصـوة ، صـلاح : (فلسفـة العلـم) . دار التنويـر ـ بـيروت (الطبعـة الثانيـة) ١٩٨٣ .

٧ ـ وليـــامز :
Williams, D. "The Ground of Induction".
(Harvard University pressM) 1974.

٨ ـ موي ـ بول : (المنطـق وفلسفة العلوم) ـ ترجمـة الدكتور فـؤاد حسن زكريا ـ (مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع) ١٩٨١ .

٩ ـ عبدالمعطي محمد ، علي : (المنطـق ومناهـــج البحث العلمي) ـ (دار الجامعـــات المصريـة) ١٩٧٧ .

١٠ ـ نيوتـن سميـث :
Newton - Smith, W. H. "The Rationality of science" 1981.

١١ ـ ياسين خليل : (مقدمة في الفلسفة المعاصرة) ـ (منشورات الجامعـة الليبيـــة) ١٩٧٠ .
(مركـز الانمـاء القـومي) .

١٢ ـ هيـــوم :
Hume, D. "A Treatise of Human Understanding".

١٣ ـ كنط (كنت) ، عمانوئيل : (نقد العقل المحض) ـ ترجمة موسى وهبـة
١٤ ـ فؤاد كامـل وآخرون (ترجمـة) : (الموسوعـة الفلسفية المختصرة) / مكتبـة النهضـة / بغـداد .

المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية لبني هاشم في مكة
«عرض وتحليل لبعض الاشكاليات»

الاستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح
استاذ التاريخ الاسلامي ـ جامعة الموصل
عضو المجمع العلمي

تمهيد :

تعتمد معظم الدراسات التي كتبت حول مقاطعة قبيلة قريش لبني هاشم وبني المطلب بصورة رئيسة على النص الذي اورده ابن هشام في كتاب السيرة النبوية ، نقلا عن ابن اسحاق[١] ، وذلك لأننا « لانعرف نصا غيره عن المقاطعة » كما يقول الدكتور صالح العلي في كتابه « محاضرات في تاريخ العرب » المنشور سنة ١٩٥٥[٢] .

ويذهب هذا النص الى ان قبيلة قريش حينما رأت « أن أصحاب رسول الله (ص) قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم ،وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله (ص) وأصحابه ، وجعل الاسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب على أن لاينكحوا اليهم ولاينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم . . . . . . فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنوهاشم وبنو المطلب الى أبي طالب بن عبدالمطلب ، فدخلوا في شعبه واجتمعوا اليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب، عبدالعزى بن عبدالمطلب الى قريش ، نظاهرهم »[٣] .

وان مما لاشك فيه القول ، أن النص المتقدم ذا أهميـة كبيرة في موضوع المقاطعة ، الا أنه من الصعب التسليم بأنه النص الوحيد في هذا المجال ، وذلك لأنه قد وصلتنا العديد من النصوص المروية عن عروة ابن الزبـير (٢٣ـ٩٤هـ/ ٦٤٣ ـ ٧١٢م)(٤) ، والزهري (٥١ ـ ١٢٤هـ / ٦٧١ ـ ٧٤١م)(٥) ، وموسى ابـن عقبـة (٥٠ ـ ١٤١هـ / ٦٧٠ ـ ٧٥٨م)(٦) ، علمـا بأن ابـن اسحاق (٨٥ـ١٥١هـ / ٧٠٤ـ٧٦٨م) وموسى بن عقبة قد تلمذا على يد الزهـري، وأن الزهري نفسه كان قد طلب العلم على يد عروة بن الزبير كما أن رواية ابن اسحاق الواردة أعلاه حول المقاطعة قد وصلتنا عن طريق ابن هشام ، وقد كنّا مضطرين الى الاعتماد عليها والاستفادة منها ، لأن السيرة النبوية لابن اسحاق كانت مفقودة . أما بعد العثور على بعض القطع المهمة منها وتحقيقها ونشرهـا في الرباط في سنة ١٩٧٦ ، فقد بات من الضـروري الرجوع اليهـا مباشرة ، وبخاصة وأن الجزء المنشور منها يحوي حديث المقاطعة بأكمله(٧) .

ان جمع ودراسة كافة المرويات والأخبار حول المقاطعة ، تلقـي بعـض الأضواء الجديدة على هذا الحدث الخطير في تاريخ العرب والدعوة الاسلامية، وتشير في الوقت نفسـه العديـد من الاشكاليات التي تحتـاج الى مزيد من الجهد من أجل تفسيرها ، وازالة مايكتنف بعض جوانبها من غموض وتناقض، وهو الأمر الذي ستحاول هذه الدراسة أن توفي جانبـا منـه في المحـاور الواردة أدناه :

نـص المقاطعـة :

تشير المصادر التاريخية الى أن قريشا قد كتبت صحيفة تتضمن أحكام المقاطعة ضد بني هاشم وبني المطلب ، وأنها قد قامت بتعليق تلك الصحيفة في الكعبة لاضفاء نوع من الحرمة والقداسة عليها* . الا أن مما يؤسف لـه ، ان

* ذكر البلاذري انه : «يقال ان الصحيفة لم تكن في الكعبة ، ولكنها كانت موضوعة على يد طعيمة بن عدي ، ويقال على يد ام ابي جهل ، وهـي اسمـاء ابنة مخربة التميمية » انساب الاشراف ، القاهـرة ، ١٩٥٩ ، ج١ ، ص ٢٣٥ .

أيا من تلك المصادر لم يحفظ لنا نص تلك الصحيفة ، وكل ما حفظته لنا عنها ، روايات حول مضمونها ،تتفق في النقاط الأساسية وتختلف في بعض التفاصيل.

فقد روي عن عروة بن الزبير أن بطون قريش اجمعوا أمرهم على أن لايخالطوا بني هاشم وبني المطلب «ولا يبايعوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم ، حتى يسلموا رسول الله (ص) للقتل »[٨].

وقد تابع كل منموسى بن عقبة[٩] ،وابن سعد[١٠] ، واليعقوبي[١١]، هذه الرواية في مضامينها الأساسية .

أما ابن اسحاق[١٢] ، وابن هشام[١٣] ، والطبري[١٤] ، فانهم يقدمون لنا رواية تتفق مع الرواية آنفة الذكر من حيث بيان أن المقاطعة قد شملت الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، الا أنهم لايذكرون في رواياتهم أن هدف المقاطعة المدون في الصحيفة هو تسليم الرسول (ص) الى المشركين لقتله .

ويبدو أن الصحيفة قد ربطت بين أحكام المقاطعة وهدفها ، كما ورد في المجموعة الأولى من الروايات ، وهي الأقدم عهدا من الناحية الزمنية ، الا أن روايات المجموعة الثانية قد أحجمت عن ذكر ذلك ، ربما الاعتبارات تتصل بأوضاع وقيم المجتمع العربي الاسلامي في الفترات اللاحقة لعصر الرسالة .

وان مما يؤيد هذا الاستنتاج أن ابن اسحاق قد اعترف ضمنا بوجود مثل هذا الهدف حينما ذكر أن بني هاشم أبو أن يسلموا رسول الله (ص) الى مشركي قريش لأنهم « أنفوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه »[١٥]. كما أن بن هشام يذكر صراحة ان بني هاشم وبني المطلب ، قد حالوا بين قومه « وبين ما أرادوا من البطش به »[١٦] .

اسباب المقاطعة :

مثلت المقاطعة ذروة المواجهة بين بني هاشم وبني المطلب من جهة وبقية البطون القرشية من جهة أخرى ، وتشير المصادر التاريخية الى أن الصراع بين

الطرفين لم يصل الى هذه النقطـة الحرجة الا" بعد توفر مجموعة من الأسباب المباشرة وغـير المباشرة لذلك •

ويبدو من استقراء الروايات التي بين أيدينا حول المقاطعة ان ما أورده ابن هشام عنها يمثل الأسباب غير المباشـرة لها • وذلك لأن قريشا شعرت بخطورة الموقف الذي ينتظرها نتيجة فشلها في منع الرسول (ص) من مواصلة الدعوة، ونجاحه في كسب بعض رجال قريش الأقوياء الى صفه مثل حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب ، اضافة الى حصول أتباعه الذين هاجروا الى الحبشة على حماية النجاشي ، مما قد يفسـح الطريق لاحتمال تدخل الحبشـة في الشؤون الداخلية لمكة • لذا فقد سعت قبيلة قريش لاسترجاع المهاجرين من الحبشـة من خلال البعثة التي أرسلتها الى النجاشي لاقناعه بعدم منح حمايته لمن هاجر الى بلده من المسلمين الا أن قريشا فشلت في هذا المسعى أيضا[١٧] •

ان مجمل هذه الأسباب قد ولدت لدى زعماء المشركين في مكة شعورا بضروزة الاقدام على خطوة كبيرة تحسم أسباب الصراع بينهـا وبين بني هاشم وبني المطلب ، وقد تمثلت هذه الخطوة في قرار المشركين قتل الرسول (ص)، وهنا يبرز السبب المباشر للمقاطعة • فقد جاء في العديـد من المصادر[١٨] أن « المشركين من قريش أجمعوا مكرهم وأمرهم على أن يقتلوا رسول الله (ص) علانيـة »[١٩] ، بعد أن فشلوا في استعادة المسلـمين الذيـن هاجروا الى الحبشـــة •

ولا تتفـق المصادر في ذكـر الكيفية التي أراد بها مشركو مكـة قتل الرسول (ص) ، فمنها ما يذكر ان ذلك تم من خلال محاولـة اقناع قومـه بأخذ ديته مضاعفة وتسليمه للمشركين ليقتله رجل من غير قريش[٢٠] • ومنها ما يكتفي بذكر أن المشركـين قد طلبوا من بني هاشم تسليمهم الرسول (ص) ليقتلــوه[٢١] •

لقد عد" بنو هاشم وبنو المطلب التخلي عن حماية الرسول (ص) وتسليمه لمشركي مكة من أجل قتله أمرا يتنافى مع القيم الاجتماعية السائدة ، « فأبوا

أن يسلموه وهم على خلافه على مثل ما قومهم عليه ، الا أنهم أنفوا أن يستذلوا ويساموا أخاهم لمن فارقه من قومه »[٢٢] . وبذلك أجمع بنو هاشم وبنو المطلب على عدم تسليم الرسول (ص) الى المشركين واتفقوا على حمايته «فاجتمعوا على ذلك كافرهم ، ومسلمهم ، منهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله ايمانا ويقينا »[٢٣] . ولم يشذ من بني هاشم على هذا الموقف سوى ابي لهب فانه فضّل أن يتضامن مع مشركي مكة ضد قومه .

ان ما تقدم ، يشير الى أن العامل الأساس الذي حمل بني هاشم وبني المطلب على حماية الرسول (ص) والدفاع عنه هو عامل اجتماعي يتصل باعتبارات التضامن والتكافل بين أفراد العشيرة الواحدة في كل الظروف . أما زعماء مكة الذين دعوا الى المقاطعة وعلى رأسهم ابو جهل بن هشام المخزومي ، فربما لعبت روح المنافسة بين العشائر المكية على الزعامة دورا كبيرا في حملهم على الدعوة لمقاطعة بني هاشم وبني المطلب على الرغم من أن أغلبهم كانوا مشركين .

فقد ذكر ابن اسحاق أن أبا جهل سئل عن رأيه فيما سمع من محمد (ص) فقال : « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منّا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى تدرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه »[٢٤] . وفي رواية أخرى يورد ابن اسحاق أن أبا جهل قال معللا سبب رفضه قبول الاسلام : « والله اني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن بني قصي قالوا :فينا الحجابة ، فقلنا نعم . قالوا : فينا الندوة ، قلنا : نعم . قالوا : فينا اللواء ، قلنا : نعم . قالوا : فينا السقاية ، قلنا : نعم ، ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى اذا تحاكت الركب ، قالوا : منّا نبي . فلا والله لا أفعل»[٢٥] .

ان الروايات آنفة الذكر تشير الى أن أبا جهل المخزومي قد حدد موقفه من الدعوة الأسلامية تحت وطأة الشعور بأن نجاح هذه الدعوة سيعزز من موقف بني هاشم السياسي في مواجهة عشيرته التي أخذت تنافس بني هاشم على موقع الزعامة . وربما شاركه هذا الشعور بقية زعماء مكة الذين وافقوا

على مقاطعة بني هاشم اقتصاديا واجتماعيا مما يدل على أن الباعث الأساس للمقاطعة كان باعثا سياسيا .

وقد أشار وات الى أنه كان يقف الى جانب الباعث السياسي للمقاطعة الباعث الاقتصادي ، وذلك لأن الدعوة الاسلامية وان كانت في الأصل دعوة دينية ، فانها قد « شملت الميدان الاقتصادي ، ولهذا يحق اعتبارها انعكاسا لموقف المعارضة الذي اتخذه حلف الفضول ضد رأسمالية قاسية »[٣٦] . والحقيقة انه على الرغم من أن أحكام المقاطعة قد شملت الجانب الاقتصادي بصورة جلية ، وأن الاسلام قد اتخذ موقفا معارضا من توجهات تجار مكة القائمة على الاستغلال وتكديس الثروات ، الا أن مشاركة أطراف حلف الفضول في مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ، وعدم وجود نصوص تثبت حضور العامل الاقتصادي كعامل محرك لقرار المقاطعة يجعلنا نستبعد التفسير الذي قدمه وات ونرجح أن العامل الأساس الذي حرك قرار المقاطعة هو العامل السياسي .

كيفية وقوع المقاطعة وزمنها :

لاتتفق المصادر التاريخية على تحديد الكيفية التي حصلت فيها المقاطعة ودخول بني هاشم وبني المطلب شعب أبي طالب . فقد ذكرت بعض المصادر أن أبا طالب حينما تأكد من عزم قريش على قتل الرسول (ص) دعا أفراد عشيرته أن يدخلوا رسول الله (ص) شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله . فاجتمع على ذلك بنو هاشم وبنو المطلب . فلما عرفت بذلك قريش ، اجتمعت واتخذت قرار المقاطعة الذي أوضحنا أحكامه آنفا[٣٧] . غير أن مصادر أخرى تورد روايات مفادها أنه حين أبى بنو هاشم مطاوعة قريش بتسليم الرسول (ص) اليهم لقتله « أجمع المشركون من قريش على منابذتهم ، واخراجهم من مكة الى الشعب »[٣٨] ، فكتبوا كتاب المقاطعة « وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب . . . . . وانحاز بنو المطلب بن عبد مناف الى ابي طالب .. في

شعبه مع بني هاشم ، وخرج أبو لهب الى قريش فظاهرهم على بنـي هاشم وبني المطلب ، وقطعوا عنهم الميرة والمادة»[٢٩]

يبدو مما تقدم وجود تعارض واضح بين هاتين المجموعتين من الروايات، فبينما تؤكد المجموعة الأولى على أن دخول بني هاشم وبني المطلب الشعب، جاءت بصورة اختيارية وبمبادرة من أبي طالب من أجل حماية الرسول (ص)، وأن مقاطعة قريش جاءت وكأنها رد فعل على هذا الموقف . تذهب المجموعة الثانية من الروايات الى أن دخول بني هاشم الى الشعب لم يأت بصورة طوعية وانما جاء بصورة الزامية وكأنه عقوبة لهم على عدم استجابتهم لطلبات زعماء قريش .

ان غياب الزعامة الموحدة في مكة ، وطبيعة العلاقات العشائرية فيها ، تجعل من الصعب اتخاذ قرار بالصورة التي أوردته المجموعة الثانية من الروايات . لذا فاننا نميل الى قبول ما أوردته المجموعة الأولى من الروايات وبخاصة وأنها الأقدم عهدا الى عصر الرسالة من الروايات الأخرى .

أما عن وقت وقوع المقاطعة ،فتتباين الروايات التي بين أيدينا في تحديده، فقد أورد موسى بن عقبة رواية تشير الى ان المقاطعة بدأت قبيل هجرة المسلمين الأولى الى الحبشة[٣٠] ، أي أن المقاطعة وفقا لهذه الرواية تكون قد وقعت بحدود السنة الخامسة للبعثة[٣١] . أما ابن سعد ، فانه يورد رواية تؤكد أن المقاطعة قد بدأت في « ليلة هلال المحرم سنة ٧ من حين تنبي رسول الله (ص) »[٣٢] ، أي بعد الهجرة الى الحبشة بسنتين تقريبا .

ان استقراء الروايات التي أوردتها معظم المصادر التاريخية مثل مغازي عروة بن الزبير ، ومغازي ابن اسحاق وسيرة ابن هشام وتاريخ الطبري وطبقات ابن سعد ، يوصلنا الى أن وضع المقاطعة موضع التنفيذ قد حصل بعد هجرة المسلمين الى الحبشة ، بل أن قسما من هذه الروايات يربط بين فشل مهمة عمرو بن العاص الى النجاشي من أجل استعادة المهاجرين

وبين تنفيذ قريش لقرار المقاطعة ، ويلاحظ أن رواية ابن اسحاق توحي بأن المقاطعة قد أخذت شكلها النهائي عبر خطوتين متلاحقتين ، فقد بدأت الخطوة الأولى بعد قرار المقاطعة حينما قرر أبو طالب أن يدخل الرسول (ص) وبقية بني هاشم الشعب لمنع قريش من محاولة قتل الرسول (ص) ، ثم بدأت الخطوة الثانية حينما قدم عمرو بن العاص من الحبشة وأخبر قريشاً بفشل مسعاه في اقناع النجاشي باعادة المهاجرين الى مكة ، يقول ابن اسحاق: « ثم عمد ابو طالب ، فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ومن أتبعهم ... فدخلوا شعبهم وهو شعب ابي طالب في ناحية من مكة . فلما قدم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة الى قريش وأخبروهم بالذي قال النجاشي لمحمد (ص) وأصحابه ، اشتد وجدهم ، وأذوا النبي (ص) وأصحابه أذى شديدا ، وضربوهم في كل طريق ، وحصروهم في شعبهم ، وقطعوا عنهم المادة في الأسواق ، فلم يدعوا أحدا من الناس يدخل عليهم طعاما ، ولا شيئا مما يرفق بهم ... »(٣٣) .

ان ما تقدم ، يدل على أن دخول بني هاشم وبني المطلب الشعب كان قبل عودة عمرو بن العاص من الحبشة، وربما في حدود الوقت الذي حصلت فيه الهجرة الى الحبشة ، وانا لو حاولنا الجمع بين رواية موسى بن عقبة التي تنص على أن « فلما دخلوا الشعب ، أمر رسول الله (ص) من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا الى أرض الحبشة »(٣٤)، وبين رواية ابن اسحاق آنفة الذكر ، لأمكننا القول بأن دخول بني هاشم وبني المطلب الاختياري للشعب من أجل حماية الرسول (ص) قد حصل في السنة الخامسة للبعثة بعد اعلان قرار المقاطعة ، وقبيل الهجرة الى الحبشة . ويبدو أن قرار المقاطعة لم يدخل حيز التنفيذ الجاد والحازم ضد بني هاشم وبني المطلب الا بعد عودة عمرو بن العاص من الحبشة ، وكان ذلك كما يقول ابن سعد في ليلة هلال المحرم سنة٧ للبعثة ، أي في بداية السنة السابعة . وبذلك تكون الفترة من شهر رجب لسنةخمسة للبعثة وحتى محرم من سنة سبعة للبعثة

هي بمثابة اعتزال من قبل بني هاشم وبني المطلب في شِعب ابي طالب من أجل حماية الرسـول (ص) ، بمحض اختيارهم ، ومن دون أن يتعرضوا لآثار المقاطعة الجادة والحازمة ضدهم • وربما كان هذا هو سر تضارب الروايات حول تحديد تاريخ المقاطعة بين أصحاب السير والمغازي الأوائل ، وكمـا أوضحنا في السطور آنفـة الذكر •

لقد استمرت مقاطعـة قريش لبني هاشـم وبني المطلـب مدة ثـلاث سنوات حسبما تذكر بعض المصادر[٣٥] ، بينما تؤكد مصادر أخرى أن المقاطعة قد استمرت لفترة تتراوح مابين سنتين الى ثلاث سنوات[٣٦] • وبذلك تكون المقاطعة قد انتهت في حدود السنة التاسعة أو العاشرة للبعثة •

شـعب ابي طالـب (مكانـه وطبيعتـه) :

ان الحديث عن الأوضاع التي كان يعيش في ظلّها بنو هاشم وبنـو المطلب في شِعب أبي طالب ، تقتضي محاولة تحديد مكـان الشِعب وطبيعته ليتسنى لنا التعرف على نوعية الحياة التي عاشها بنو هاشم فيه قبـل فتـرة المقاطعة ، وبعد سريان مفعولها •

ولا تساعدنا الروايات التي قدمها أصحاب السيرة الأوائل علـى تحديد موقع شِعب ابي طالب بصورة دقيقة ،نظرا لما تحويه من تضـارب في هذا المجال • ففي الوقت الذي يذكر فيه موسى بن عقبة أن المشركـين أخرجوا بني هاشم « من مكة الى الشِعب »[٣٧] ، مما يوحي بأن الشِعب يقع خارج مكـة ، يقول ابن اسحاقأن الشِعب هو « في ناحية من مكـة »[٣٨] ، أي أنه جزء من مدينة مكة ويقع في داخلها • لذا فان من المفيد الاستعانة بكتب الجغرافيين العرب للتوصل الى صورة واضحة عن ذلك •

تطلق كلمة « شِعب » على الوادي الصغير ، او الطريق الذي يخترق الجبال[٣٩] ، وقد أطلق هذا الاسم « على أزقة مكة والطرق التـي تـؤدي اليها »[٤٠] ، وربما كان ذلك راجعا الى أن مدينة مكة تقـع في واد بـين شِعاب الجبال المحيطة بها ، فأصبحت بيوتها وأزقتها ضمن هذه الشِعـاب،

ومن ثم فلم يعد معنى كلمة شِعب مقصورا على الوادي الذي يخترق الجبال، بل امتد ليشمل الحي الذي يشيد في ذلك الوادي ، فيقال شِعب بني كنانة [٤١] ، وشِعب آل قنفذ ، وشِعب آل الأخنس[٤٢] ، وشِعب ابن يوسف[٤٣] ، وبذلك غدت كلمة شِعب مرادفة في معناها لكلمة حي • يقول الهمداني ان شَعب وشِعب حي »[٤٤] •

لذا فان الدكتور جواد علي قد توصل الى أن مدينة مكة كانت : « مقسمة الى شِعاب ، والشِعاب هي وحدات اجتماعية مستقلة تحكمها الأسر »[٤٥] •

في ضوء ما تقدم ، فان شِعب أبي طالب ، هو الحي الذي كان يسكن فيه أبو طالب وبعض بني المطلب • فقد ذكر الأزرقي ، ان هذا الشِعب كان لهاشم بن عبد مناف ، ثم ورثه من بعده ابنه عبدالمطلب الذي « قسّم حقه بين ولده ودفع اليهم ذلك في حياته حين ذهب بصره ، فمن ثم صار للنبي (ص) حق أبيه عبدالله بن عبدالمطلب ، وللعباس بن عبدالمطلب أيضا الدار التي بين الصفا والمروة •• ولهم أيضا دار أم هاني بنت أبي طالب»[٤٦]•

ان ماذكر آنفا يدل على ان شِعب أبي طالب كان يقع في جوف مكة ، في موضع بين الصفا والمروة ، وأن بيت عبدالله والد الرسول (ص) كان في هذا الشِعب • وتشير الأخبار أن الرسول (ص) كان قد ولد فيه ، وأنه بقي محتفظا بملكيته الى أن هاجر من مكة الى المدينة فقام عقيل بن أبي طالب ببيعه مع جملة بيوت من بيوت أخوته ، ومن هاجر من بني هاشم[٤٧] •

وقد أشير الى ان شِعب أبي طالب كان يقع في جنوب جبل المستنذر « وتمتد في جنوب المستنذر رباع بني عبدالمطلب ، ورباع ابي سفيان بن عبد شمس ، ورباع بني عامر بن لؤي ، وكلها مما كانت له أهمية متميزة لعلاقتها بالرسول (ص) وأسرته»[٤٨] •

نخلص من كل ماتقدم الى ان شِعب أبي طالب كان يمثل أحد الأحياء المكية ، ويوجد فيه دار أبي طالب وبقية دور بني عبدالمطلب • وأنه

حينما اشتد تهديد المشركين للرسول (ص) بالقتل طلب أبو طالب من الرسول (ص) الانتقال من بيت زوجته خديجة والمجيء للعيش معهم في الشعب، حيث يوجد منزل والده عبدالله، وهو المنزل الذي ولد فيه الرسول (ص) كما قدمنا[٤٩].

كما طلب من بقية أفراد بني هاشم وبني المطلب الذين كانوا يعيشون خارج الشعب أن ينتقلوا للسكن معهم في الشعب كي يوفروا الحماية اللازمة للرسول (ص)، ومن أجل أن يتعاونوا في مواجهة مقاطعة قريش لهم.

ويبدو من مجمل الروايات التي تحدثت عن شعب أبي طالب، أنه كان بمثابة مجمع سكني يحيط بوحداته السكنية سور. وبذلك لا يمكن الدخول اليه أو الخروج منه، الا من خلال مدخل خاص به. لذا فقد ترددت في الأخبار التي وردت عن شعب أبي طالب عبارات دخول الشعب أو الخروج منه كثيرا[٥٠]، كما وردت عبارة أن المشركين كانوا يسمعون أصوات صبيان بني هاشم وبني المطلب يتناغون من الجوع « من وراء الشعب»[٥١] حينما شددوا عليهم الخناق في المقاطعة.

وان مما يؤكد هذا التفسير ماذكره ياقوت من أن الشعب « كان لعبدالمطلب، فقسم بين بنيه حين ضعف بصره، وكان النبي(ص) أخذ حظ أبيه، وهو ــ أي الشعب ــ كان منزل بني هاشم ومساكنهم »[٥٢].

اوضاع بني هاشم خلال فترة المقاطعة :

تشير الروايات الى أن جميع بني هاشم وبني المطلب قد دخلوا شعب أبي طالب المسلمين منهم والمشركين عدا أبا لهب*، فكان « العباس رحمه الله

---

* ذكر السهيلي : ان سعد بن ابي وقاص، وهو من بني زهرة، كان في الشعب، وهو خبر يناقض الروايات التي تؤكد ان المقاطعة كانت متصورة على بني هاشم وبني المطلب. ويبدو أن هذا الخبر غير صحيح، لوروده في مصدر متأخر ومخالفته، لما اجمعت عليه الروايات التاريخية المبكرة، راجع : السهيلي، الروض الانق، مصر ١٩١٤، ج١ ص ٢٣٢.

في حصار الشعب معهم الا انه كان على دين قومه ، وكذلك عقيل بن أبي طالب ، وطالب بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب - وكان شديدا على رسول الله (ص) وآله ، يبغضه ويهجوه بالأشعار ، الا أنه كان لا يرضى بقتله ولا يقار قريشا في دمه ، محافظة على النسب - وكان سيد المحصورين في الشعب ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبدالمطلب، وهو الكافل والمحامي »[٥٣] .

وقد قدر عدد الرجال الذين كانوا في الشعب مع أبي طالب بأربعين رجلا[٥٤] . فكم كان عدد جميع أفراد بني هاشم وبني المطلب من النساء والأطفال والرجال في الشعب ؟. اننا لو قدرنا أن المعدل العام لأفراد كل أسرة كانوا يتألفون من خمسة أفراد فقط ، لجاز لنا تقدير عدد بني هاشم وبني المطلب الذين كانوا يقيمون في الشعب بحدود مائتي نسمة .

ويبدو أن بني هاشم وبني المطلب كانوا يعيشون في الشعب تحت وطأة عدوان قبيلة قريش عليهم من أجل اغتيال الرسول (ص) مما كان يضطرهم الى الحذر واتخاذ الاحتياطات اللازمة حتى عندما يذهبون للمنام فقد ذكر عروة بن الزبير أن أبا طالب كان « اذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله (ص) فأتى فراشه حتى يراه من أراد به مكرا أو غائلة ، فاذا نوم الناس أخذ أحد بنيه ، أو أخوانه أو بني عمه ، فاضطجع على فراش رسول الله (ص) ، وأمر رسول الله (ص) أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها »[٥٥] .

أما على المستوى الاقتصادي ، فتشير الروايات الى أن قريشا حاولت أن تقطع عن بني هاشم وبني المطلب منافذ النشاط الاقتصادي كافة ومنعت عنهم سبل المساعدة من أجل الاضرار بهم وحملهم على التخلي عن حماية الرسول (ص) . يقول عروة بن الزبير « فلبثوا في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم فيهن البلاء والجهد ، وقطعوا عليهم الأسواق ، فلا يتركون

طعاما يدنوا من مكة ، ولا بيعا الا بادروا اليه ، ليقتلهم الجوع ، يريدون أن يتناولوا بذلك سفك دم رسول الله (ص) »[٥٦] . ويضيف ابن اسحاق، أن قريشاً « قطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحدا من الناس يدخل عليهم طعاما ولا شيئا مما يرفق بهم ، وكانوا يخرجون من الشعب الى الموسم . وكانت قريش تبادرهم الى الأسواق يشترونها ويغلونها عليهم . ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش : أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه ... ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلي النقد »[٥٧].

ويبدو أن قسوة المقاطعة الاقتصادية وشدتها قد أضرت ببني هاشم وبني المطلب وجعلت ما لديهم من مؤونة ينفد وأخذت آثار الحاجة والجوع تظهر عليهم « فبلغ القوم الجهد الشديد ، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب . لذا فقد حاول أبو طالب أن يجد بعض المنافذ لمقارمة آثار هذا الحصار الاقتصادي . فقد ذكر أن علي بن أبي طالب (رض) . « كان يخرج ليلا من الشعب ، ويخفي نفسه ، ويضائل شخصه ، حتى يأتي الى من يبعثه اليه أبو طالب من كبراء قريش ، كمطعم بن عدى وغيره ، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح ، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره ، لو ظفروا به لأراقوا دمه »[٥٨] .

كما يلاحظ أن بني هاشم وبني المطلب كانوا يستغلون فرصة الحرية التي تتيحها لهم الأشهر الحرم ، فيعمدون الى الاتصال بأبناء القبائل الأخرى الذين يفدون الى مكة للمتاجرة معهم . وعلى الرغم من أن زعماء قريش كانوا يراقبونهم ويحاولون الدخول معهم في مضاربات بهدف منعهم من عقد أية صفقة ناجحة ، الا انّ ذلك لايمكن أن يمنعهم بصورة تامة من المتاجرة والحصول على بعض احتياجاتهم من السوق .

ان الوضع الذي أصبح فيه بنو هاشم وبنو المطلب ، لم يكن موضع رضى وارتياح من قبل كافة مشركي مكة . بل أن هذا الوضع أصبح مصدر

قلق وانقسام في صفوفهم ، وذلك لأن منهم « من سرّه ذلك ، ومنهم من ساءه »[٥٩] كما يقول ابن سعد . بل أن عامة قريش كرهوا ما أصاب بني هاشم من البلاء ، كما يؤكد ذلك ابن اسحاق[٦٠] ، فلا عجب أن يحاول بعض رجالات قريش ممن تربطهم صلات القربى أو المودة ببعض بني هاشم وبني المطلب ، تقديم العون والمساعدة لهم ، على الرغم من معارضة زعماء حركة المقاطعة .

وقد قدمت لنا المصادر بعض الأخبار عن محاولات بعض رجالات قريش تقديم المساعدة للمحصورين في الشِعب . فقد ذكر ابن اسحاق أن هشام بن عمرو بن ربيعة ، وكان ذا شرف في قومه وتربطه صلات قرابة ببني هاشم يأتي بالبعير ليلا ، وقد أوقره طعاما «حتى اذا أقبله في الشِعب ، حلّ خطامه من رأسه ، ثم ضرب جنبه ، فدخل الشِعب عليهم ، ويأتي به ، وقد أوقره برا أوبزا ، فيفعل به مثل ذلك »[٦١] ، كما ذكر « ان حكيم بن حزام خرج يوما ، ومعه انسان يحمل طعاما الى عمته خديجة ابنة خويلد ، وهي تحت رسول الله (ص) ، ومعه في الشِعب ، اذ لقيه ابو جهل ، فقال : تذهب بالطعام الى بني هاشم ؟ والله لاتبرح أنت وطعامك حتى أفضحك عند قريش . فقال له أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد ، تمنعه أن يرسل الى عمته بطعام كان لها عنده ؟فأبى أبو جهل أن يدعه . فقام اليه ابو البختري بساق البعير فشجه ، ووطئه وطئا شديدا ، وحمزة بن عبدالمطلب قريبا يرى ذلك ، وهم ــ أي المشركون ــ يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (ص) وأصحابه فيشمتوا بهم »[٦٢] .

ويلاحظ أن المصادر التي بين أيدينا لم تقدم لنا أية معلومات عن قيام المسلمين من غير عشيرة الرسول (ص) وهم الذين لم تشملهم المقاطعة بتقديم أية مساعدة للمسلمين المحصورين في الشِعب ، وعلى رأسهم الرسول (ص) على خلاف ما هو متوقع منهم . مما يدل على أنهم كانوا في وضع صعب لايسمح لهم بأي تحرك في هذا الاتجاه .

وان ما يؤيد ذلك أن معظم المسلمين كانوا قد هاجروا الى الحبشة خلال فترة المقاطعة ،ولم يبق في مكة من المسلمين الا حوالي أربعين مابين رجال ونساء[٦٣] ، كما ان المشركين بعد اتخاذ قرار المقاطعة « عدوا على من أسلم، فأوثقوهم وآذوهم ، واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالا شديدا »[٦٤] .

وهكذا فقد كان الرسول (ص) والمسلمون ومن وقف الى جانبهم ضد من ظلمهم يعيشون في محنة قاسية طوال فترة المقاطعة التي امتدت حوالي الثلاث سنوات ، وعلى كافة ، المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهل منع ذلك الرسول (ص) من مواصلة طريقه في الدعوة الى الاسلام ونشر مبادئه بين الناس ؟

الدعوة الى الاسلام في فترة المقاطعة :

يقول الطبري في سياق حديثه عن المقاطعة أن رسول الله (ص) ، قد استمر على الرغم من كل ماواجهه أثناء المقاطعة « يدعو قومه سرا وجهرا ، آناء الليل وآناء النهار ، والوحي عليه من الله متتابع بأمره ونهيه ، ووعيد من ناصبه العداوة ، والحجج على من خالفه »[٦٥] .

ويبدو أن زعماء المشركين قد قاموا بحملة تشهير واسعة ضد الرسول(ص) مع بداية حملة المقاطعة من أجل كسب الناس الى صفهم في معركتهم التي تستهدف القضاء على الرسول (ص) ودعوته . لذا فقد تصدى القرآن الكريم لفضح مقاصدهم وكشف حقيقتهم . يقول ابن هشام في وصف أبعاد هذه المواجهة : « فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمّه وقومه من بني هاشم ، وبني المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش باحداثهم ، وفيما نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سمي لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار ، فكان ممن سمّي لنا من

قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبدالمطلب وامرأتـه أم جميـل بنـت حرب بـن أمية »[٦٦] .

وتشير المصادر الى ان هذه الفترة قـد شهدت مساجلات عقائدية مباشرة بين الرسول (ص) وبين بعض زعماء المشركين . فقد ذكر أن الرسول (ص) جلس يوما مع الوليد بن المغـيرة في المسجد ، « فجـاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس،وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلـم رسول الله (ص) ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله (ص) حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : « انكم وما تعبدون من دون الله حصـب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكلّ فيها خالدون»[٦٧].

وقد حاول المشركون في هذهالفترة الدخول مع الرسـول (ص) في مساومات حول عقيدته ، فقالوا له ، وكان يطوف بالكعبة : « يا محمد ، هلّم فلنعبد ماتعبد ، وتعبد مانعبد ، فلنشترك نحن وأنت في الأمـر ، فان كان الذي تعبد خيرا مما نعبـد كنّا قد أخذنا بحضنا منـه ، وان كان ما تعبد خـيرا مما نعبـد ، كنت قد أخـذت بحظك منه ، فانـزل الله تعالى فيهـم : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عـابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين »[٦٨] .

ويبدو ان الرسول (ص) كان شديد الحرص فـي هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة على كسب بعض زعماء المشركين الى صفه ، لذا فقد تطلع كثيرا الى اسلام الوليد بن المغيرة حينما وقف يكلمه « وقد طمع في اسلامه، فبينما هو في ذلك ، اذ مرّ به ابن أم مكتوم الأعمى ، فكلم رسول الله (ص) وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على الرسول (ص) حتى أضجـره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من اسـلامه ، فلما أكثر عليـه انصرف عنـه عابسا وتركـه ، فأنزل الله تعالـى فيه : « عبـس وتولى أن جاءه الأعمـى ... »[٦٩] .

ان حوارات الرسول (ص) ومساجلاته مع المشركين من أجل اجتذابهم الى الدعوة الاسلامية ، والتي ألمحنا الى جانب منها آنفا ، قد أفسحت المجال لوصول اشاعات وأخبار الى المسلمين المهاجرين الى الحبشة من أن قريشا قد أسلمت ، وأنها سجدت حينما سجد الرسول (ص) بعد قراءته لسورة النجم[٧٠] ، فعاد قسم من المهاجرين الى مكة ، وكان عددهم ٣٣ رجلاً ، « حتى اذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد الا بجوار أو مستخفيا »[٧١] .

ان مواصلة الرسول (ص) دعوة قومه الى الاسلام خلال فترة المقاطعة وحواره معهم ، وصلاته في المسجد الحرام ، ربما بدت متعارضة مع بنود المقاطعة وبخاصة ما يتصل منها بعزم المشركين على قتل رسول الله (ص) . ويبدو أن هذه الاشكالية صعبة التفسير لو لم يكن أهل مكة يلتزمون بحرمة الأشهر الحرم ، حيث يأمن الناس فيها على أرواحهم من الأذى والقتل . لذا فان بالامكان الافتراض ان الرسول (ص) كان يستغل فترة الأشهر الحرم لينطلق في التبشير بالدعوة ومواصلة تبليغها الى الناس كافة .

انتهاء المقاطعة :

يقول عروة بن الزبير أنه لما كان ثلاث سنين على المقاطعة « تلاوم رجال من بني عبد مناف ورجال من بني قصي ورجال ممن سواهم ، وذكروا الذي وقعوا فيه من القطيعة ، فأجمعوا أمرهم في ليلتهم على نقض ما تعاقدوا عليه ، والبراءة منه »[٧٢] .

ويقدم لنا ابن اسحاق صورة حية عن الحوارات التي جرت بين بعض هؤلاء الرجال وهم يتحركون من أجل ايجاد تكتل يعمل على نقض صحيفة المقاطعة ، فذكر ان هشام بن عمرو «مشى الى زهير بن أبي أمية فقال له : قد رضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ،وأخوالك حيث قد علمت ؟ لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، ولا يأمنون

ولا يؤمن عليهم • أما أني أحلف بالله ، لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه منهم ما أجابك اليه ابدا • قال : ويحك ، فما أصنع ؟ أنا رجل واحد • قال ، فقال : قد وجدت ثانيا •قال ومن هو ؟ قال : أنا ، أقوم معك • فقال له زهير ، ابغنا ثالثا • فذهب الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم : قد رضيت أن تهلك بطن من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك ، موافق عليه ؟ أما والله ، لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها سراعا منكم »[٧٣] وهكذا استمر هؤلاء الرجال في التحرك حتى كسبوا الى جانبهم اضافة الى من تقدم ذكرهم كل من ابي البختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد « فتواعدوا عند حطم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك ، وأجمعوا امرهم ، وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها • فقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أولكم ، فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية في حلة له فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس»[٧٤] فعرض عليهم جوانب الظلم التي تضمنتها الصحيفة ، وطالب بتمزيقها ، فتصدى لمعارضته أبو جهل بقوة ، الاّ أن بقية الرجال الذين كانوا مع زهير تصدوا لأبي جهل وأيدوا زهيراً في مطلبه ، وقالوا بأنهم لم يرضوا عن هذه الصحيفة حين كتبت • عند ذلك أسقط في يد أبي جهل وعرف ألاّ جدوى من المعارضة لأن الأمر متفق عليه • فاستسلم قائلا « هذا أمر قضي بليل »[٧٥]

ان رواية ابن اسحاق آنفة الذكر تشير الى أن الصحيفة قد تم نقضها من خلال ايجاد رأي عام معارض ، ومن دون اللجوء الى قوة السلاح أو التهديد باستخدامه • الاّ أن ابن سعد يورد رواية تشير الى أن القوة كانت هي الحكم الفصل في هذه المسألة ، فيقول أن رجالا من قريش تلاوموا على ما صنعوا ببني هاشم ، فيهم الرجال الخمسة الواردة أسماؤهم آنفا في رواية ابن اسحاق ، « ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم وبني المطلب، فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ، ففعلوا ، فلما رأت قريش ذلك سقط في

أيديهم وعرفوا أن لن يسلموهم »[٧٦] . فنحن هنا أمام تكتل جديد يضم بني هاشم وبني المطلب بالاضافة الى كافة الرافضين لصحيفة المقاطعة ، وأن هذا التكتل على استعداد لاستخدام السلاح من أجل كسر المقاطعة . لذا فان أبا جهل ومن كان يؤيده أحسوا بالضعف والتخاذل فاستسلموا أمام التهديد . وأن مما يؤيد صحة رواية ابن سعد ، أن ابن اسحاق ذكر في روايته أن أبا طالب كان جالسا في ناحية المسجد ليرى ما يصنع القوم حينما جاؤوا لنقض الصحيفة[٧٧] ، مما يدل على أن ابن اسحاق يتفق مع ابن سعد على أن بني هاشم كانوا قدأخرجوا من الشعب من قبل دعاة نقض المقاطعة وان كانت روايته لم تذكر هذه التفاصيل .

لقد ذكر ابن اسحاق أنه حينما تقرر نقض الصحيفة ، قام المطعم بن عدي « الى الصحيفة فشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها الا باسمك اللّهم»[٧٨] بينما ذكر عروة بن‌الزبير ، وكذلك موسى بن عقبة أن الصحيفة كانت معلقة في سقف الكعبة ، «وكان فيها عهد الله وميثاقه ، فلم تترك شيئا الا لحسته، وبقي فيها ماكان من شرك أو ظلم أو بغي»[٧٩] .

ان الجمع بين الروايات المتقدمة يشير الى اتفاقها على أن الصحيفة كانت قد تآكلت بفعل حشرة الأرضة على الرغم من اختلافها في تحديد الأجزاء التي تآكلت وانمحت منها . ثم جاء التصميم والفعل الانساني الذي أفرزه صمود بني هاشم وبني المطلب الى جانب الرسول (ص) ليحسم الأمر وينهي صحيفة المقاطعة وما حوته من ظلم وعدوان . لقد استمرت المقاطعة كما تؤكد أغلب الروايات حوالي ثلاث سنوات ، لاقى فيها بنو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم ، شتى صنوف الأذى والاضطهاد ، وجاءت النهاية وخرجوا من شعبهم منتصرين في سنة عشرة للدعوة[٨٠] ، بعد أن تفرقت كلمة خصومهم أمام صبرهم وصمودهم .

* * *

المصادر والمراجع :

(١) ينظر على سبيل المثال : وات ، مونتغمري ، محمد في مكة ، تعريب : شعبان بركات ، بيروت ، بلا ، ت ، ص ١٩٢ ـ ١٩٦ ، العلي ، د. صالح، محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢ ، الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة ، القاهرة ، ١٩٦٥ . ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٢) العلـي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص ٣٣٠ .

ابن هشام ، السيرة النبوية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ق١ ،ص ٣٥٠ـ٣٥١.

(٤) يراجـع : مغازي الرسـول لعروة بن الزبير ، جمعه وحققه وقـدم له : د. محمد مصطفى الأعظمي ، الرياض ١٩٨١ .

(٥) ينظر : الزهري ومنهجه في التدوين التاريخي ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة قدمها عبدالستار حمدون احمد ، كلية الآداب ، جامعة الموصل في ١٩٨٩ ، باشراف الدكتور هاشم يحيى الملاح .

(٦) ينظر : موسى بن عقبة ومساهماته في كتابة مغازي رسول الله (ص)، رسالة ماجستير غير مطبوعة قدمتها ابتهال خليل يونس ، كليـة الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٧ ، باشراف الدكتور هاشم يحيى الملاح .

(٧) ابن اسحاق ، كتاب المغازي ، تحقيق : د. محمـد حيد الله ، الرباط ١٩٧٦ . كما نشر د. سهيل زكار كتاب السير والمغازي لابن اسحـاق (رواية يونس بن بكير) في سنة ١٩٧٨ (دار الفكر) .

(٨) مغـازي رسول الله لعـروة بن الزبير ، ص ١١٤ .

(٩) مغـازي موسـى بن عقبـة ، ص ٩٨ .

(١٠) ابن سعد ، الطباقت الكبرى ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ج١ ،ص ٢٠٨ـ٢٠٩ .

(١١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، بيروت ١٩٦٠ ، ج٢ ، ص٣١ . وقد اضاف اليعقوبي أن قريشا ختمت الصحيفة بثمانين خاتما ، بينما ذكرت مصادر اخرى أنها قد ختمتها بثلاثة خواتيم ، ينظر : ابن سعد ، الطبقـات ، ج١ ، ص٢٠٩ .

(١٢) ابن اسحاق ، كتاب المغـازي ، ص ١٣٧ .

(١٣) ابـن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ٣٥٠ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٨ ، جـ٢ ، ص ٣٣٦ .

(١٥) ابـن اسحـاق ، المغازي ، ص ١٤٠ .

(١٦) ابن هشـام ، السـيرة ، ق١ ، ص٣٥٤ .

(١٧) المصدر نفسه ،ق١ ، ص ٣٥٠ـ٣٥١ ، ص ٣٣٣ـ٣٣٨ ، وات ، محمد فـي مكـة ، ص ١٨٥ـ١٨٦ .

(١٨) مغازي رسول الله لعروة بن الزبير ، ص ١١٤ ، مغازي موسى بن عقبة، ص٩٧ ـ ٩٨ ، ابـن اسحاق ، المغازي ، ص.١٤ ، ابن سعد ، الطبقات ج١ ، ص٢٠٨ ، ابن سيد الناس ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، بيروت ، ١٩٨٦ ،ج١ ، ص ١٦٥ ، ابـن كثير ، السيرة النبوية، بـيروت ، دار الكتب العلمية ، بلا ت ، ج١ ، ص ٢٦٩ .
(١٩) مغـازي رسول الله لعروة بن الزبير ، ص ١١٤ .
(٢٠) مغـازي موسى بن عقبة ،ص ٩٧ ـ ٩٨ .
(٢١) ابن اسحاق ،المغازي ، ص ١٤٠ ، ابن سعد ، الطبقات ،ج١ ، ص٢٠٨.
(٢٢) ابـن اسحـاق ، المغـازي ، ص ١٤٠ .
(٢٣) مغازي رسول الله لعروة بن الزبير ، ص١١٤ .
(٢٤) ابـن اسحـاق ، المغـازي ، ص ١٧٠ .
(٢٥) المصـدر نفســه ، ص ١٩١ .
(٢٦) وات ،محمـد فـي مكـة ،ص ١٩٣ .
(٢٧) مغازي رسـول الله لعروة بن الزبير ، ص١١٤ ، ابـن اسحاق ، المغازي ، ص ١٤٠ ، ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ٣٥١، البلاذري ، انسـاب الاشـراف ، ج١ ، ص ١٣٠ ، ٢٣٤ .
(٢٨) مغـازي موسى بـن عقبة ، ص ٩٧ـ٩٨ .
(٢٩) ابن سعد ، الطبقـات ، ج١ ، ص ٢٠٨ـ٢٠٩ .
(٣٠) مغـازي موسى بن عقبة ، ص ٩٨ .
(٣١) ابـن سعد ، الطبقـات ، ج١ ، ص٢٠٦ .
(٣٢) المصـدر نفســه ، ج١ ، ص ٢٠٩ .
(٣٣) ابـن اسحـاق ، المغازي ، ص ١٤٠ .
(٣٤) مغـازي موسى بن عقبة ، ص ٩٨ .
(٣٥) ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٣٠٩ ، ابن كثير ، السيرة ، ج١ ، ص٢٦٩ .
(٣٦) ابن اسحاق ، المغازي ، ص ١٤١ ، الطبري ، تاريخ ،ج٢ ، ص ٣٣٦ .
(٣٧) مغـازي موسى بن عقبة ، ص ٩٨ .
(٣٨) ابـن اسحـاق ، المغـازي ، ص ١٤٠ .
(٣٩) ياقوت الحمـوي ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٦٠ ، مجلـد ٣ ، ص٣٤٧
(٤٠) عبدالحميد ، د. سعد زغلول ، هامش كتـاب الاستبصـار فـي عجائب الأمصار ، بغداد ١٩٨٦ ، ص٥ .
(٤١) الازرقي ، اخبار مكـة ، بـيروت ، ١٩٧٩ ، ج٢ ، ص ٢٧٥ .
(٤٢) المصـدر نفســه ، ج٢ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٣٢–٢٣٣ .
(٤٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص١٢٩ .
(٤٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ج٤ ، ص ٩١
(٤٦) الازرقي ، اخبار مكة ، ج٢ ص ٢٣٣–٢٣٤ .
(٤٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٦١ ، جواد علي ، تاريخ العرب في الاسلام ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٩٧ .
(٤٨) العلي ، د. صالح ، المعالم العمرانية في مكة المكرمة في القرنين الاول والثاني ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٩٣ – ٩٥ ، ومن اجل مزيد من الايضاح ، تراجع الخريطة على ص ١٠٢ .
(٤٩) المرجع نفسه ، ص٩٥ – ٩٦ ، سيد الأهل ، عبدالعزيز ، ابو طالب عم النبي ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٧٣ .
(٥٠) ابن اسحاق ، كتاب المغازي ، ص ١٤٠ .
(٥١) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .
(٥٢) ياقوت معجم البلدان ، مجلد ٣ ، ص٣٤٢ .
(٥٣) ابن ابي حديد ، شرح نهج البلاغة ، مصر ١٩٦٢ ، ج١٤ ، ص ٦٥ .
(٥٤) المصدر نفسه ، ج١٤ ، ص ٣١٠ .
(٥٥) معازي رسول الله لعروة بن الزبير ، ص١١٤ ، انظر ايضا : ابن اسحاق ، كتاب المغازي ، ص ١٤١ .
(٥٦) مغازي رسول الله ، ص ١١٤ .
(٥٧) ابن اسحاق ، كتاب المغازي ، ص ١٤٠ .
(٥٨) ابن ابي حديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٢٥٤ .
(٥٩) ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص ٢٠٩ .
(٦٠) ابن اسحاق ، كتاب المغازي ، ص ١٤٠–١٤١ .
(٦١) المصدر نفسه ، ص ١٤٥–١٤٦ .
(٦٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .
(٦٣) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٣٤٣ .
(٦٤) ابن اسحاق ، كتاب المغازي ، ص١٣٧ .
(٦٥) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣٣٦ .
(٦٦) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ٣٥٤ .
(٦٧) المصدر نفسه ، ق١ ، ص ٣٥٨–٣٥٩ .
(٦٨) المصدر نفسه ، ق١ ، ص٣٦٢ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ق١ ، ص ٣٦٤ .
(٧٠) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣٣٨-٣٤١ .
(٧١) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٩ .
(٧٢) مغازي رسول الله لعروة بن الزبير ، ص ١١٥ .
(٧٣) ابن اسحاق ، كتاب المغازي ، ص ١٤٦ .
(٧٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٦-١٤٧ .
(٧٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .
(٧٦) ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص ٢١٠ .
(٧٧) ابن اسحاق ، كتاب المغازي ، ص ١٤٧ .
(٧٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .
(٧٩) مغازي رسول الله لعروة بن الزبير ، ص١١٥ ، مغازي موسى بن عقبة ، ص ٩٨-٩٩ .
(٨٠) ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص ٢١٠ .

* * *

قراءة جديدة لبيت الحكمة البغدادي

د. يوسف حبي
عضو المجمع العلمي

مدخل

ربما يظن البعض ان العنوان مثير او مبالغ فيه ، لكنّي أقصده ، وسيتضح في تضاعيف البحث سبب ذلك . فالطروحات التي سأتناولها غير سالكة وشائعة ، وهي أكثر من نقطة تعمق ، ووقفة تأمل ومحور رؤية تعطي البحث أوجها أو أقله ملامح غير معروفة ومطروقة ، ويقيني ان اثارة التفكير من أهم ركائز المعرفة والثقافة ، والا فما فائدة تكرار ما بوسعنا لقياه هنا وهناك على صعيد الانماء الحضاري ؟

تساؤلات مشروعة

بوسعنا ، بل من حقنا ، طرح تساؤلات نود لو أعطينا عليها اجابات شافية ، أهمّها : ما بيت الحكمة بشكل عام ، وماذا كان بيت الحكمة البغدادي ، وأين كان يقع ، ومتى تأسس ، ومن قام عليه ، وعلى ماذا كان يشتمل ، ومتى أفل نجمه ؟ الى غير ذلك من تساؤلات مشروعة ، كثر الحديث بشأنها[1] . لكني هنا سأطرح سؤالين آخرين هما : لماذا كان بيت الحكمة البغدادي ، وماذا كان دوره في تقدم الثقافة ؟ وهل كان بيت علم شامل جامع لكل العلوم ، وبمفهوم العلم بمعناه الاوسع ؟

نستبق كل هذا بتساؤل ، هو بمثابة مقدمة للبحث ، فنقول : لماذا بيت الحكمة في بغداد ؟ وماذا يقدم لنا المؤرخون والباحثون من أسباب في قيام بيت الحكمة البغدادي ؟

لئلا نطيل في هذا الباب الذي حاول بعضهم تقصّيه[٢] ، نقول :

١ ـ انها لاشك رغبة أوائل خلفاء بني العباس ، بعد تأسيس وازدهار عاصمتهم بغداد ، فقد أرادوها عاصمة عظيمة من سائر الوجوه العمرانية، بأوسع معاني هذا المصطلح .

٢ ـ وكان لاستقطاب بغداد العلماء والحكماء من كل مكان دور كبير في قيام بيت الحكمة ، اضافة الى مراكز علمية بل حركة ثقافية كبيرة فيها .

ويمكننا إضافة اسباب اخرى ، منها توفّر الامكانات المادية في عهد ازدهار اقتصادي كبير ، وولع الكثيرين بالعلم والفكر ، ومقتضيات عاصمة دولة واسعة ، كبغداد ، في تلبية حاجات ثقافية وعلمية شتى ، ومردود تفعي يسري على شرائح كبيرة من المجتمع يؤمنه اتساع رقعة العلم والادب ، وما يثيره الجديد ، والغريب ، والعجيب في الانفس من أحاسيس ، وما يستحث الابداع على المزيد من انتاج ، الى غير ذلك من دوافع تبرر حالة الرقي الذي بلغته بغداد من فكر وعلم وثقافة ، بحيث اتسمت عقودها الاولى بعهد حضاري متميّز .

لكننا نتساءل بحق : أهذه هي الاسباب الحقيقية ؟ أو هل هي هذه وحدها الدوافع التي عملت على ان تقوم في بغداد حركة ثقافية عظمى ، وأن ينشأ بيت حكمة تميّز عن غيره بشكل ملحوظ ؟

لابدّ من التمعّن في النصوص التاريخية ، علّها تكشف لنا عن بواطن الامور . فالتاريخ في ظاهره ، كما يقول ابن خلدون ، «لايزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول ... وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ، ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق، فهو لذلك اصيل في الحكمة ، عريق » (المقدمة) . ونقولها حالا : انه حب المعرفة السبب الاول والاعظم . ولا تحسبنّ انه أمر بديهي وهيّن ، لانه متى كان عن قناعة حقيقية اقتضى وجوبا مستلزمات كثيرة ، فما هي ؟

ان حب المعرفة مغروس في أعماق الذات الانسانية ، لكنـه الانفتـاح وحده يحوله طاقة عجيبة ومبادرات ابداع . لذا ، فان مجتمعا منغلقـا ، مهما كانت مقوماته وامكاناته وموارده ، لن يقدّم مسيرة العلم والفكر ، خطوة الى الامام ، بل قد يؤخرها ، أو أقله يجمّدها ، ان لم يعتمد الانفتاح مبدءاً وحب المعرفة ديدنا ، وبعكسه تغدو الثقافة تقليدا متكررا ، لاذاكـرة حيّة وتفحة مبدعة ، او تكثر الشكليات السطحية في الآداب والفنون ، لتلبيـة أغراض جلّها غير الاصالة والابداع .

ويعني الانفتاح رحابة ذات تقبل الآخر ، وعدم الاكتفاء بالأنا ، والآخر عالم آخر ، مختلف عن عالمنا الخاص ، وقبوله بالشكل الصحيح يدعو بـل يستحث الأنا الى قبوله كما هو ، لا كما نريده نحن ، حتـى لـو شئنـا تغييره الى ما نحن عليه ، هذا ما تقتضيه سنّة الحياة ، وفلسفة المعـرفة ، ومقومات الحوار والحب . وبعيد عن هذا كل البعد من يتصور انه وحده على حق ، وانه وحده يمتلك الحق ، وان الآخرين على باطل ، وانه لا يهمّه بالتعرف على الآخرين ورأيهـم وعلمهم ، وان له ما يغنيه عن فكر الآخرين وعلومهـــم .

وقد كان العصر العباسي عصر انفتاح ، في مجمله ، وخاصة في العقـود الأولى من خلافة بني العباس .

وهذا يعني أيضا اعطاء القيمة الحقيقية للعقل ، والعقل هذه الطاقـة العظمى التي للانسان ، تمكنه من الصيرورة عالما بكامله ، فيه من الكثـرة والنوعية ، والمختلف والمنسجم ، والمقتبس والابداعات ، ما لا حدود لـه ، وهو خير دليل على وجود اللامحدود واللامتناهي . والمرء أمام موقفين : إما أن ينعم بهذه الطاقة العظمى فيغدو يوما بعد يوم ، فريدا ، مبدعا وعظيما ، أو يجمدها فيشلّ قابلياته ويحد ذاته ويخنـق الجذوة الخلاقة التي فيه .

وقد كان العصر العباسي ، أقله في بعض أدواره ، عصرا أمن بالعقل ايماناً كبـيراً .

يقول صاعد الاندلسي : لقد كان ابو جعفر المنصور « مع براعته في الفقه وتقدمه في علم الفلسفة ، وخاصة في علم النجوم ، كلفا بها وبأهلها»[٣] . ويشير النص بوضوح الى حب المنصور للمعرفة والعلم وتقديره ، لأهلهـا . نلقى شواهد أخرى تدل على اهتمامه بالكتاب وحرصه على الحصول عليه ونشره، فقد نقل له الطبيب جورجيوس بن بختيشوع كتبـا كثيرة[٤] ، وكذلـك البطريق[٥] . وكلف محمدا بن اسحاق بتصنيف كتاب منذ خلق الله آدم ، فصنفه مطولا ، وأمره فاختصره ، وألقـى الكتاب الكبـير في خزانـة أمير المـؤمنين[٦] .

ويذكـر ابن أبي أصيبعـة قـول سليمان بن حسـان : ان الرشيد قلّد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقره وعمورية وسـائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ، ووضعه أمينا على الترجمة . وخدم هرون والامين والمأمون ، وبقي على ذلك الى ايام المتوكل»[٧] . وولى الخليفـة الرشيد ابا سهل الفضل بن نوبخت « القيام بخزانة بيت الحكمة ، وكان ينقل من الفارسي الى العربي ما يجده من كتب الحكمة الفارسية»[٨] .

ومعروف كلَف الخليفة المأمون بالفكر والعلوم والكتب ، تنسب اليه رؤيا دالة على عدم الشبع المعرفي ، فاثنان لايشبعان : طالـب علم وطالـب مال ! ومثيرة رؤياه ، يرويها ابن النديم بقوله : « ان المأمون رأى في منامـه كأن رجلا ابيض اللون ، مشربا حمرة ، واسع الجبهة ، مقرون الحاجـب ، أجلح الرأس ، أشهل العينين ، حسن الشمائل ، جالس على سريره ، قـال المأمون ، وكأني بين يديه قد ملئت له هيبة ، فقلت : من انت ؟ قال : انـا أرسطاليس ، فسررت به وقلت : أيها الحكيم أسألك ، قال : سل ، قلت : ما الحسن . قال : ما حسن في العقل . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ماحســن في الشرع . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما حسن عند الجمهور . قلـت : ثـم ماذا ؟ قـال : ثم لا ثم»[٩] . وان أردنا اعطاء تحليل ولو مبسط للرؤيا ، قلنـا :

ان المرء يحلم بما يؤثر فيه بعمق ، وقد كان المأمون كلفا بارسطو وفلاسفة اليونان والعقل ، لذا نراه يلقى أرسطو في المنام ، ويستمع منه ما يدغدغ أعمق مشاعره ، دون أن ينتقص من الشرع وحسن البشر . ويجدر أن نتوقف لدى تعليق ابن النديم نفسه ، فهو خير معبر عن حب المأمون للمعرفة ، يقول صاحب الفهرست : «فكان هذا المنام من أوكد الاسباب في اخراج الكتب »[10] .

وقد يظن البعض انه تكفي المطالعة أو الدراسة لاستيعاب الفكر ومباراته ، ناسين انها ليست عملية تقبل معلومات ، بل يحتاج الامر الى استيعاب وهضم واغتذاء فامتلاء ، ولا يتم هذا الا بتأمل متعمق ، وحوار هادىء حر وبناء . والمأمون واحد من أولئك الذين ميزوا هذا البعد التأملي في الثقافة . يقول المسعودي : «وكان يحيى بن أكثم يقول : كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم : انزعوا اخفافكم . ثم أحضرت الموائد وقيل لهم : اصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ، ومن خفه ضيق فلينزعه ، ومن تقلت عليه قلنسوته فليضعها ، فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا فلا يزالون كذلك الى ان تزول الشمس ، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون»[11] . قد يبدو هذا النص غريبا وبعيدا عن الواقع ، وكأنه من عالم الف ليلة وليلة ، بينما تعكس صورته حقيقة يدركها من يعيش في عالم الفكر المتعمق . فالمتحاورون في مسائل كبرى يبلغون حد الارهاق بشكل لايعرفه من يعمل جنديا وآليا ، ولا من يكرر المعلومات ولو بأساليب مختلفة ، اذ ليس كالجهد الفكري ينهك صاحبه ، ومتى مات المخ مات الانسان ، كما يقول الاطباء ، حتى لو بقي القلب نابضا والجسد متحركا . ونادرون من يستطيعون العملية الفكرية بأصالة وتأمل ومشاهدة . وقد كان المأمون واحدا منهم .

وقد ترجم المأمون حلمه الى واقع ، فبذل جهده لتأمين المعرفة والعلم في عاصمة مملكته . يفيدنا ابن نباته المصري ان المأمون جعل سهل بن هارون « كاتبا على خزانة الحكمة ، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص » . ويعقب ابن أبي أصيبعة على منام المأمون بقوله انه انتبه من منامه وسأل عن أرسطو « احضر حنين بن اسحق ، اذ لم يجد من يضاهيه في نقله، وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغة العربية ، وبذل لـه من الاموال والعطايا شيئا كثيرا »[١٢] .

وتستمر العملية أيام المتوكل وآخرين من الخلفاء . اذ ينقل ابن أبـي أصيبعة عن سليمان بن حسان ان حنين بن اسحق « اختير للترجمـة واؤتمن عليها . وكان المتخيّر له المتوكل على الله ، ووضع له كتّابا نحارير عـالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصفح ماترجموا ، كاصفن بن بسيـل ، وموسى بن خالد الترجمـان »[١٣] .

« وكان الواثق بالله محبّا للنظر ، مكرما لأهله ، مبغضا للتقليد وأهله ، محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ، ممن تقدم وتأخر عـن الفلاسفة وغيرهم من الشرعيين »[١٤] . ويكمل المسعودي « وللواثق أخبار حسـان مما كان في أيامه من الاحداث وما كان يجري من المباحثة في مجلسه الذي عقده للنظر في مابين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلـوم من العقليـات والسمعيات في جميع الفروع والاصول »[١٥] . وهذه هي الفلسفة وأهـم محاورها في تلك الأزمنة ، كان الخليفة بنفسه ، مستدعيا أعلم مـن بهـا ، ليتحاوروا ويروا ما الاعمق فيها .

وكما كان المأمـون « أعلم الفقهاء بالفقه والكـلام » ، كان الراضي بالله « أعلم الناس بالشعر »[١٦] ، وهو ميدان آخر ، لكنه الحسّ الثقافي والروح الأدبية مانود التأكيد عليه ، لاكتشاف كم كانت عليه بغداد فيعصورها الاولى من تقـدم فكـر وأدب وفن .

ولـم يكن الخلفاء وحدهم من احتضنوا العلم والفكـر وأصحابه ، بل الاشراف والأعيان ايضا ، كما يشهد المؤرخون[١٧] ، لانها ظاهرة تسـري كالشرار والشعاع ، وتمضي لكي تعمّ الجميع ، كالخميرة في العجين ، بـل لعل الظاهرة الثقافية أشد انتشارا من اية ظاهرة انسانية ، بعـد السلـوك والتديّن • أو انها متداخلة لكنها متى اتضحت ،اضفت على الانسان بجملته نورا خاصا يميزه عن غيره ممن لم يبلغوا قدرا معينا منها يمكّنهـم مـن تجسيدهـا فـي الواقـع •

متانة العقل ودوره

لنضف فقرة تؤكد الدور الريادي للعقل في هذا العصر من تاريخ بغداد•

أظن انه ينبغي قراءة «معتزلية» المأمون بشكل مغاير عن الطـروحات التي أراد لها بعضهم ، فهو بالاحرى ابراز دور العقل ما جعل البعض يتصورونه خروجا عن الدين والاعراف ، بل هي ثورة العقل التي دشنت مدرسة معتزلـة بغداد منهجيتها التعليلية على امتداد القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي، وهي «نهضة عقلانية متوثبة تخطت بتقاليدها المستنيرة حدود مناهج وصف العالم وتأويلاته ، الى بناء صورة جديدة للفكر « فكان » العقل المعتزلي أداة ارتقاء أساسية في انتقاله من المنطق الشكلي الثابت ، الى وعي عميـق بالمختلفات والمتناقضات » ، وكان المشروع الحضاري المتقدم « اشارة اخرى لتخطي الحدود التعليمية لعلم الكلام ، صوب الحقيقة التي لاشـيء يعادلها في الوجود الا العقل أداة اكتشافها»[١٨] •

يفيدنا ابن النديم في هذا الباب ، فهو يجمع في المقالة السابعة ، الفن الاول « اخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين واسمـاء كتبهم ونقولهـا وشروحها ••• » ، فيورد حكايات منها التالية : «كانت الحكمة في القـديم ممنوعا منها الا من كان من أهلها ، ومن علم انه يتقبلها طبعـا • وكانـت الفلاسفة تنظر في مواليد من يريد الحكمة والفلسفة •• وكانت الفلسفة ظاهرة

في اليونانيين والروم قبل شريعة المسيح عليه السلام ، فلما تنصرت الروم منعوا منها ، وأحرقوا بعضها ، وخزنوا البعض ، ومنع الناس من الكلام في شيء من الفلسفة إذ كانت بضد الشرائع النبوية ، ثم أن الروم ارتدت عائدة الى مذاهب الفلسفة ...»(١٩) .

مهما تكن صحة هذه الحكاية ، فانها تدل على أن الموقف من الفلسفة كان دوما فيه من الحذر بسبب الدين ، ومشكلة العقل والدين مشكلة معروفة ، ولا قبول للفلسفة الا في حالة الاقناع بأنه لاتعارض بين العقل والايمان ، وقلنا « الايمان » تمييزا عن نظم وشرائع وتقاليد قد لاتجسد أصالة الايمان وعمقه ضرورة بسبب اجتهادات بشرية متعددة . وهو ماحصل في المسيحية ، والاسلام ، وديانات اخرى ، بل هو ما يحصل كل يوم ولن نطيل ، بل نخلص الى قول يقرّه معظم الباحثين ، مفاده : ان العصر العباسي المزدهر آمن بالعقل كما آمن بالوحي ، وحاول التوفيق ، أو بالاحرى الشرح والايضاح ، فاستعمل العقل لقبول الوحي على قدر ما يمكن للمرء أن يدرك ويستوعب ويتفهم ، وانصرف في المجالات غير الايمانية الى استقراء العلوم مهما كانت مصادرها ومناهجها ووسائلها ، لانه لاتعارض بين العقل والوحي ، بل هو اختلاف مسافات لاينبغي أن يسبب خلافا أو قطيعة ، وهذه حالة متكررة في السابق واللاحق ، وهي عامة تشمل الأديان والمجتمعات كلها .

وإذ يصعب الابتعاد عن المثالية أو المادية في الطرح الفلسفي ، فان الايمان المستنير يجعل الانسان يستخدم طاقته العجيبة ، أي عقله ، في نور معطيات تضمن له مسارات سليمة ، بفضل وحي يقبله بوعي ، ويحاول ان يدرك جوانب منه ، دون ادعاءات امتلاك واحتواء وانهاء ، فتشحذ قابليته على الامتداد في رحاب الحقيقة الواسعة ، وتتخذ المحاولات مسارات عديدة تصب كلها في أصالة تقتضي تجدداً مستمراً .

ولأن المرء لايبدأ ابدا من الصفر ، ولا أي شعب ، وحضارة ، كـان لابدّ من الرجوع الى ارث السابقين ، دون رفض ، ولاتردد ، ولا تحزب ، ولا محاكاة تقليد تكراري لا ابداع فيه ، بل بنظر ودراسة واجتهاد وابداع • هذا ما فعله المجتمع الجديد المتكوّن بفضل المتغيرات التي حصلت منذ فجر الاسلام ، والذي تمخض عن تشكيلة مختلفة ورائعة منـذ تأسيس بغـداد وانفتاح المسلمين ، لاسيما على الصعيد الرسمي والقيادي ، على كل الآخرين، وبخاصة على علومهم ، كما على أداة المعرفة البشرية التي هي الفلسفة بمدارسها وفروعها[٢٠] ، وهي هذه الحالة ما دفعتهم الى انشاء بيت الحكمـة ، بـل بيوت حكمة ودور علم ، وتشجيع العلماء والمفكرين والفنانين ، فكانت نهضة ثقافيـة عظمى •

ولسنا نبغي هنا البحث في الزمان والمكان والاشخاص وتوثيق مايتصل ببيت الحكمة البغدادي من أمور تحتاج هي أيضا الى جملـة ايضـاحات ، ولانتوخى كذلك رصد النتاج العلمي الذي قام به هذا البيت طيلة عهوده ، ولا خزين الكتب التي حواها ، فلهذه كلها غير هذا المجال الذي أردناه لبحثنا •

نحو تشخيص لبيت الحكمة البغدادي

إن بيوت الحكمة ودور العلم عديدة في الديار العربية والاسلامية منذ ازدهار الحضارة العربية لاسيما منذ بواكير العهد العباسي ، انتشرت في البلاد منذ اشتهار بيت الحكمة البغدادي ، وربما على غراره ومن باب المنافسـة الثقافية[٢١] •

لكننا نتسـاءل : هل كان بيت الحكمة البغدادي خزانـة كتب ، أم دار نساخة ، أم مركز ترجمة ، أم دار علم ، أم بيت حكمة ؟ ونشرح المفردات هذه:

١ ـ المقصود بخزانة الكتب ما نصطلح عليه اليوم بالمكتبة ، ونحن على اطلاع واسع على خزانات كتب عمل على اقامتها الخلفاء والأعيان والعلماء ،

بدءاً بخالد بن يزيد في العهد الاموي ، وأبي جعفر المنصور في العهد العباسي، امتداداً لتراث مشرقي عريق يرجع الى بدايات الحضارة في بلاد الرافدين[٣٢] . وقد حاول الخلفاء العباسيون شتى المحاولات لجلب الكتب من أكثر من منشأ، ولاسيما من بلاد الروم ، مركزين على كتب العلوم والحكمة[٣٣] . فقد جاء في تاريخ ابن خلدون أن أبا جعفر المنصور راسل ملك الروم طالبا منه كتب الحكمة ، فبعث اليه بكتاب أقليدس وبعض كتب الطبيعيات[٣٤] . وقد نوهنا بما حصل أيام الرشيد والمأمون وغيرهما في سبيل الحصول على الكتب . ونرى بأن خزانة كتب بيت الحكمة ترجع الى أيام المنصور ، فلا ننتظر عهد الرشيد ، أو عهد المأمون ، كما يريد بعضهم[٣٥] . ولتأييد رأينا نورد نص الخطيب البغدادي ، نقلاً عن الأزهري ، قال : « أنبأنا عبيدالله بن عثمان بن يحيى ، قال : سمعت حامداً أبا علي الهروي يقول : سمعت الحسن بن محمد المؤدب ، قال : سمعت عماراً يقول : دخل محمد بن اسحق على المهدي » . ويصحح الأمر البغدادي فيقول : انه المنصور لا المهدي ، ويفيدنا بأن ابن اسحق ألقى الكتاب الكبير الذي وضعه في خزانة امير المؤمنين »[٣٦] . وثمة جملة شواهد على قيام « خزانة كتب » في عهد المنصور .

لكننا حتى بعد أن تأكدنا أن بيت الحكمة البغدادي يعني خزانة كتب ، وأن قيام الخزانة كان منذ أيام المنصور ، نتساءل : هل كانت هي الخزانة الوحيدة ، حتى على الصعيد الرسمي ؟ ونجيب : من المؤكد أنه كان هناك أكثر من خزانة كتب ، وأن بيت الحكمة البغدادي أكثر من خزانة كتب .

ويتصل بالكتب وحفظها نسختها ، وقد أبانت بعض النصوص دور بيت الحكمة البغدادي في استنساخ الكتب وتكثيرها ، فهل يمكن اعتباره أشبه بدار نشر أيضا ؟

٢ ــ من الوضوح بمكان أن بيت الحكمة البغدادي هو أيضا دار ترجمة ، فان شواهد كثيرة تدل على هذا الدور الرائد ، ولعله الأبرزبين أدوار

بيت الحكمة البغدادي ، صحيح أن الترجمات في الاسلام أقدم من العهد العباسي ، وقد نوهنا بدور خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الاموي ، فمنه يقول ابن النديم ، نقلاً عن محمد بن اسحق ، انه « عني باخراج كتب القدماء في الصنعة .. وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء ، وكان جواداً »[٢٧]. لكن الترجمة عرفت أوجها في العصر العباسي، ولاسيما في عهد الرشيد والمأمون ، ولا يسعنا أن نعتّم على دور خلفاء آخرين من بني أمية ، كمروان بن الحكم ، ففي عهده نقل ماسرجويه البصري كناش أهرن ابن أعين القس من السريانية الى العربية ، وفي خلافة عبدالملك بن مروان ترجمت الدواوين الى العربية ، بعد ان كانت في الشام بالرومية، وفي مصر بالقبطية ، وفي العراق بالفارسية ، ونقل أبو العلاء سالم كاتب هشام بن عبدالملك من رسائل أرسطاطاليس الى الاسكندر[٢٨] . لذا يبالغ المسعودي إذ يقول ان المنصور هو أول من ترجمت له الكتب ، منها كتاب كليلة ودمنه ، وكتاب السند هند ، وكتب أرسطاطاليس في المنطقيات ، وكتاب المجسطي لبطليموس ، وكتاب الارثماطيقي ، وكتاب أقليدس ، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية[٢٩] ، بينما من المؤكد أن ترجمات عدة تمت قبل عهد المنصور .

ومن المفيد والمهمّ التعرف على طريقة أو طرق الترجمة ، والمترجمين ، وتاجهم ، وربما خطّتهم ، وكل ما يتصل بهذه العملية الكبرى من أمور ، ولئلا نسهب ، نكتفي بالقول ان حركة الترجمة كانت ماتزال ضعيفة في العصر الأموي ، ولحقت بها تطورات عدة في زمن المنصور والرشيد ، لتبلغ نضجها أيام المأمون[٣٠] . واتبع المترجمون طريقة حرفية ، كيوحنا بن البطريق ، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي ، بينما اتبع غيرهم الترجمة بالمعنى ، وهي طريقة حنين بن اسحق ومدرسته[٣١] . أما أشهر النقلة فهم : حنين بن اسحق العبادي، يعقوب بن أسحق الكندي ، ثابت بن قرة الحراني، عمر بن فرخان الطبري ،

اسحق بن حنين ، قسطا بن لوقا البعلبكي ، سنان بن ثابت ، عيسى بن اسحق بن زرعة ، حبيش بن الحسن الأعسم • أما النتاج فغزير جداً ، لايسعنا الاحاطة به في هذه العجالة ، لذا نحيل الى أمهات المصادر والمراجع من يرغب الاطلاع عليه[٣٢] •

وتثير تساؤلا آخر هو من الاهمية بمكان ، هل كان بيت الحكمة البغدادي معهداً لتعلّم اللغات ، أولها العربية ، اذ من الضروري إتقانها لينشأ في البيت من هو أهل للترجمة والبحث • ولتعلم اليونانية خاصة التي عنها تمت معظم النقول ، والسريانية ، والفهلوية ، والهندية، فكلها ادوات ضرورية في عمل بيت الحكمة ، مانزال بحاجة الى مصادر ، وقراءة أكثر متعمقة ، وتأملات ، لكي تتمكن من الاجابة على مثل هذا السؤال •

٣ ــ وقامت دور علم هنا وهناك ، كما في بغداد والموصل ، ولعل دار علم جعفر بن حمدان الموصلي المتوفى عام ٣٢٣هـ/٩٣٤م) اقدم دار علم في الاسلام ، بينما أسس أبو نصر سابور بن أردشير ، الوزير البويهي (المتوفى عام ٤١٦ه / ١٠٢٥م) دار علم كان العلماء يخلدون ذكرهم بتقديم نسخة من تآليفهم اليها[٣٣] • لكننا سنبدي ملاحظة بحاجة الى مزيد من شرح وايضاح، مفادها : ان التسمية هي المختلفة ، اما واقع الحال ؟

هل يدخل ضمن هذا الاسم مراكز البحث العلمي ، المراصد ، المختبرات العلمية وغيرها من أماكن تلقى فيها التجارب العلمية أجواء تطور مستمر ؟ من المفروض أن تكون الامور كذلك ، لكننا حيال بحث فيه من الواقع وفيه من الطموح •

تفيدنا هنا كلمة في تصنيف العلوم ، وكان أفلاطون قد قسم العلوم الى ثلاثة أصناف :سفلى وهي الطبيعية ، ووسطى وهي الرياضية ، وعليا وهي معرفة المبدأ الاول والمثل • والعلوم حسب أرسطو نوعان : علم نظري وعلم عملي • العملي ثلاثة اقسام : الأخلاق ، تدبير المنزل ، السياسة ، والنظري

ثلاثة : الطبيعي ، والرياضي ، والالهي . ويمكن اعتبار الفنون نوعاً ثالثا . ويضيف الكندي الى ذلك العلوم الدينية ، ويضع الرياضيات في المقام الاول من حيث ضرورة الابتداء بها ، بينما كان أرسطو يركز على المنطقيات . ويؤكد الكندي بأنه من غاية الفلسفة التشبّه بالله بقدر طاقة الانسان ، ومعرفة الانسان نفسه من جهة صلتها بالانسان ، وهي علم الأشياء الابدية الكلية . ويقسّم الفارابي العلوم الى خمسة أقسام : علم اللسان ، علم المنطق، علم التعاليم (العدد ، الهندسة ، المناظر ، النجوم ، الموسيقى ، الاثقال ، الحيل ، الطبيعي والالهي ، العلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام . وبينما العلوم اللسانية والمنطق آلة ، يرى الفارابي بأن العلوم المطلوبة لذاتها هي علوم فلسفية وشرعية ، أما اخوان الصفا فيقسمون العلوم الى خبرية أو شرعية سماوية ، ونظرية وهي آدابية ، شرعية وضعية ، وفلسفية حقيقية تشمل الرياضيات والطبيعيات والمنطقيات والالهيات . والعلم عند ابن سينا نظري وعملي ، آلته المنطق . ومن المفيد التذكير بالفلسفة الاشراقية للغزالي[٣٤] ، لان تصنيف العلوم واعتبار الامر تحديداً للمسارات المعرفية كلها عليه مآخذ كثيرة ، ولعل اعتراض اوغست كومت على احلال اللاهوت و (الفقه) والفلسفة واعتبارهما نتاج طفولة ومراهقة ، واضفاء صبغة العلمية على العلوم الطبيعية الوضعية وحدها ، هو مؤشر لما ننوه به ، انما من منطق مختلف ، وقد أبان تطور الفكر والعلوم ان جميع هذه التصنيفات غير مكتملة الجوانب . وتظل الحكمة الأسمى بين ما يتمنى المرء بلوغه .

٤ ــ ويتخذ البيت صفة ، اسما ، بل هدفاً أسمى ، فهو « بيت حكمة »، بل «بيت الحكمة» ، وهو بهذا يفوق أي بيت سواه ، وتتساءل ايضا : لماذا هذا المكان ، أو هــذه المؤسسة ، أو هذه الظاهرة « بيت حكمة » ؟ هل بسبب المادة الحكمية التي تعطى وتدور فيها ، أم لما تهدف اليه من محصلة ، أم لمنهجية صلبها الحكمة ؟

ولعل اعطاء جواب شاف مايزال قبل أوانه ، لذا لابدّ من عودة ، وأكثر من عودة ، الى هذا الموضوع ، وهو الاهم بين مواضيع هذا البحث •

لكننا نتوقف قليلا لدى الحكمة ، وبوسعنا الاستفاضة ، فنمضي نستعرض المفاهيم والأبعاد والأنماط ، ونكتفي بنزر مما جمعه صاحب الفهرست في أخبار الفلاسفة ، فان خالد بن يزيد بن معاوية يسمي «حكيم» آل مروان ، « وكان فاضلا في نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم »[٣٥] • وأوسطو هو «الحكيم»، بل معناه « محب الحكمة»[٣٦] • وكذلك أفلاطون ، وقد ألف الفارابي كتاباً في الجمع بين رأيي الحكيمين ، ويمكن تعميم الصفة هذه على سقراط وغيره من فلاسفة ، ومعلوم بأن تفسير « فيلاسوفيا» هو « محبة الحكمة » ، ومعنى الفلسفة : « علم حقائق الاشياء والعمل بما هو أصلح »[٣٧] • وتدل اشارات كثيرة على أن المعنيين ببيت الحكمة كانوا على علم بكل هذا ، وان غرضهم الحقيقي كان توخيهم الحكمة بأوسع وأعمق معانيها • ولهذا امتدادات في التاريخ الحضاري لبلادنا ، منذ رائعة كلكامش وغيرها من روائع أدب وادي الرافدين في عهوده السحيقة في القدم ، كما أيضا في مقدمة وخاتمة شريعة حمورابي ، وفي المدارس المقامة ليس لتلقين القراءة والكتابة وحسب، بل لترسيخ دعائم الحكمة المكتسبة والمتطورة ، لان انساننا كان أبدا محبا للمعرفة ، وطالبا المزيد من العلم ، ومتوخياً الكشف المستنير لاستجلاء حقيقة لايمكن أن تنضب •

ويمتدّ الفكر بفضل انفتاح منهجي لايعرف الامتلاء والاكتفاء ، ويشتد توقداً وتوهجا بفضل حوار يتنادى فيه الأنا والآخر ، أيّاً كان هذا الآخر ، كائنا بشريا ، حيّاً ، جمادا ، فردا أو مجموعا ، ليعمق الحوار بقدر عمق المتحاورين ، وتفضل « الحوار » على المناظرة ، بل الحوار أفضل الطرق للمعرفة الناضجة ، ولم يخل بيت الحكمة البغدادي من محاورات حقيقية ، فهي المجالس العلمية التي اعتاد عليها شعبنا منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا •

هذا هو السبب الأعظم في قيام بيوت حكمة ودور علم ، بل هو في الاساس من ظهور بيت الحكمة البغدادي ، ولعلّنا سنستغرب حقا لو لم يقم في العاصمة الجديدة والعظيمة بغداد بيت بل بيوت حكمة ، لكنه الانفتاح والتحرر والاقتدار ما جعل بيت الحكمة البغدادي أن يحتلّ مرتبة لم يبلغها بيت حكمة آخر مكنته من مضاهاة ، بل من التفوق على أشهر المدارس العلمية والفكرية في العالم القديم والحديث •

خصوصية بيت الحكمة

لا أظن أني أغالي ان قلت ، من كل ما تقدمه المصادر المتوفرة ، أن بيت الحكمة البغدادي ، رغم ظاهرته الحضارية الكبرى ، لم يشمل العلم كلـه ، ولم يتناول الآداب والفنون ، والملاحظ أن الدراسات المتعددة لم تشخص هذا الواقع ، بل تناولت عادة المعطيات ورصدتها دون قراءات متعمقة تميط اللثام عن جوانب تتمنى لو نهض لها اكثر من متأمل •

لقد ركّز بيت الحكمة البغدادي على الفلسفة والعلوم التي كانت معروفة عهد ذاك ، وقد كان التركيز على أمرين بجلاء وتكثيف :

١ ــ ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية من اليونانية خاصة ، ومن لغات اخرى أو من خلالها ، وأهمها السريانية والفهلوية والهندية •

٢ ــ التحاور في موضوعات الفكر والعلم ، بأساليب عدة ، لاستيعاب الارث الحضاري القديم ، وتكييفه ، وتفعيله ، وانمائه •

قد يتبادر الى ذهن البعض ان هذين الامرين أقل مما كانت عليه عظمة بيت الحكمة في بغداد ، وقد يعتبره انتقاصا من شأن هذا البيت الكبير • لكننا متى تمعّنا في المعطيات والامور ملياً ، واضعين الذات في اطار تاريخي حقيقي ، ومنظور حضاري واقعي سليم ، تجلت أمام أعيننا أهمية العمل الذي أتاه بيت الحكمة البغدادي ، واتّضح لاريب دوره الريادي العظيم في بلورة حضارة عربية متميّزة راقية •

لم يعن بيت الحكمة البغدادي بالدين ، ولم ينصرف الى الاداب والفنون، بل ركز ، كما قلنا ، على الفلسفة والعلوم • وهذا طبيعي ، لان الدين الجديد، الإسلام ، وعلومه ، كانت له مجالات أخرى ، فلم يكن ماينتفع به ، دينيا وأدبيا ، اقلّه قبل أن تقطع العلوم الدينية الاسلامية شوطا لابأس به في توفير مادة كافية يتيح للعلماء والفقهاء والمفكرين ان يتعاملوا بيسر مع علوم أديان أخرى ، بل لقد كان هناك مايحول دون تقبل تراث اليونان في المجال الديني خاصة ، فهو «وثني» ، ومن ثمة فهو مرفوض من قبل الاديان السماوية، وهذا ما فعلته المسيحية أيضا قبل ذلك ، وربما زادت المسيحية فرفضت مجمل التراث اليوناني ، ومع ذلك عرف هذا التراث ان يتسرب الى المسيحية ، ثم الى الاسلام ، أقله فلسفيا وعلميا •

وكذلك الحال بالنسبة للاداب والفنون ، فقد كان على المجتمع الاسلامي الحديث نوعا ما أن يمتنع عن آداب وفنون أممها من المعتقدات والمثل والافكار ما لاينسجم وتعاليم الاسلام • وطبيعي جدا ان يمرّ وقت يعمل على تبلور الافكار بل التقاليد الجديدة قبل الاقدام على مواجهة معطيات ثقافية ذات تأثير كبير على الجماهير ، كالآداب والفنون •

وأعتقد اننا مازلنا بحاجة الى ايضاح المسارات الثقافية التي سلكها العرب والمسلمون منذ بدايات الاسلام ، والدولة العباسية (لكي نظل ضمن اطار البحث الحالي) ، وحتى ازدهار النهضة في العصر العباسي •

ونعود الى صلب موضوعنا فنقول : تأتي خصوصية بيت الحكمة البغدادي من قدرته الكبيرة على تشخيص مواطن الحضارة ومصادر الفكر والعلوم ، وهذه هي عملية كشف ورصد ، وتأتي خصوصيته وعظمته من قدرته على الوصول الى الكتب الفكرية والعلمية التي كانت تشكل مركز الثقل الحضاري ، مع العلم بأن الحصول عليها لم يكن بالسهولة التي نظن ، بل كانت من العسر المحبط والمكلف ، بل المستحيل • ولم يكن ليتحقق هذا

الانجاز العظيم لولا انفتاح الدولة العربية الاسلامية ، بقيادتها وشعبها ، على العالم الآخر ، رغم الفروقات والتباينات فيأمور عديدة منها ماهو بالغ الاهمية، وكان لابدّ من توفير كل المستلزمات لتكون أدوات صالحة للبحث والعمل ، اضافة الى إشاعة أجواء ملائمة وسخاء في العطاء والتكريم لتشجيع العلماء والحكماء والعاملين ، كل بحسب ابداعه •

وهل لنا أن نقول بأن العديد من مجالس المناظرة والتحاور انما قامت بفضل بيت الحكمة البغدادي ، او انه قد شجع قيامها وانتشارها ؟

خلاصة وامنيـة

لو شئنا تلخيص ما عرضناه وامتحناه ، لتبيّن أن بيت الحكمة البغدادي استوعب ما يلي من مهام برزت احداها أو انحسرت وفقا للازمنة والتركيز ، وهـي :

١ ـ معهد علمي وفكري ولغوي متخصص
٢ ـ مركز ترجمـة وبحوث
٣ ـ خزانة كتب وتوثيق ومؤسسة نساخة كتب
٤ ـ مقرّ تحاور علماء وحكماء
٥ ـ لكنه قبل وفوق كل شيء : مؤسسة لها خصوصيتها في توفير أجـواء المعرفة ، وادواتها ، فكريا وعلميا ، من خلال معطيات الحضارة العالمية وبوضع افضل الامكانيات البشرية والمادية في متناول أيدي النقلـة والمفكرين والعلماء ، لغرض بناء حضارة عربية أصيلة ورفيعة •

فكان لبيت الحكمة دور ريادي في مسارات الفكر والعلم في العالم، وبلغت بغداد الحضارة أوج مجدها لتمكنها من قيادة حركة ثقافية متميزة ، كان لاحتضان العلماء والمفكرين والادباء والفنانين ، والافادة من ارث الاقدمين، أبرز المظاهر • وما نزال بحاجة الى تشخيص التطوير الذي قامت بـه بغداد

الخضارة في حركة العلوم والفكر للتعرف على الاسهام الذي قام به بيت الحكمة البغدادي واضفائه لبنات خاصة في صرح العمران الحضاري البشري.

تتمنى أن يضع بيت الحكمة البغدادي الجديد هذه المعطيات وغيرها أمامه ، وان تحركه التساؤلات التي طرحنا شيئا منها للنهوض بمشروع حكمي علمي جليل يطور بحوثا تنفتح على انساننا المعاصر ابداعات مشرقة بمنهجية دقيقة وبروح الاصالة والحداثة ، والانفتاح والمواكبة ، فتثرى الحضارة ويبنى العمران البشري .

الهوامش :

(١) راجع بعض ما كتب بلغات أجنبية :

O. PINTO, Le biblioteche degli Arabi neil ete degu Abbassidi, Firenze 1928; D. SOURDELL, Bayt al-Hikma, El, 1, 1960; 1175 Y. ECHE, Les bibliotheques arabes publiques et semi-publiques en Mesopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen Age. Damas 1967; M. - G. BALTY-GUESDON, Le Bayt al-Hikma de Baghdad, in Arabica XXXIX, 1992, 131-150.

وانظر بالعربية : سعيد الديوهجي ، بيت الحكمة ، الموصل ١٩٧٢، محمد ماهر حماده ، المكتبات في الاسلام ، ط٣ بيروت ، ١٩٨١ .

(٢) انظر امهات الكتب العربية التي عالجت موضوع بيت الحكمة البغدادي ، وهي عادة البحوث التي تناولت عصر الحضارة الذهبي في بغداد ، وقد ورد ذكر قسم منها في تضاعيف هذا البحث ، اضافة الى ما جاء في الهامش السابق .

(٣) كتاب طبقات الامم لابن صاعد الاندلسي ، بيروت ١٩١٢ (ص ٦٣-٦٤).

(٤) والمنصور اول من قرب المشتغلين بصناعة النجوم ، ومنهم نوبخت المجوسي المنجم ، وابراهيم الفزاري ، وعلي بن عيسى الاسطرلابي، وهو اول من ترجمت له منطقيات اليونانيين ، وفي زمانه اشتهر ابن المقفع والحجاج بن مطر وغيرهما ممن حققوا ترجمات عديدة . انظر : مروج الذهب للمسعودي ، ج٤ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، الفهرست لابن النديم، ص ٣٠٤ ، عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، ص ٢٨٢.

(٥) تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ٦٧ ، طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ، ص ٦٧ ، عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، ص ٢٨٢ .

(٦) مروج الذهب للمسعودي ، ج٣ ، ص ٤٣٢ ، ابن ابي أصيبعة ، ص١٨٣.
(٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٤٦ .
(٨) تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ٢٥٥ .
(٩) الفهرست ، ص ٣٠٣-٣٠٥ .
(١٠) الفهرست ، ص ٣٠٤ .
(١١) مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٤٣٢ ، ويفيد التذكير بقول ابن دحية الكلبي في مجالسة الخليفة المأمون للعلماء ونفحهم بالمال وامدادهم بالكتب . راجع النبراس في تاريخ بني العباس ، بغداد ١٩٤٦ ، ص ٤٦-٤٨ .
(١٢) ابن ابي أصيبعة ، ص ٢٢٩ .
(١٣) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٦٢ .
(١٤) الفهرست ، ص ١١٨ .
(١٥) مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٤٨٩ .
(١٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٢٩ ، مروج الذهب للمسعودي ، ج٣ ، ص ٤٧٩ .
(١٧) فمن رعاة الترجمة من غير الخلفاء شخصيات كبيرة في الدولة كالبرامكة وبني موسى بن شاكر ، وبعض افراد آل بختيشوع ، وحنين ابن اسحق ومدرسته ، وسلمويه بن بنان ، ومحمد بن عبدالملك الزيات . راجع: رشيد حميد حسن الجميلي ، حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، طرابلس ١٩٨٢ ، ص ١٤٧-١٧٣ .
(١٨) عبدالستار عزالدين الراوي ، ثورة العقل ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ٧ .
(١٩) الفهرست ، ص ٣٠٢ .
(٢٠) يستشهد الشيخ محمد الخضري بك بقول الخطيب البغدادي : «لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة امرها وكثرة علمائها واعلامها وتميز خواصها وعوامها وعظم اقطارها وسعة اطوارها وكثرة جورها ومنازلها ودروبها وشوارعها ومحالها واسواقها وسككها وازقتها ومساجدها وحماماتها وطرقها وخاناتها وطيب هوائها وعذوبة مائها ورد ظلالها وافيائها واعتدال صيفها وشتائها وصحة ربيعها وخريفها وزيادة ما حصر من عدد سكانها» . انظر : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ، الدولة العباسية ، مصر ١٩٧٠ ، ص ٧٩ ، ويمكننا الاكثار من الشواهد .
(٢١) فقد قامت بيوت حكمة في القيروان ، والقاهرة ، وطرابلس ، ومراغة وغيرها من المدن والديار .

(٢٢) راجع شيئا مما كتب عن الكتابة والمدرسة والمكتبات في الحضارات القديمة . وانظر : كوركيس عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة ، بغداد ١٩٤٨ .

(٢٣) يؤكد ذلك كل المؤرخين العرب القدامى ، وقد استشهدنا في تضاعيف هذا البحث بالمسعودي وابن النديم وصاعد وابن خلدون والقفطي وابن ابي اصيبعة وغيرهم .

(٢٤) تاريخ ابن خلدون ١ ، ص ٤٠١ .

(٢٥) انظر على سبيل المثال ما يؤكده صاعد الاندلسي ، ص ٦٣-٦٤ .

(٢٦) لدى الفيكونت دي طرازي ، خزائن الكتب القديمة في الخافقين ، بيروت ، ص ٩٩ .

(٢٧) الفهرست ، ص ٤١٩ . وانظر : فاضل خليل ابراهيم ، خالد بن يزيد ، بغداد ١٩٨٤ .

(٢٨) انظر : دي لاسي اوليري، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب،ترجمة د. وهيب كامل ، القاهرة ١٩٦٢ ، في اكثر من مواضع . وكذلك ماكس مايرهوف ، من الاسكندرية الى بغداد ، في : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٤٦ ، وغير ذلك من مراجع عديدة في هذا الباب .

(٢٩) الفهرست ، ٣٠٣ ، وراجع جداول فينريخ ،برجشتر اسر ، شتاينشنيدر، بروكلمن ، سيزكين ، وهي معروفة لدى الباحثين .

(٣٠) راجع حصيلة دراسة رشيد حميد حسن الجميلي ، كما في الهامش ١٧، ص ٤٤٥ فما بعدها .

(٣١) يوسف حبي ، حنين بن اسحق ، بغداد ١٩٧٤ .

(٣٢) الفهرست ، ص ٣٠٤-٣٠٦ .

(٣٣) الديوهجي ، بيت الحكمة ، ص ٧٣-٨٢ .

(٣٤) حسام الدين الالوسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، بغداد ١٩٩٢ ، ص ١٩٩ فما بعدها .

(٣٥) الفهرست ، ص ٣٠٣ .

(٣٦) الفهرست ، ص ٣٠٧ .

(٣٧) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، مصر ١٣٤٢ ه ، ص ٧٩ .



الكتب الواردة والمهداة
الى مكتبة المجمع العلمي
للدورات المجمعية ١٩٩٠–١٩٩٣
القسم الثالث

اعداد : صباح ياسين الاعظمي
مدير المكتبة

السياسة والقانون والاقتصاد

★ الآلة الحاسبة

تأليف ، المرزاني ، ترجمة ، عادل سليمان ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ١٢٨ صفحة .

★ الإتجاهات التعصبية

تأليف ، معتز سيد عبدالله ، الكويت ١٩٨٩ ، ٣٠٢ص .

★ الإتصال بالجماهير

تأليف ، اريك بارنو ، ترجمة صلاح عزالدين ، وفؤاد كامل ، وأنور المشري ، القاهرة ١٩٥٨ ، ٤١٦ص .

★ الاحزاب السياسية في العالم الثالث

تأليف ، أسامة الغزالي حرب ، الكويت ١٩٨٧ .

★ الاحزاب العربية الفلسطينية ، ١٩٠٩–١٩٤٨

تأليف ، يوسف عبدالمنعم الزين ، عمان ١٩٩١ ، ١١١ ص .

★ الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة العربية خلال القرن السادس الهجري

تأليف ، سوادي عبد محمد ، بيروت ١٩٨٩ ، ٤٨٠ص .

★ الاحوال الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة وصور التغيير في العالم الاسلامي (الندوة الفكرية التي عقدت بالتعاون مع كلية الآداب)

أقامها ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة ، عمان ١٩٨٥ ، ٤٨٧ صفحة .

★ آراء في الحرب

تأليف ، أكرم ديري ، بيروت ١٩٧١ ، ٢٥٧ ص .

★ ارتيريا بين احتلالين

تأليف ، ممتاز العارف ، بغداد ١٩٧٩ ، ٤٥٣ ص .

★ آسيا

تأليف ، وفيق حسين الخشاب . بغداد ١٩٦٤ ، ٥٣٦ ص .

★ الاساليب الكمية في الادارة

تأليف ، الدكتور مهدي حسن زويلف ، بغداد ١٩٩٠ ، ٢٨٨ ص .

★ الاستراتيجية الاسرائيلية للفترة (١٩٦٧-١٩٨٠)

تأليف ، الدكتور غازي اسماعيل ربابعة ، الاردن ١٩٨٣ ، ٦٧٤ ص .

★ الاستعمار الاستيطاني للمناطق العربية المحتلة خلال عهد الليكود

تأليف ، خالد عايد ، بيروت ١٩٨٦ ، ٣١٠ ص .

★ أسرى الحرب في الاسلام والقانون الدولي

تأليف ، الدكتور محي هلال السرحان وآخرون ، بغداد ١٩٨٦ ، ١٢٤ص .

★ اشكال الزراعة العربية (رؤية اقتصادية معاصرة)

تأليف ، سالم توفيق النجفي ، بيروت ١٩٣٩ ، ١٥٥ص .

★ أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي

تأليف ب.س.لويد ، ترجمة ، شوقي جلال ، الكويت ١٩٨٠ ، ٣٩٧ ص .

★ الأمان الصناعي

ترجمة ، المهندس محمد عبدالمجيد نصار ، مطابع الاهرام التجارية ، ٢١٨ ص .

★ اقتصاديات الانسان

تأليف ، اسماعيل ابراهيم ، الكويت ١٩٨٨ ، ٢٥٦ صفحة .

★ أوربا الاثنتي عشرة دولة والاخرون .

تأليف ، لجنة في الاكاديمية المغربية ، المغرب ، ١٩٩١ ، ٢٠٥ صفحة + ١٣٨ ص .

★ أوربا والتخلف في أفريقيا

منشورات في عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨١ .

★ الإيديولوجية الصهيونية

تأليف ، عبدالوهاب محمد المسدي ، الكويت ١٩٨٨ ، ٤١١ ص .

★ البرمجة بلغة كونول

تأليف ، الدكتور مكي هادي جواد وآخرون ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٤٥ص.

★ البنك الدولي والعالم العربي

تأليف ، الدكتور ابراهيم شحاته . ترجمة مصطفى ماهر ، القاهرة ١٩٩٠ ، ١٨٦ص .

★ بوش يقتل أطفال العراق

اعداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٠ ص .

★ التبشير والاستعمار في البلاد العربية

تأليف ، عمر فروخ ، بيروت ١٩٥٧ ، ٢٤٠ ص .

★ التدابير التي ينبغي اتخاذها والوسائل اللازم تثبيتها في حالة وقوع حادثة نووية

اعداد ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٨٧ ، ٢٦٨ ص .

★ تجارب استصلاح الاراضي

اعداد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الكويت ١٩٨٤ ، ٣٢٩ص.

★ تحت شعار دور الدراسات الانسانية في التأهيل الحضاري ، مرحلة مابعد الحرب

ندوة المؤتمر العلمي الثاني لكلية الآداب ، بغداد ١٩٨٩ ، ٣٦٧ ص .

★ تخطيط التنمية الاقتصادية في العراق في ضوء فكر الرئيس القائد صدام حسين

تأليف ، وليد خالد الجماص ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٢٢ص .

★ التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي

تأليف ، مجيد مسعود ، الكويت ١٩٨٤ ، ٢٨٤ص .

★ التشكيلة القانونية ، التعهد بنقل الملكية العقارية والشقق السكنية

تأليف ، مكي ابراهيم مصطفى ، بغداد ١٩٨٩ ، ٢١٥ ص .

★ تصفية أيار ـ مايو ، ومهمات المرحلة الراهنة

تأليف ، بدرالدين المدثر ، لندن ، ١٠٨ ص .

★ التطور الاقتصادي في السودان ، جوانب من قضايا

منشورات ، حزب البعث الاشتراكي ، لندن ١٩٧٧٧ ، ٢٧٠ ص .

★ تطو رالحركة الوطنية في السودان

تأليف ، أحمد ابراهيم ديا ب، الكويت ١٩٨٤ ، ٣٧٩ص .

★ تطور الفكر القومي العربي من خلال العلاقات العربية التركية

تأليف ، تاج السر أحمد جران ، بغداد ١٩٨٢ ، ١١٢ ص .

★ التطورات والاتجاهات السياسية في العراق (١٩٥٣ــ١٩٥٨)
تأليف ، جعفر عباس حميدي ، بغداد ١٩٨٠ ، ٣٧٢ ص.
★ التعاون ومستقبل الحركة التعاونية في العراق
تأليف ، سعيد عبدالخالق ، بغداد ١٩٦٥ ، ٢١٦ ص .
★ تقرير صندوق الامم المتحدة للنشاطات السكانية
تقرير أعدته الامم المتحدة ، ١٩٧٨ ، ٢٢٨ ص .
★ تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣
اعداد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٣ ، ٢٣١ ص .
★ تنسيق السياسات والخطط العلمية والتقنية فى الدول العربية المتقدمة والدول النامية
اعداد ، المكتب الدولي للتربية التابع لمنظمة اليونسكو . تحقيق ، كمال رفيق الجراح ، وسحر عبدالواحد ، بغداد ١٩٩٣ ، ٦٤ ص .
★ التنمية في دول مجلس التعاون الخليجي
تأليف ، محمد توفيق صادق ، الكويت ١٩٨٦ ، ٣٥٥ ص .
★ ثورة ١٤ تموز ، أسرارها ، أحداثها ، رجالها
تأليف ، جاسم كاظم العزاوي ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٠٢ص .
★ ثورة ١٤ تموز في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة الغربية
تأليف ، علاء موسى كاظم نورس ، بيروت ١٩٩٠ ، ١٦٠ ص .
★ ثورة العشرين
تأليف ، ل.ن. كوتلوف ، تعريب ، الدكتور عبدالواحد كرم ، مراجعة عبدالرزاق الحسني ، بغداد ١٩٧٥ ، ١٨٩ ص .
★ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢
تأليف ، مجدي حماد ، بيروت ١٩٩٣ ، ٢٧٢ ص .

★ ثورة العرب الكبرى ١٩١٦
تأليف ، عضو جمعية سرية عربية • عمان ١٩٩١ ، ١١٤ ص •
★ جغرافية الاقتصاد الزراعي والمقومات والانتاج
تأليف ، علي وهب ، بيروت ١٩٨٧ ، ٢٣٠ ص •
★ جولة في السياسة الدولية
تأليف ، حسين الابراهيم ، الكويت ١٩٧٨ ، ٢٧٨ ص •
★ جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر
تأليف ، محمود شبيب ، بغداد ١٩٨٥ ، ١٩٨ص •
★ حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ألرواية الاسرائيلية الرسمية
ترجمة ، أحمد خليفة ، بيروت ١٩٨٤ ، ٧٧٥ص •
★ الحرب والتقدم البشري ، دراسة في نشأة الحضارة والصناعة
تأليف ، جون نيف ، ترجمة ، محمد عبدالحميد رؤوف ، فارس فـرج قصيرة ، ابراهيم جلال ابراهيم ، بغداد ١٩٩٠ ، جـ١ ، ٢٤٥ ص •
★ حرب المياه في الشرق الاوسط
تأليف ، عزالدين طوقان عزالدين ، عمان ١٩٩٠ ، ٢٣٣ص •
★ حروب المياه العربية ، نزاع الشرق الاوسط في السنوات العشر القادمة
تأليف ، فهد مقبول الغبين ، عمان ١٩٩١ ، ٧٠ص •
★ الحزب الناصري ، قضايا ووثائق
تأليف ، كمال أحمد ، مركز الدلتا للطباعة ١٩٨٧ ، ٤٣٧ص •
★ الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية (مهنتي كملك)
تأليف ، الحسين بن طلال ، الاردن ، عمان ، ١٩٨٧ ، ٢٧٩ص •
★ حصيلة الثورة العراقية في النتاج الفكري ١٩٢٠ـ١٩٨٣
تأليف ، كامل سليمان الجبوري ، بغداد ١٩٨٨ ، ٢٠٠ ص •

★ الحفاظ على الطاقة في دول مجلس التعاون العربي •

تأليف ، الدكتور نجيب نجم‌الدين ، بغداد ، ٣٧ ص •

★ حوار بين الالمان والعرب

تأليف ، مصطفى ماهر ، القاهرة ١٩٧٦ ، ٣٠٥ ص •

★ حول قضايا النضال وجرائم النظام

تأليف ، بدرالدين مدثر ، لندن ١٩٨٥ ، ٥٠ص •

★ دراسات في اقتصاديات الوطن العربي

تأليف ، عبدالوهاب مطر الداهري ، الكويت ١٨٩٢ ، ٢٤٦ ص •

★ دول مجلس التعاون الخليجي

تأليف ، بدرية عبدالله العوصي • الكويت ١٩٨٥ ، ٢٤٠ ص •

★ الدولة والتنمية في المغرب العربي تونس النموذجا

تأليف ، عبداللطيف الهرماسي ، تونس ١٩٩٣ ، ٢٦٨ ص •

★ الديمقراطية

تأليف ، دليل تيرمن ، ترجمة ، محمد بدران ، مصر ١٩٣٨ ، ٢٤٩ ص •

★ الديمقراطية والضرورة وسباق المبادىء

تأليف ، الدكتور صباح ياسين ، بغداد ١٩٨٠ ، ٥٦ ص •

★ الرأسمالية تجدد نفسها

تأليف ، فؤاد مرسي ، الكويت ٢٦٩ ص •

★ الزلال السوفيتي

تأليف ، محمد حسنين هيكل ، دار الشروق ١٩٩٠ ، ١٢٧ ص •

★ زيارة السادات لاسرائيل ، وثائق وتعليقات اسرائيلية

تأليف الدكتور الياس شوفاني ، بيروت ١٩٧٨ ، ١٣٨ ص •

★ السلاح الاتفاق العسكري في الوطن العربي
تأليف ، عبدالرزاق الفارس ، بيروت ١٩٩٣ ، ٤٢٩ ص •
★ السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة
تأليف ، محمد حسين هيكل ، بيروت ١٩٨٨ ، ٣٣٥ ص •
★ السيادة العربية
تأليف ، فان فلوتن ، القاهرة ١٩٣٤ ، ١٦٦ ص •
★ السياسة الايرانية في الخليج العربي
تأليف ، علاء موسى كاظم نورس ، الكويت ١٩٨٢ ، ١٠٩ ص •
★ السياسة الخارجية للجمهورية العراقية
تأليف ،هاشم جواد ، بغداد ١٩٦١ ، ٣٢ ص •
★ سياسة العراق التجارية
تأليف ، مظفر حسين جميل ، القاهرة ١٩٤٩ ، ٧٠٦ ص •
★ السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي
تأليف ، احمد شلبي ، القاهرة ١٩٦٧ ، ٣١٨ ص •
★ الشرق في مرآة الغرب
تأليف، ن• فايشر ، الجزائر ١٩٨٣ ، ١٠٦ ص •
★ صدام حسين (أعماله الكاملة) (باللغة الكردية) تأليف ، صدام حسين ، طبعت ببغداد ، ١٩٨٩ ، ج١ — ج١٠ × م١٠ (دورة كاملة)•
★ صدمة المستقبل (المتغيرات في عالم الغد)
تأليف ، الفين توفلر ، ترجمة محمد علي ناصف ، القاهرة ١٩٩٠ ، ٥١٥ ص •
★ صفحات من مذكرات السيد حسين كمال‌الدين أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ •
تأليف ، كامل سلمان الجبوري ، ١٩٨٧ ، ٤٠ ص •

★ صفحات من مذكرات السيد سعيد كمال الدين أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠

تأليف ، كامل سلمان الجبوري ، بغداد ١٩٨٧ ، ٢٤ ص .

★ صفحات من مذكرات السيد سعد صالح أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠

تأليف ، كامل سلمان الجبوري ، بغداد ١٩٨٧ ، ٣٦ ص .

★ صفحات من مذكرات عبدالحميد الزاهد من المشاركين باعداد الثورة العراقية ١٩٢٠

تأليف ، كامل سلمان الجبوري ، بغداد ١٩٨٧ ، ٣٦ ص .

★ الصهيونية

تأليف ، عمر رشدي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ٤٣٧ ص .

★ ضرورة الانسان الاقتصادي من أجل الاقلاع الاقتصادي لدول أوربا الشرقية

تأليف ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٩١ ، ٢٣٤ ص .

★ ضوابط الارتباط بين الدعوتين الجنائية والمدنية الناشئتين عن مرافعة واحدة

تأليف ، مكي ابراهيم لطفي ، بغداد ١٩٠٩ ، ٦٣ ص .

★ عبدالكريم قاسم ، البداية والسقوط

تأليف ، جمال مصطفى مردان ، بغداد ١٩٨٦ ، ١٧٥ ص .

★ عبدالكريم قاسم بدايات الصعود ، اللغز المحير

تأليف ، خليل ابراهيم حسن ، بغداد ١٩٨٦ ، ٤٠٥ ص .

★ عبدالكريم قاسم الحقيقة

تأليف ، هادي حسن عليوي ، بيروت ١٩٩٠ ، ١٩٠ ص .

★ عبدالكريم قاسم وساعاته الاخيرة

تأليف ، أحمد فوزي ، بغداد ١٩٨٨ ، ٢٥٦ ص .

★ العراق ، شهادة سياسية

تأليف ، حسين جميل ، بغداد ١٩٨٧ ، ٣١٠ ص .

★ العراق في ظل المعاهدات

تأليف ، عبدالرزاق الحسني ، بغداد ١٩٨٠ ، ٢٣٧ ص .

★ العراق في مذكرات الدبلوماسيين

تأليف ، نجدة فتحي صفوت ، بيروت ١٩٦٩ ، ٢٠٣ ص .

★ العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦

تأليف ، نجدة فتحي صفوت ، البصرة ، ١٩٨٣ ، ٥٠٣ ص .

★ العراق في عهد عبدالكريم قاسم ، دراسة في القوى السياسية والصراع الايدلوجي ١٩٥٨–١٩٦٣ .

تأليف ، محمد كاظم علي ، بغداد ١٩٨٩ ، ٣٩٧ ص .

★ العرب والتحدي الصليبي

تأليف ، الدكتور رشيد عبدالله الجميلي ، بغداد ١٩٩١ ، ١١٠ ص .

★ العرب والعالم

تأليف ، كارمن رايلي ، الكويت ١٩٨٦ ، ٣٥٢ ص .

★ العقيدة الاستراتيجية الامريكية ودبلوماسية الولايات المتحدة

تأليف ، حازم طالب مشتاق ، وهدى حبشي ، بغداد ١٩٨٧ ، ١٢١ ص .

★ العقيدة العسكرية في فكر القائد صدام حسين

تأليف ، علاء حسين مكي خماس، بغداد ١٩٨٩ ، ١٩٠ ص .

★ العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب العالميـة

تأليف ، زكي النقاش ، بيروت ١٩٤٦ ، ٢٥٩ ص .

★ العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين
تأليف ، الرائد نهاد عباس شهاب الجبوري ، بغداد ١٩٨٧ ، ٢١٢ ص .
★ العنوان الصحفي (التنسيق بين الاقسام)
تأليف ، فتحي خليل ، بغداد ١٩٨٢ ، ٣٤ ص .
★ الفائدة القانونية ، شرح ومتابعة دراسة مقارنة للفوائد في الوطن العربي
تأليف ، مكي ابراهيم لطفي ، بغداد ، ٢٤٠ ص .
★ الفكر السياسي في العراق المعاصر
تأليف ، فاضل حسين ، الكويت ١٩٨٤ ، ١٤٧ ص .
★ فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢–١٩٣٩
تأليف ، الدكتور كامل محمد دخلة ، طرابلس ١٩٧٤ ، ٨٥٥ ص .
★ فـن القضاء
تأليف ، ضياء شيت خطاب ، الكويت ١٩٨٤ ، ١٢٨ ص .
★ الفيضان (وثيقة تسجيلية لانتفاضة ١٩٨٥)
تأليف ، التجاني حسين دفع السيد ، بغداد ١٩٨٥ ، ١٠٤ ص .
★ في علم السياسة الاسلامي
تأليف ، الدكتور عبدالرحمن خليفة ، القاهرة ١٩٩٠ ، ٤٥٠ ص .
★ القات في حياة اليمن واليمانيين
تأليف ، مركز الدراسات والبحوث في اليمن ، بيروت ١٩٨٢ ، ٣١٣ ص .
★ قانون السلام في الاسلام
تأليف ، محمد طلعة القيسي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٩ .
★ القدس الشريف ، وثائقها وسجلاتها ومخطوطاتها المصورة في مـركز الوثائق والمخطوطات
تأليف ، محمد عدنان البخيت ، الاردن ١٩٩١ ، ٥٤ ص .

★ القضية اللبنانية

تأليف ، بدرالدين عباس الخصوصي ، القاهرة ١٩٧٨ ، ٢٢١ ص .

★ القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ — ١٩٤٨

تأليف ، نيسان نويهض الحوت ، بيروت ١٩٨٦ ، ٩٨٥ ص .

★ الكبار الثلاثة ، ثورة ١٤ تموز في ١٤ ساعة

تأليف ، عبدالجبار العمر ، بغداد ١٩٩٠ ، ٢٠٩ ص .

★ كفــاحي

تأليف ، أدولف هتلر ، بيروت ٢٨٧ص .

★ كيف يفكر البعثيون في سودان مابعد نميري

تأليف ، بدرالدين مدثر ، لندن ٤٠ ص .

★ لمحات ميدانية في الزراعة الاروائية في العراق

تأليف ، حميد نشأة اسماعيل ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٦٣ ص .

★ كشاف المؤلفات الكاملة للسيد الرئيس صدام حسين

اعداد ، جميل العلوجي ، بغداد ١٩٨٩ ، ٦٦٣ ص .

★ المؤلفات الكاملة للسيد الرئيس صدام حسين

بغداد ١٩٨٩ ، ج١ــج١٨ × م١٨ .

★ مجموعة المحاضرات عن وظائف مدراء القاصرين

تاليف ، الحاج حمدي الاعظمي . بغداد ١٩٣٤ ، ٥٧ ص .

★ الموجز في الجنسية ومركز الاجانب

تأليف ، الدكتور شمس الوكيل ، الاسكندرية ١٩٦٩ ، ٤٦٨ ص .

★ محاضرات علم المالية

تأليف ، عبدالاله أفندي ، مطبعة العراق ١٩٣٠ ، ١٦٨ ص .

★ محاولات القضاء على عبدالكريم قاسم

تأليف ، هادي حسن عليوي ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٤٣ ص .

★ المحنة العربية ، الدولة ضد الأمة

تأليف ، برهان غليوني ، بيروت ١٩٩٣ ، ٤٠٣٢ص .

★ المبسوط في المسؤولية المدنية ، (١) الضرر

تأليف ، الدكتور حسن علي الذنون ، بغداد ١٩٩١ ، ٣٨٢ص .

★ المجلس التأسيسي العراقي

تأليف ، الدكتور محمد مظفر الادهمي ، بيروت ١٩٨٩ ، ج١ ـ ج٢×م٢، ٢٦٦+٣٢٠ ص .

★ مذكرات الحاج عبدالرسول تويج من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠

تأليف ، كامل سلمان الجبوري ، بغداد ١٩٨٧ ، ٥٤ ص .

★ مذكراتي السياسية في واشنطن

تأليف ، حسين مصطفى النعمة ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٩٢ ص .

★ مستقبلنا المشترك

تأليف ، علي حسين الحاج ، الكويت ١٩٨٩ ، ٥١٦ ص .

★ مشاكل التربية وقضايا البيئة في غرب آسيا

تأليف ، اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا ـ القاهرة ، ٣٤١ ص .

★ معركة الجهراء ما قبلها وما بعدها

تأليف ، بدر خالد البدر ، الكويت ١٩٨٠ ، ١٠٨ ص .

★ مقدمة في الاحصاءات

★ ملامح في اقتصاديات الزراعة في الوطن العربي

تأليف ، يحيى جميل القدو ، بغداد ١٩٨٥ ، ١٤١ ص .

★ من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين

اعداد ، وزارة الدفاع ، بغداد ١٩٨٢ ، ٢٨٥ ص ، ج٢ .

★ المنهج الفلسفي للرفض العربي
تأليف ، حازم طالب مشتاق ، بغداد ١٩٧٧ ، ٨٦ ص .

★ مواقف مع نضال الشعب من اجل الديمقراطية
تأليف ، حزب البعث العربي الاشتراكي السوداني ، لندن ١٩٨٥ ، ٢١٢ ص .

★ ندوة الاقتصاد الاسلامي
اعداد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الكويت ١٩٨٣ ، ٤٨٩ص.

★ ندوة تطبيق المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية على التخطيط والاستراتيجية في الوطن العربي
اعداد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٨٧ ، ٣٩٥ ص .

★ ندوة البداوة في الوطن العربي
اعداد ، معهد البحوث والدراسات العربية . بغداد ١٩٨٧ ، ٢٥٠ ص.

★ النظام الاساسي والنظام الداخلي لاتحاد مجالس البحث العلمي العربية
اعداد ، اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ، بغداد ١٩٨٢ ، ٣٦ ص.

★ النظام الاعلامي الجديد .
تأليف ، مصطفى المحمودي ، الكويت ١٩٨٥ ، ٣٤٤ ص .

★ نظام وزارة المعارف رقم ٥٨ لسنة ١٩٤٦
اعداد ، وزارة المعارف ، بغداد ١٩٤٦ ، ١٦ ص .

★ نظرية الاقتصاد القياسي
تأليف ، الدكتور محمد عبدالعال النعيمي ، بغداد ١٩٩١ .

★ نقد الاصطلاحات في التقنين المدني العراقي وتقنين المرافعات
تأليف ، مكي ابراهيم لطفي ، بغداد ١٩٨٩ ، ٣٦٠ ص .

★ هذه أهدافنا .
تأليف ، الدكتور سامي شوكة ، بغداد ١٩٣٩ ، ١١٢ ص .

★ هل يعطي حق التدخل شرعية جديدة للاستعمار :
تأليف ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٩١ ، ٢١٩ ص .

★ وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ، من أوراق أكرم زعيتر ١٩١٨–١٩٣١
تأليف ، بيان نويهض الحوت ، بيروت ١٩٧٩ ، ٧٢٢ ص .

★ الوضع الاقتصادي العام في السودان من خلال الميزانية الجديدة ١٩٨٤ – ١٩٨٥
تأليف ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، السودان . طبع في لندن ، ٧٩ص .

★ الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية
تأليف ، علي البازركان ، بغداد ١٩٩١ ، ٤٠٥ ص .

★ خصائص في الجنوب ، حيرة في الشمال ، تشخيص وعلاج
تأليف ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٨٨ ، ٢٠٧+٣٢٨ ص .

كتب الاجتماع

★ الخدمات العامة في بغداد (١٠٠٩ – هـ – ١٣٥٨ هـ)
تأليف ، عبدالحسين مهدي الرحيم . بغداد ١٩٨٧ ، ٤٧٣ ص .

★ الطريق الى الحق
تأليف ، حميد الخالصي ، بغداد ١٩٧٩ ، ٧٦ ص .

★ تدريب الترجمين التجريديين ومترجمي المؤتمرات .
تأليف ، فيلم كارل ميسر ، بغداد ١٩٩٠ ، ٨٨ ص .

★ الطفولة
تأليف ، الدكتور موفق الحمداني ، بغداد ١٩٨٨ ، ٢٨٠ ص .

★ فصول شرعية اجتماعية (القرآن والمرأة)
تأليف ، محمود شلتوت ، مصر ، ٦٧ ص .

★ في وطني اعيش ، المرأة العربية في ميدان البحوث الاجتماعية .

تأليف ، كاميليا فوزي الصلح . بيروت ١٩٩٣ ، ٢٣٣ ص .

★ مقدمة في الاجتماع

تأليف ، عبدالفتاح ابراهيم ، بغداد ١٩٣٩ ، ٢٢٣ ص .

★ مبادىء علم الاجتماع

تأليف ، السيد محمد بدوي ، القاهرة ١٩٧٦ ، ١٦٤ ص .

★ المكتبة البشرية

تأليف ، سي أدولف ابراهامتر ، القاهرة ٢٩١ ص .

★ المواد الاجتماعية وتدريبها الناجح

تأليف ، عبداللطيف فؤاد ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٤ ، ٣٦٤ ص .

كتب العلوم العامة والطب

★ الادمان ، مظاهره وعلاجه

اصدارات ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٢ .

★ ارتفاع ضغط الدم

تأليف ، الدكتور حكمة الشعرباف ، بغداد ١٩٨٥ ، ٩٦ص .

★ استخدام المصادر وطرق البحث

تأليف ، علي ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٦٣ ، ٢٠٣ ص .

★ اسهام علماء العرب والمسلمين في علم الحيوان

تأليف ، الدكتور علي عبدالله الدفاع ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٦، ٤٠٦ص.

★ الاصلاح الاكاديمي في العراق

تأليف ، صباح محمود محمد ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٤٩ ص .

★ الاعشاب الطبية والعطارون في سوريا واليمن الشمالية
تأليف ، كينو موندا ، واطارو ميكى ، اليابان ، معهد الدراسات واللغات والثقافات ، ١٩٩٠ ، ٧٨+٧٢ ص .

★ الآفاق المستقبلية لاستخدام الحاسبات في التعليم
اعداد ، وزارة التربية ، بغداد ١٩٩١ ، ١٣٢ ص .

★ أمراض الجهاز البولي
تأليف ، أمين دويخة ، بيروت ١٩٧٣ ، ٣٦٥ ص .

★ الانحدار المتعدد وتحليل التباين
ترجمة ، الدكتور شلال حبيب الجبوري ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٤٥ ص .

★ الانسان بين الجوهر والمظهر
تأليف ، اريك فروم ، الكويت ١٩٧٩ ، ٢٤٠ ص .

★ الايدز والمناعة
تأليف ، الدكتور سعيد الصايغ ، بيروت ١٩٨٨ ، ٤٨٧ ص .

★ البيئة والانسان
تأليف ، الدكتور حسن طه نجم وآخرون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٧ ، ٢٩٣ ص .

★ البيولوجيا مصير الانسان
تأليف ، سعيد محمد الحفار ، الكويت ١٩٨٤ ، ٢٧٨ ص .

★ تاريخ الطب في الحضارة العربية الاسلامية
تأليف ، فرج محمد المهدي ، بنغازي ١٩٨٦ ، ٣٤١ ص .

★ تصميم وتحليل التجارب
تأليف ، الدكتور محمد عبدالعال النعيمي وآخرون ، بغداد ١٩٩٠ .

★ التمريض والاسعاف
تأليف ، الدكتور محمد زكي سويدان ، القاهرة ١٩٧٠ ، ٨٥٢ ص .

★ التوزيع الجغرافي للنباتات البرية في العراق

تأليف ، الدكتور علي الراوي ، بغداد ١٩٨٨ ، ١٧٥ص + ٢٣٢ ص .

★ الثروة النباتية في العراق (معجم النبات الاقتصادي)

اعداد ، مديرية النبات ، بغداد ١٩٧٩ ، ج١ ، ٥٠٣ ص .

★ حاجات الانسان الاساسية في الوطن العربي الجوانب البيئية والتكنولوجية

ترجمة ، عبدالسلام رضوان . الكويت ١٩٩٠ ، ٤٨٠ص ، برنامج الأمم المتحدة للبيئة .

★ الحشرات الناقلة للأمراض

تأليف ، جليل أبو الحب ، الكويت ١٩٨٢ ، ٢٦٠ ص .

★ دراسات في تاريخ الطب والعلوم العربية .

اعداد ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٩٣ ، ١١٣ ص .

★ دراسة عن الطبيعة البشرية

تأليف ، وليم مكدول ، القاهرة ، ٣٣٠ ص .

★ دليل ترشيد استهلاك الطاقة

تأليف واعداد ، وزارة النفط ، اللجنة الاستشارية للطاقة ، بغداد ١٩٩١ ، ٤٤ ص .

★ الدواء من فجر التاريخ الى اليوم

تأليف ، رياض رمضان العلمي ، الكويت ١٩٨٨ ، ٣١٨ ص .

★ الروضة البهية في مداواة الامراض الجلدية

تأليف ، أحمد بن الحسن الزبيدي ، بولاق ١٢٦٢ هـ .

★ السرطان ومسبباته

تأليف ، الدكتور عقيل عبد ياسين ، بغداد ١٩٩٠ ، ٢٠ ص .

★ شذرات مضيئة عن علم الحياة الحيوانية في التـراث العلمي العربـي الاسـلامي
تأليف ، الدكتـور محمد مـروان السبع ، مطبعة جامعـة حلب ١٩٩١ ، ٣٥٢ ص .

★ صناعة الانشاءات العربية
تأليف ، انطوان زحلان ، بيروت ١٩٨٥ ، ٣٩٢ ص .

★ الطب الشرعي والسموم
تأليف ، الدكتور يحيى الشريف ، والدكتور محمد عبدالعزيز ، مطابع الاهرام ، القاهرة ، ١٨٣ ص .

★ الطب عند العرب
تأليف ، حنيفة الخطيب ، بيروت ١٩٨٨ ، ٣٧١ ص .

★ علم الاحيـاء .
تأليف ، الدكتور بدري عويد العاني ، بغداد ١٩٨٩ ، ٤٥٨ ص .

★ علم الفراسة ، أسرار الحلقة وابداعها
تأليف ، الدكتور احسان حقي ، بيروت ١٩٨٦ ، ١٣٩ ص .

★ العمارة الحديثة في العراق ، تحليل مقارن في هندسة العمارة والتخطيط
تأليف ،عقيل نوري الملا حويش ، بغداد ١٩٨٨ ، ٤٣٩ ص .

★ الفلاحـة اليونانية
تأليف ، قسطا بن لوقا . نسخة مصورة بالفوتستان عن نسخـة المكتبة المركزية لجامعة بغـداد

★ القانون في الطب
تأليف ، ابي علي ابن سينا ، حققه ووضع فهارسه أدوار القش ، بيروت ١٩٨٧ ، ج١ ــ ج٥ ×م٤ مع الفهارس العامة .

★ قطف الازهار في خصائص المعادن والاحجار وتابع المعارف والاسرار
تأليف ، أحمد بن عوض المغربي ، تحقيق ، بروين بدري توفيق، بغداد ١٩٩٠ ، ٤٠٤ ص .

★ الكافي في البيزة
تأليف ، عبدالرحمن بن محمد البلوي ، تحقيق ، الدكتور احسان عباس، وعبدالحفيظ منصور ، بيروت ١٩٨٣ ، ٤٢٣ ص .

★ كتاب الفلاحة
تأليف ، ابن العوام ابن زكريا محمد بن أحمد . ترجمة ، ح ج كليمان مولي ، تونس ١٨٣ ، ج١ — ج٢ .

★ دروس في صناعة الانشاء
تأليف ، عزالدين آل علم الدين التنوخي ، بغداد ١٩٢٧ ، ١٦٨ ص .

★ الدلائل
تأليف ، الحسن بن بهلول ، تحقيق ، الدكتور يوسف حبي ، الكويت ١٩٨٧ ، ٥٣٧ ص .

★ منافع الأغذية ومضارها
تأليف ، ابن زكريا الرازي ، بيروت ١٩٨٨ ، ٣١٢ ص .

★ النباتات السامة في العراق
تأليف ، الدكتور علي الراوي ، بغداد ١٩٨٨ ، ١٩٨ ص .

★ مراكز الدراسات النموية
تأليف ، الدكتور عبدالهادي الفضلي ، الاردن ١٩٨٦ ، ٩٦ ص .

★ المعاملات التفاضلية الاعتيادية
تأليف ، فريد برومر ، وجون م. تورهل ، بغداد ١٩٩٠ ، ٥٩٩ ص .

★ المفاهيم الرئيسية في زراعة الخلايا والأنسجة والاعضاء للنبات
تأليف ، عبدالمطلب سيد محمد ، الموصل ١٩٩٠ ، ٢٩٦ ص .

★ مقدمة في بحوث العمليات

تأليف ، عدنان شمخي جابر ، وضوية سلمان حسن ، الموصل ١٩٨٨ .
٣٣٦ ص .

★ مقدمة في الاحصائيات الصحية والحياتية

تأليف ، عدنان شكري الربيعي ، بغداد ١٩٨٨ ، ٢٤٥ ص .

★ الكون يزداد اتساعاً

ترجمة ، طلبة السيد عوض وآخرون ، مراجعة علي مصطفى حشرفة ،
القاهرة ١٥٦ ، ١١٤ ص .

★ الليزر أداة التكنولوجيا الحديثة

تأليف ، الدكتور فارس جاسم محمد الامارة ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٨٤ ص .

★ محاضرات الأكاديمية .

اعداد ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٨٧ .

★ النباتات الطبية في العراق

تأليف ، الدكتور علي الراوي ، والدكتور ج.ل جاكرة فارتي .
بغداد ١٩٨٨ ، ١٥ + ١٩ ص .

★ من لا يحضره الطبيب .

تأليف ، أبي بكر الرازي ، تحقيق ، الدكتور محمود الحاج قاسم ،
بغداد ١٩٩١ . ٢٢٣ ص .

★ المناظر (المقالات ١ . ٢ ، ٣) في الأبعاد على الاستقامة

تأليف . الحسن بن الهيثم ، تحقيق . عبدالحميد ضرة ، الكويت
١٩٨٣ . ٧٨١ ص .

★ المراعى الصحراوية في العراق

تأليف ، محمد محي‌الدين الخطيب ، بغداد ١٩٠٨ .

★ النباتات الطبية والفصلية والسامة في الوطن العربي

اعداد ، جامعة الدول العربية ، الخرطوم ١٩٨٨ ، ٤٧٧ص .

★ التنبـؤ الوراثي

تأليف ، زولت مارسبناي ، الكويت ١٩٨٨ .

★ الوجيز في الجيولوجية النفطية للعراق والشرق الاوسط

تأليف ، جعفر احمد الساكني ، بغداد ١٩٩٢ ، ١٨٠ ص .

★ الوجيز في علم الدواء

تأليف ، عبدالرؤوف الروابدة ، الاردن ١٩٨١ ، ٣٠٢ ص .

الفهـارس والمعاجـم

★ الاجراءات المكتبية (دراسة تخطيطية)

تأليف ، عبدالكريم الأمين ، الموصل ١٩٨٠ ، ١٤٧ ص .

★ أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون

تأليف ، عبداللطيف بن محمد سياطي زاده ، تحقيق ، محمد التونجي ، القاهرة ١٩٧٧ ، ٤١٥ ص .

★ أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة

تأليف ، محمد رشاد الحمزاوي ، بيروت ١٩٨٨ ، ٦٣٧ ص .

★ ألفاظ حضارية محدثة

اعداد ، لجنة في المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٩٣ ، ٥٥ ص .

★ الببليوغرافيا الوطنية العراقية

اعداد ، المكتبة الوطنية ، بغداد ١٩٩١ ، ٦٣٢ ص

★ البحث والمكتبة

تأليف ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور حاتـم الضامن ، الموصل ١٩٨٨ ، ٢١٦ ص .

★ برمجة الحاسبات الألكترونية
تأليف ، الدكتور مكي هادي جواد وآخرون ، بغداد ١٩٩٠ ، ٢٦٠ ص •

★ تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب
تأليف ، عبدالسلام محمد هارون ، بيروت ١٩٨٧ ، ٥٣٩ ص •

★ التقرير السنوي لعام ١٩٨٥
اعداد ، مؤسسة آل البيت ، الاردن ١٩٨٥ •

★ التقرير السنوي الرابع عشر حول منجزات المجمع لعام ١٩٩٠
اعداد ، مجمع اللغة العربية الاردني ، الاردن ١٩٩٠ •

★ التقرير العام للدورة المجمعية ١٩٩١—١٩٩٢
اعداد ، الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد ١٩٩٢ •

★ الجمهرة (قاموس عربي — اسباني)
تأليف ، موريس جورج ايلاتنيان ، بيروت ، ١٩٩ ص •

★ دليل تخرج الدورة الخامسة والعشرين — دورة اعمار العراق
اعداد ، جامعة الموصل ، ١٩٩١ ، ٢٤٤ ص •

★ دليل الجامعة الحقانيــة
اعداد ، ادارة العلاقات العامة بباكستان ، ٤٤ ص •

★ دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠
تأليف ، محمود فهمي ، ومصطفى جواد ، بغداد ١٩٦١ ، ٨٩٠ ص •

★ دليل خطة التدريب لعام ١٩٩١
اعداد ، وزارة النفط ، بغداد ١٩٩٠ ، ٩٦ ص •

★ دليل الصور والوثائق الخاصة بالمملكة الاردنية الهاشمية
اعداد ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة ، عمان ١٩٨٦ ، ٦٢٧ ص •

★ الدليل العربي الموحد للمصطلحات المالية والضريبية
اعداد ، البنك المركزي العراقي ، بغداد ١٩٨١ ، ٤٢ ص •

★ دليل فهارس المخطوطات في المجمع الملكي لبحوث الحضارة ، عمان ١٩٨٧ ، الملحق الاول .

★ دليل مركز وثائق البصرة
اعداد ، مهدي حيدر ، البصرة ١٩٩٣ ، ٢١ ص .

★ دليل معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع للأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ١٩٩٤ ، ٢٨ ص .

★ سجل المطبوعات التونسية — البيليوغرافيا الوطنية لسنة ١٩٨٨ ، دار الكتب الوطنية ، تونس ١٩٨٩ .

★ سجل المطبوعات التونسية
اعداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، تونس ١٩٩٠ ، مختلف الترقيم .

★ علم المكتبات والمعلومات
تأليف ، محمد ماهر حمادة ، بيروت ١٩٨٦ ، ٢١٨ ص .

★ الفهارس التحليلية للتربية العربية الاسلامية
اعداد ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة ، عمان ١٩٨٥ ، ج١ — ج٢×م٢.

★ الفهارس التحليلية للاقتصاد الاسلامي
اعداد ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة ، عمان ١٩٨٥ ، ج١—ج٨×م٨.

★ فهارس العقد الفريد
اعداد ، جماعة من الاساتذة ، تحقيق ، عبدالمجيد الترقني ، ومفيد محمد قميحة ، بيروت ١٩٨٠ .

★ فهارس كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد .
تأليف ، عثمان بن عبدالله بن نمر الجندي ، تحقيق عبدالرحمن عبداللطيف عبدالله آل الشيخ ، الرياض ١٩٧٥ ، ١٦١ ص .

★ فهارس لسان العرب لابن منظور

اعداد ، عبدالله علي الكبير ، محمد احمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، وسيد رمضان احمد ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٤ ٠

★ فهارس معجم تهذيب اللغة للأزهري

تأليف ، عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ١٩٧٦ ، ٧٦٦ ص ٠

★ الفهارس ومكانها عند المحدثين

تأليف ، الدكتور مسعد المرضيفى ، الكويت ١٩٨٩ ، ٣٦٣ ص ٠

★ الفهرست

تأليف : ابن النديم ، طهران ، ١٦٩ ص ٠

★ فهرست أحاديث وآثار كتاب الأموال لابن سلام

بيروت ١٩٨٩ ، ١٨٧ ص ٠

★ الفهرست لابن النديم (صياغة جديدة)

اعداد الدكتورة ، ناهدة عباس عثمان ، قطر ١٩٨٥ ، ٧٢٥ص ٠

★ فهرست الكتب النحوية المطبوعة

تأليف الدكتور عبدالهادي الغضي ، الاردن ١٩٨٦ ، ٢٢٧ ص ٠

★ فهرست ابن عطية

تأليف ، القاضي عبدالحق ابن عطية ، بيروت ١٩٨٠ ، ١٨٩ ص ٠

★ فهرس الاطروحات والرسائل ١٩٥٨—١٩٨٤

اعداد ، الجمعية المغربية للتأليف ، المغرب ١٩٨٧ مختلف الترقيم ٠

★ فهرس / بيت الحكمة للكتب المهنية والمساعدة

تأليف ، لبيد ابراهيم ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٠١ ص ٠

★ الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي المخطوط (علوم القرآن ومخطوطات التجويد)

اعداد ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة ، عمان ١٩٨٦ ، ١ — ج٣ × م٣ ٠

★ الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي (الكتشافات العامة)
اعداد ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة ، عمان ١٩٨٦ ، ١٨٩٠ ص •
ج١ – ج٤ •

★ الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي لمخطوطات (علـوم القـرآن والتفسـير)
اعداد ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة ، عمان ١٩٨٧ ، ج١ ، ٢٣٩ص•

★ فهرست مخطوطات الطب الاسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية
تأليف ، اكمل الدين احسان أوغلو ، تركيا ١٩٨٤ ، ٥٣٥ص •

★ فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية النمساوية الرياضيات •
اعداد ، هيلينة لوبشتاين ، الكويت ١٩٩٠ ، ٤٤ ص •

★ فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في كوبنهاكن
اعداد ، الدكتور عدنان جواد الطعمة ، الكويت ١٩٩٠ •

★ فهرس مخطوطات مكتبة آل القمحاوي بنابلس
تأليف ، محمود علي عطا الله ، الاردن ١٩٩٢ ، ١٦١ ص •

★ فهرس كتب بيـان وأدب
تأليف ، شيخ مبارك علي • باكستان ١٩٩٢ ، مختلف الترقيم •

★ قاموس التحليل الاجتماعي
تأليف ، فيصل السالم ، الكويت ١٩٨٠ ، ١٤٨ ص •

★ قاموس حتّي الطبي
تأليف ، الدكتور يوسف حتّي ، بيروت ١٩٨٤ ، ط٤ ، مختلف الترقيم•

★ قاموس رد العامي الى الفصيح
تأليف ، الشيخ أحمد رضا ، بيروت ١٩٨١ ، ٦١٦ ص •

★ القاموس السياسي
تأليف ، أحمد عطيةالله ، القاهرة ١٩٦٨ ، ١٤٤٠ ص •

★ قاموس عبري ـ عربي

تأليف ، ي. قوجمان ، بيروت ١٩٧٠ .

★ قاموس عبري ـ عربي ، اللغة العبرية المعاصرة

تأليف ، دافيد سغيف ، قدم له ، البروفيسور ساسون سرميخ ، ج١ ـ ج٤ × م٤ .

★ قاموس الغذاء والتداوي بالنبات

تأليف ، أحمد قدامة ، بيروت ١٩٧١ ، ٦ ٨ ص .

★ قاموس المصطلحات النفطية

تأليف ، دار الترجمة والنشر لشؤون البترول ، بيروت ، ٤٨٦ ص .

★ كتاب الجيب الاخصائي

اعداد ، الجهاز المركزي للاحصاء ، بغداد ١٩٨١

★ الكتاب السنوي للموسم الثقافي ـ لمعهد التربية للمعلمين

اشراف مرزوق يوسف واعداد حسن محسن ، الكويت ١٩٨٣ ، ٤٩٧ص .

★ الكتاب المقدس

اعداد ، الجمعية المغربية للتأليف ، المغرب ١٩٨٦ ـ ١٩٨٨ .

★ كشاف رسائل الدراسات العليا في كلية الآداب جامعة الموصل

اعداد ، الدكتور عبدالوهاب محمد علي ، الموصل ١٩٩٢ .

★ ماضي الاكراد وحاضرهم في المصادر العربية القديمة والحديثة

تأليف ، كوركيس عواد ، بغداد ١٩٩١ ، ١٥٦ ص .

★ المحاضرات العامة في جلسات المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٩١ ـ ١٩٩٢ .

اصدار ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٣ ، ٣١٧ص .

★ مختار القاموس ، مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير

تأليف ، الطاهر احمد الزاوي ، تونس ١٩٨٣ ، ٦٧٧ ص .

★ المختار من صحاح اللغة

تأليف ، محمد محي‌الدين وآخرون ، القاهرة ، ٥٩١ص

★ مع المصادر في اللغــة والأدب

تأليف ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٨١ ، ٢٧٦ ص .

★ المصطلحات التجارية الفرنسية

تأليف ، اميل غالي ، القاهرة ١٩٥٨ ، مختلف الترقيم

★ مصطلحات علمية (انكليزي ــ عربي)

اعداد ، لجنة في المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٩٠ ، ق٨ .

★ مصطلحات علمية

اعداد ، لجنة في المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٩٣ ، ق١٠ .

★ مصطلحات علمية

اعداد ، لجنة في المجمع العلمي العراقي ، ق٩ .

★ مصطلحات المؤتمرات دليل لأعضاء المؤتمرات والمترجمين

تأليف ، سمير عبدالرحيم الجلبي ، بغداد ١٩٨٧ .

★ المعاجم المتعددة الثنائية

تأليف ، أحمد شفيق الخطيب ، بيروت ١٩٩٢ .

★ معجم الأساطير

تأليف ، لطفي الخوري ، بغداد ٩١٩٠ ، ج١ ــ ج٢ × م٢ .

★ معجم الاعراب والاملاء

تأليف ، أميل بديع يعقوب ، بيروت ١٩٨٨ ، ٤٧٢ ص .

★ معجم الألفاظ والمصطلحات المعربة

اعداد ، وزارة التربية ، بغداد ١٩٩٢ ، ٨٤٥ ص .

★ معجم الألفاظ الفارسية المعربة

تأليف ، ادي شير ، بيروت ١٩٨٠ ، ١٩٤ ص .

★ معجم الألفاظ المعشرة في كتاب الاغاني
تأليف واعداد ، الدكتور حسن محسن ، الكويت ١٩٨٧ ، ٣٢٣ ص •

★ معجم التعابير الأجنبية في اللغة الانكليزية
تأليف ، سمير عبدالرحيم الجلبي ، بغداد ١٩٨٧ •

★ المعجم الجامع (عربي ــ عبري)
تأليف ، ابراهام شانــون ، بغداد ــ الاقسام (أ ــ ح ، ج ــ غ ، ق ــ ي) دورة كاملة •

★ معجم الحضارة
تأليف ، محمود تيمور ، مصر ١٩٦١ ، ١٧٨ ص •

★ معجم الدم ، عربي ــ انكليزي ــ فرنسي
جمعها ونسقها ، عبدالعزيز بنعبدالله ، بيروت ١٩٧٨ ، ٢٣٩ ص •

★ المعجم العربي الاسلامي
تأليف واعداد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
لاروس ، ١٩٨٩ ، ١٣٧٤ ص

★ المعجم العربي الامازيغي •
تأليف ، محمد شفيق ، المغرب ١٩٩ ، ٧٣٤ ص •

★ معجم العظام ، انكليزي ــ فرنسي ــ عربي
جمعها ونسقها ، عبدالعزيز بنعبدالله ، بيروت ١٩٧٥ •

★ معجم العين وأمراضها
تأليف ، صادق الهلالي ، ومحمد حكمة وليد ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ٣١٧ ص •

★ معجم القراءات القرآنية (مقدمة في القراءات والقراء)
تأليف ، الدكتور احمد مختار عمر والدكتور عبدالعال سالم مكرم ، الكويت ١٩٨٨ ، ج١ ــ ٧ •

★ معجم مصطلحات الاعلام •

تأليف ، الدكتور أحمد زكي بدوي ، تقديم الدكتور احمد خليفه ، بيروت ١٩٨٥ ، ٢٠٧ ص •

★ معجم مصطلحات التعليم الفني والتدريب

تأليف ، أحمد زكي بدوي ، بيروت ١٩٨٩ ، ١٥٥ ص + ١٢ ص ، عربي ـ انكليزي •

★ معجم مصطلحات الحديد والصلب

تأليف ، الدكتور محمود عبدالواحد ، مؤسسة الاهرام ٣٢٣ ص •

★ معجم المصطلحات الرياضية والكشفية •

تأليف ، طارق الناصري ، بغداد ١٩٧٦ ، ٤٠٢ص •

★ معجم مصطلحات طب الفم والأسنان

تأليف ، عباس فاضل الرحماني ، بغداد ١٩٩٢ ، ٢٠٢ ص •

★ معجم المصطلحات العلمية الفنية والتطبيقية

تأليف ، ثانية الفانوس ، بغداد ١٩٨٥ ، ٨٣٨ ض •

★ معجم مصطلحات العلوم الادارية (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي)

تأليف ، أحمد زكي بدوي ،بيروت ١٩٨٣ ، ٥١٧ ص •

★ معجم مصطلحات الحاسبات الالكترونية ـ عربي ـ انكليزي ، انكليزي ـ عربي

اعداد ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٨٧ ،مختلف الترقيم

★ معجم المصطلحات السياسية والاقتصادية والقانونية

تأليف ، الدكتور ، فاضل مهدي بيات ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٦ ص •

★ معجم المصطلحات الفنية

اعداد ، ادارة التدريس المهني ، بيروت ١٩٨٤ ، ٨٤٧ ص •

★ معجم مصطلحات المؤتمرات

اعداد ، منظمة اليونسكو ، باريس ١٩٧٤ ، مختلف الترقيم .

★ معجم المعاجم

تأليف ، أحمد الشرقاوي ، بيروت ١٩٨٧ ، ٣٦١ ص .

★ معجم مقاييس اللغة

تأليف ، محمد بن فارس ، تحقيق ، الدكتور محمد عبدالسلام هارون بيروت ١٩٧٩ .

★ معجم مصطلحات الادب ــ انكليزي ــ فرنسي ــ عربي

تأليف ، مجدي وهبة ، بيروت ١٩٧٤ ، ٧٠٣ ص .

★ معجم ماكتب عن لحن العامة والتصحيح اللغوي

تأليف ، عباس كاظم مراد ، بغداد ١٩٩٢ ، ١٦٠ ص .

★ معجم المهن والحرف (انكليزي ــ فرنسي ــ عربي)

تأليف ، احمد زكي بدوي ، بيروت ١٩٨٩ ، ٤٥٣ ص .

★ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام

تأليف ، المنظمة العربية للتربية والثغافة ، مصر ١٩٧١ ، ٣٩٧ ص .

★ المعجم العراقي في النحو العربي

تأليف ، علي توفيق الحمد ، ويوسف جميل الزعبي ، عمان

★ المعجم الوافي في النحو العربي

تأليف ، علي توفيق الحمد ، ويوسف جميل الزعبي ، عمان ١٩٨٤ ، ٤١٩ ص .

★ معجم الوراثيات والعلوم البيولوجية والجرثمية

تأليف ، صادق الهلالي ، وسفيان محمد الموسى ، الاسكندرية ٣ ١٩، ٤٥٧ ص .

★ المعجم الوسيط

تأليف ، ابراهيم مصطفى ، اشراف عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٦١ ، ج٢ ، مختلف الترقيم

★ مقدمة لين / المعجمية (ومد القاموس) .

اعداد لجنة في المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٩٢ ، ٧٣ص .

★ ملحق معجم الحيوان

تأليف ، أمين المعلوف ، مصر ، ٦٠ ص .

★ من قضايا المعجم العربي / قديماً وحديثاً .

تأليف ، الدكتور محمد رشا دالحمزاوي ، بيروت ١٩٨٦ ، ٢٠٧ ص .

★ الموسم الثقافي الثامن لمجمع اللغة العربية الاردني

من اصدار المجمع الاردني ، الاردن ي١٩٩٠ ، ١٥٩ ص .

★ الموسوعة الاشتراكية

تأليف ، ابراهيم عامر ، مصر ١٩٦٨ ، ٥٢٩ ص .

★ موسوعة الحديث النبوي (أحاديث الصيام) للمجموعة الشاملة

تأليف ، عبدالملك بكر عبدالله ماحي ، الرياض ١٩٨٩ ، ج١ ــ ج٤ × م٤.

★ موسوعة ثورة ١٤ تموز ، من ثورة الشواف الى اللغز المحير

تأليف ، خليل ابراهيم حسن ، بغداد ١٩٨٧ ، ج١ ــ ج٧ × م٧.

★ الموسوعة المسرحية

تأليف ، جون رسل ، ميسلي ، ترجمة ، فارس فرج قصيرة ، وابراهيم جلال ابراهيم ، بغداد ١٩٦١ ، ج٢ ، ٦٨٢ ص .

★ الموسوعة المسرحية

تأليف ، جون رسل ميسلي ، ترجمة ، سمير عبدالرحيم الجلبي ، بغداد ١٩٩٠ ، ج١ .

★ موسوعة علم الآثار

تأليف ، كلين دانيال ، بغداد ، ١١٦ ص ، ج١ ــ ج٢ ، ترجمة ، ليون يوسف .

★ موسوعة المورد

تأليف ، منير بعلبكي ،بيروت .

★ الموسوعة النباتية العراقية

تأليف ، ايڤان كيست ، بمساعدة علي الراوي ، بغداد ١٩٦٦ــ١٩٧٤ .

★ النتاج الفكري العراقي

اعداد ، دار الكتب الوطنية ، بغداد ١٩٨٥ ، ٦٢٥ص+٤٨ ص .

★ ندوة مؤسسة الاوقاف في العالم العربي والاسلامي

اعداد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الكويت ١٩٨٣ .

★ النظام الأساسي لاتحاد المؤرخين العرب

اعداد ، اتحاد المؤرخين العرب ، الكويت ١٩٨٥ ، ٥١ ص .

★ الوسائل التعليمية

تأليف ، الدكتور ابراهيم مطاوع ، القاهرة ١٩٧١ .

★ وقائع الجلسات العمومية الرسمية بمناسبة استقبال الأعضاء الجدد

اعداد ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٨٦ ، ٢٥٦+١٥٨ ص .

* * *

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٩٦



Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add: ACADEMY OF SCIENCES.

P. O. Box 4023 WAZYRIA, AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel: 4221733 - 4222066 Fax: (964 - 1) 4254523

— Annual Subscribtion : In IRAQ (4000) I. D.

Outside IRAQ (50 Dollar) air mail not included





Journal

of the

ACADEMY of SCIENCES

No. 2

Vol. 43

1417 H - 1996